

كتاب المهادل



مذكرات
نجيب الريحاني

نجيب الريحاني

العدد ١٠ فروس

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ٩٩ - ذو القعدة ١٣٧٨ - يونيه ١٩٥٩

No 99 — Juin 1959

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
(المتديان سابقا) القاهرة

المكاتب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) اقليم مصر والسودان
١٠٠ قرش صاغ - اقليم سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا
سوريا او لبنان - السعودية والعراق والاردن وليبيا
واليمن وغزة ١٣٠ قرشا صاغ - في الامريكتين ٥١/٢
دولارات - في سائر انحاء العالم ١٧٠ قرشا صاغ

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

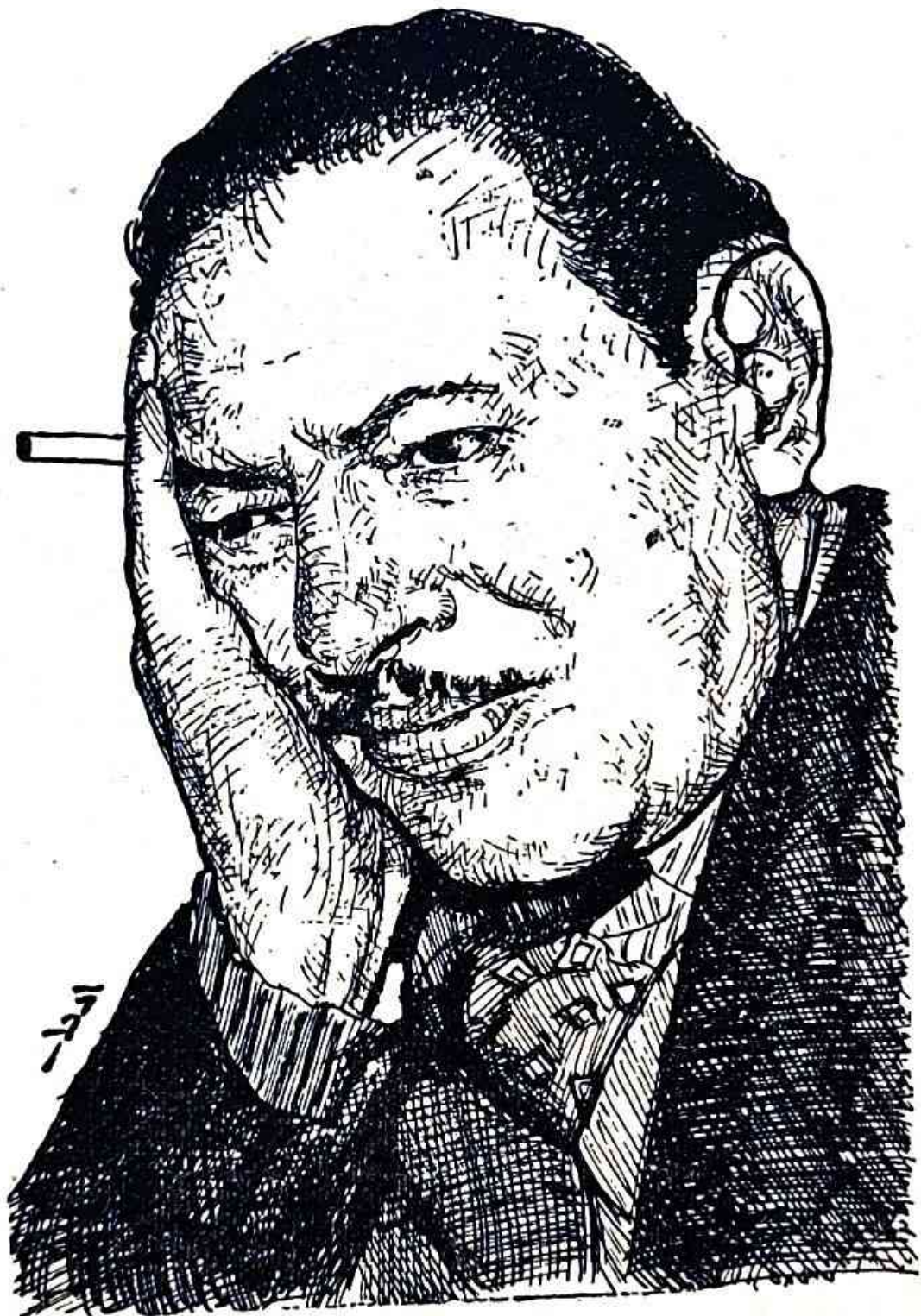
سرمد حاتم شکر السامرائی

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

مذكرات نجيب الرحباني

بقلم
نجيب الرحباني

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال





مقدمة صاحب المذكرات

قبل أن أسمح لنفسي بنشر مذكراتي ، فكرت في الأمر كثيرا ، لا شيء إلا لأنني خلقت صريحا ، لا أخشى اللوم في الحق ، ولا أميل إلى المواربة والمداواة . فهل ياترى أظل فيما أكتب متحليا بهذه الخليقة ؟ أم يدفعني مآرج الناس عليه من مجاملة إلى المواجهة والتهرب ؟

ذلك هو موضع التفكير الذي لازمني قبل أن أخط في مذكراتي حرفا واحدا . أما وقد ارتضيت ، فقد آليت على نفسي أن أملئ الواقع مهما حاقت بي مرارته ، وأسجل الحقائق مهما كان فيها من ألم ينالني قبل أن ينال غيري ممن جمعتني بهم أية جامعة ، وربطتني بهم أقل رابطة

ومضيت في مذكراتي على هذه الوتيرة ، فاذا بي أشعر في دخيلة نفسي أنني أؤدي واجبا مفروضا ، هو في الحقيقة تسجيل صحيح لناحية من نواحي تاريخ الفن في بلادنا العزيزة ، وأصارع القراء الأفاضل بانني كنت كلما سردت واقعة فيها ما يشع بالاقلال من شأنى ، كنت أحس السعادة الحقة في هذه الآونة ، سعادة الرجل الصادق المؤمن حين يقف أمام منصة

القضاء فيبدلي بشهادته الصحيحة ، ويفساد
المسكان مستريح الضمير ، ناعم البال ، هادىء
البلبال

على أننى فى مذكراتى هذه تناولت الكثيرين
بما قد لا يرضيهم ، ولكن أحدا لا يستطيع أن
يناقضنى فى حرف واحد مما أثبت هنا ، لانه
ان حاول أن يفعل ، وقعت الحقائق حائلا بينه
وبين ما يريد

فهناك الزميل القديم على يوسف مثلا ...
لقد شرحت الكثير مما كان بينى وبينه من مواقع
حربية فى ميدان الفرام والهيام ، وكذلك الحال
مع السيدة (ص . ق) التى بلغ تنازعنا عليها
حد شك المقال ، وتبصر الفصول الساخنة ..
كل ما ذكرته عنهما حقائق صادقة

ولعل بعض من تحدثت عنهن قد يسوءهن أن
أكشف عن حقيقة رابطتهن الاولى بالمرح بعد
أن أصبحن فى سمائه كواكب لامعة . وقد سبق
لهن أن تحدثن الى الصحف كثيرا ، وشرحن
تاريخ حياتهن كثيرا ، ودبحن المقالات كثيرا ،
فشرحت كل منهن كيف كانت تمثل أمام المرأة ،
وكيف شغفت بالتمثيل منذ الصغر ، وكيف
عشقت الفن لذاته ... وكيف ، وكيف مما
لست أذكره ، ولكن هل ذكرت فى أحاديثها - ولو
من باب تقرير الواقع (وبلاش المجاملة حتى) -
شيئا عن كيف تلفظ على المسرح ، وكيف تنطق
ابجديته ؟ أبدا ... وكأنه من العار عليها اذا
اعترفت بانها كانت ممثلة فى فرقة الريحاتى ..
(وبلاش) مبتدئات يابى يابى !!

نجيب الريحاني

نجيب الرحيماني كما عرفته

نجيب الريحاني

بقلم الأستاذ بديع خيرى

ليس غريبا أن تفكر دار الهلال - بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاة نجيب الريحاني - في إصدار مذكراته التي خصها بها في حياته ، وكتبها لها بقلمه ، فشعارها كان دائما - ولا يزال - « لا يصح غير الصحيح ، ولا يبقى الا الاصلح » . ونشر هذه المذكرات ، وفي هذه المناسبة بالذات ، تكريم للفن الاصيل في شخص كرس حياته لفنه .

وحيثما دعتنى دار الهلال ان اقدم لهذا الكتاب عن مذكرات أخى وصديقى الراحل نجيب الريحاني ، غرقت في لجة من الذكريات ، وعادت ذاكرتى الى أيامنا الماضية ، ومرت بخاطرى صور الكفاح ، وأدركت أنه ليس من السهل على المرء فى بعض الأحيان أن يعبر عن نفسه ، خصوصا حينما طالعت المذكرات ، ووجدت أن الراحل الكريم قد وفى كل نقطة حقها ، بصراحته المحبوبة وأسلوبه الشائق . ومن بين صفحات مذكراته برزت حياته الحافلة التي كرسها للمسرح وحده ، وبرزت صور الكفاح حية نابضة بالحياة

هذه المقدمة اذا ليست الا مجرد خواطر ... وذاكرات ... وصور ، جمعتها اشتاتا من ذاكرتى ، صورة من هنا ، وصورة من هناك ...

والصورة الاولى ان الريحاني لم يكن مجرد ممثل يكسب

عيشه من مهنة التمثيل ، بل كان فيلسوفا وفنانا . . . فنانا أصيلا عاش لفنه فقط ، ولقى الاضطهاد والحرمان وشظف العيش في سبيل مثله العليا

كان الريحاني يمكن أن ينشأ موظفا ناجحا ، وكان أهله يعملون لهذه الغاية . ولكن حب التمثيل كان يجري في دمه ، فكان كل ما يكسبه من وظيفته ينفقه في اشباع هوايته ، ثم دفعته هذه الهواية الى هجر الوظيفة ، مما أثار استياء أهله . وعانى في سبيل تحقيق حلمه ، التشريد والجوع والحرمان ، وكان من فرط حبه لفنه ، يلجأ الى الوظيفة كلما أعيتته الحيل ، ليجمع بعض المال الذي يتيح له العودة الى التمثيل . . . ولقد كافح الريحاني وجاهد حتى انتصر

وكثيرا ما كان تمثيله الرائع يسيطر على مشاعري ، فاذا حاولت أن أبدى له أعجابه بتفوقه ، نهاني عن ذلك ، وشبه نفسه بالعباد القانت ، الذي يسعى الى التقرب الى الله دون أن يراه . وكان من رأيه أن الممثل الاصيل لابد أن يسعى الى الكمال المطلق ، ويظل يسعى طوال حياته للوصول الى هذا الكمال . . . دون أن يراه أو يصل اليه !

ولقد كان نجيب يقدس فنه ويحترمه ، وكان يكره الاتجاه الذي كان سائدا في تلك الايام ، والذي يدفع الممثل الى تعاطي الخمر أو المكيفات قبل الصعود الى خشبة المسرح ، على زعم أن الخمر تشجع الممثل على مواجهة الجماهير وتقوى أدائه . ولم يحدث في حياة الريحاني أن شرب كأسا من الخمر قبل التمثيل . . . وكان من فرط احترامه لفنه يعتكف في غرفته بالمسرح قبيل التمثيل بنصف ساعة على الأقل ، ولا يسمح لانسان - مهما كانت الظروف - أن يعكر عليه عزلته المقدسة . وفي عزلته هذه كان ينفرد بنفسه ليهيئها لمواجهة الجماهير ، ويتقمص الشخصية التي سيمثلها ، ويندمج في الدور الذي

سيؤديه . . . وكنت اذا رايتة وهو يغادر غرفته الخاصة في طريقه الى المسرح لاداء دوره ، خلته من فرط الانفعال شخصا آخر . والواقع أنه يكون في تلك اللحظة شخصا آخر فعلا : يكون الشخصية التي سيؤدى دورها في مسرحيته

وقد بلغ من حب الريحاني لفنه أنه لم يطق اعتزال المسرح بناء على مشورة الاطباء عام ١٩٤٢ ، وكان الدكتور روزات قد نصحه بالابتعاد عن المسرح ستة أشهر حرصا على صحته ، فما كان من الريحاني الا أن قال : « خير لى أن أقضى نحبي فوق المسرح ، من أن أموت على فراشى ! »

ولعل «نجيب» هو الممثل الوحيد بل رئيس الفرقة الوحيد الذى كانت تسره اجادة أفراد فرقته . وكان بعد أن يفرغ من أداء دوره يقف بين الكواليس ، ويظل يشجع أفراد فرقته بالاشارات والايماءات ، بل يقدم هدايا شخصية للمجيدين . وكانت الصحف تتهمه بالكسل ، ولكنه لا يعبأ بالاتهام ويقول : « خير لى أن أواجه الجمهور بمسرحية واحدة كاملة ، من أن أقدم له عشر مسرحيات ضعيفة ، أو فيها مواضع ضعف » . ولهذا السبب كان يهتم جدا بالبروفات ، وكثيرا ما كان يقضى شهرا كاملا فى اجراء التدريبات عن فصل واحد من فصول مسرحياته

ولم يكن الريحاني الفنان يعبأ بالمادة فى سبيل الاتقان ، وكثيرا ما أنفق ، وأغرق فى الانفاق ، وركبته الديون ، فى سبيل اخراج مسرحية يريد أن يبلغ بها حد الكمال . كان لا يبخل على فنه أبدا ، بل لقد كان يتبرم من امتلاء المسرح فى الليالى المزدحمة ، فقد كان يرى أن هذا الازدحام يحرمه من الجو الهادى الذى يتيح له الاجادة . كان يفرح للجمهور المحدود ، وكانت مواهبه بالفعل تبرز وتتجلى وسط المتفرج الهادى ، مع ما فى ذلك من الفوارق المادية بالنسبة اليه كصاحب فرقة . وكان يشترط -

لدى تعاقدته مع المتعهدين والجمعيات الخيرية - الا تباع
تذاكر أعلى التياترو في الاوبرا بمصر ، أو الهمبرا بالاسكندرية ،
على أن تقتطع قيمة ماتدره هذه الاماكن من الاجر الذى يتقاضاه
شخصيا



لقد كان فنانا أصيلا ، مؤمنا بفننه ورسالته ، وقد كوفىء على
جهوده الصادقة وصبره وإيمانه ، فقد انتزع تقدير الجميع
واحترامهم واعترافهم بفننه . ولكن أكبر مكافأة وأعزها بالنسبة
للريحانى كانت من أمه التى حاربت فننه واحتقرته ، فقد
أثمرت جهوده زهوا وفخارا من الام بعمل ابنها ، لذلك لم يكن
يمل من رواية القصة التالية ، فى فخر واعزاز وسعادة :

« كانت والدتى تأنف من مهنة التمثيل ، وتكره أن يعرف
عنى أننى ممثل . وحدث أن كانت رحمها الله فى عربة « المترو »
عائدة الى المنزل فى مصر الجديدة ، فسمعت رهطا من الركاب
يتذكرون شئونا فنية ورد أثناءها اسمى ، فأرهفت أذنها
لسماع الحديث ، وأصغت اليه بكل انتباه دون أن تشعرهم .
وما كان أشد دهشتها حين سمعتهم مجتمعين على الثناء على ،
وامتداح عملى ، والاشادة بمجهودي ... أتدرى ماذا كان من
هذه الوالدة العزيزة ، التى تحتقر التمثيل وتكره ؟ لقد وقفت
وسط عربة « المترو » ، واتجهت الى أولئك المتحدثين ، وقالت
بأعلى صوتها : « الراجل اللى بتتكلموا عنه ده يبقى ابنى ، أنا
والدة نجيب الريحانى الممثل » ! ... وخللى بالك من « الممثل »
دى ، وهى الكلمة التى كانت أمى تأنف أن « أوصم » بها ، قد
أضحت موضع زهوها وفخارها ! وفى هذا اليوم ، يوم المترو
الذى لا أنساه ، تفضلت والدتى رحمها الله ، فشرفتني بالحضور
الى تياترو الاجيبسيانة خصيصا لمشاهدة ابنها الذى يقدره
الناس دونها ويمتدحونه ، فكان هذا اليوم من أسعد ، ان لم

أقل أسعد ، أيام حياتي !

ولقد عاش الريحاني ليري تكريم فنه والاعتراف به ، فحين دعت شركة جومون الفرنسية عددا من كبار الممثلين والممثلات ، وكان من بينهم الممثلان العملاقان « رايمو وفيكتور بوشيه » ، ليشهدوا تمثيله أثناء اخراج فيلم ياقوت بباريس ، بلغ من اعجابهم به أن طلبوا اليه دعوة فرقته لتقديم حفلات في المدن الفرنسية ، كلون من ألوان الفن الشرقي ، بل وتعهدوا بالاشراف على هذه الحفلات !

وفي حفلة أقامها نادي الضباط المصري قدم الريحاني مسرحية « حكم قراقوش » فهرع الى تهنئته والاعجاب به سير سايمور هيكس ، عميد المسرح الانجليزى اذ ذاك ، وقرر انه انما يشهد ممثلا في الصف الاول من الممثلين العالميين

ولقد لقي الريحاني تكريم عظماء عصره ، وكان من بين المعجبين به طلعت حرب ، وسعد زغلول ، وهدى شعراوي ، وتوفيق نسيم ، وغيرهم

ولقد كانت للريحاني مبادئ في التمثيل ينفرد بها ، فقد كان رحمه الله يعتنق مبدأ في « الميزانسين » - أى ترتيب حركة وأوضاع الممثلين - تخالف المألوف ... كان يترك للممثل الحرية في تغيير مايشاء منها كل ليلة حسبما يقتضيه تكييف الممثل لميله واتجاهاته ، ولكنه مع ذلك كان يتمسك بحرفية الفاظ المسرحية دون تغيير أو تبديل !



والصورة الثانية هى صورة الريحاني الممثل الكوميدي ، الذى أجبره جمهوره اجبارا على السير فى الاتجاه الكوميدي . ولقد كان الريحاني يحب الدراما ، وربما كان ذلك بسبب الظروف القاسية التى مرت به . وكان على قدر مرحه وفكاهته ، يعاوده الحزن فى فترات متقطعة لمأساة أصغر اخوته

« جورج الريحاني » الذي اختفى قبل موته بسنوات طويلة لغير ما سبب . وقد ظل سبب اختفائه حتى مات نجيب الريحاني - ولا يزال - لغزا غامضا تكتنفه الاشاعات ، فمن قائل أنه أسلم وانضم الى جماعات الصوفية ، ومن قائل أنه ترهب واعتكف في أحد الدير !

وكان الريحاني يحن من وقت الى آخر للدراما ، ولكنه كان لا يلقى تجاوبا من الجمهور ، ويقول الريحاني نفسه عن ذلك : « بلغ ما اقترضته عندما تحولت للدراما أربعة آلاف جنيه ، وكان عدد الدائنين ثمانية وعشرين ، فتصور مقدار ما كانت تسببه لى هذه الديون من ارتباكات متوالية ، ثم تصور حالتى النفسية ازاء ذلك ، ثم أعرنى انتباهك لاقص عليك أن نكبتى لم تقف عند هذا الحد ، اذ أصبحت هدفا لسخرية القوم ، وشماتة الغير ، وتهكم صاحبة الجلالة الصحافة ... كل هذه الحملات التى انصبت على رأسى متتابعة ، كانت لأننى تجاسرت على « قدس » الدرام من غير « احم » ولا « دستور ! »

نعم ... أجبره جمهوره على ترك الدرام ، فقد كان الجمهور يراه فكها بالسليقة ، أو كما عبر عنه أحدهم : « لا تتمالك أن تراه حتى تضحك ، ولو من تكشيرته ووجهه المكفهر » ! والواقع انه حتى فى تعبيراته وايماءاته وحركاته كان فكها غير متكلف . كانت الفكاهة فى دمه ، وكان الممثل المفضل عنده هو شارلى شابلن ، الذى كان يعتبره فيلسوف الفن ، ولك ايها القارئ أن تقارن بين المعجب والمعجب به . لقد كان كلاهما فيلسوفا ، وكانت فلسفة الضحك على نقائص المجتمع الذى يعيش فيه ، فلسفة اصلاح تهدف الى علاج هذه العيوب بابرازها فى شكل يجعلنا نضحك منها ونسخر !

ومع ذلك فقد كان لا يفتأ يعاوده الحنين الى الدرام ، فلما كتب عليه الا يمارسه ، كان يرضى ميله هذا بتغذية مسرحياته

الفكاهية بالكثير من الدرام ، ولولا محاولاتي الدائمة للحد من هذا الاتجاه ، تمشيا مع رغبات الجمهور الذي كان يرى أنه خلق للفكاهة ، لتمادى فيه !



والصورة الثالثة .. هي صورة الريحاني الوطني الثائر ، الذي جعل من المسرح منبرا للوطنية ... الرجل الذي عالج السياسة بالفكاهة ، وفتح عيون الجماهير الى سوء حالها ، وهاجم الانجليز وأعوانهم في مسرحياته وتهكم عليهم ، فلقى من عنت الاستعمار ، واضطهاد السراى ، الشيء الكثير . ويقول نجيب الريحاني في مذكراته :

« حين رأيت من الجمهور المثقف ، ومن عامة الشعب هذا الاقبال المنقطع النظير ، رأيت أن أستغله استغلالا صالحا ، وأن أوجهه التوجيه النافع ، فرحت أنقب عن العيوب الشعبية ، وأبحث عن العلل الاجتماعية التى تنتاب البلاد . ثم أضمن الحان الروايات مايجب من علاج ناجع لمثل هذه الادواء . كذلك راعيت فى كثير من هذه الحان أن تكون أداة لايقاظ شعور الجمهور ، وتعويدة حب الوطن ، واعلاء شأنه ، والمحافظة على كرامته ، والتغنى بمجده الخالد ، وعزه الطريف التالد . وكان من آثار هذا الاقبال ، وذلك النجاح ، أن تضاعف الخصوم والحساد ، واختلفت أسلحة كل منهم فى حربى : فمنهم من كان يطعن من الخلف بخسة ودناءة ، ومنهم من كان يغازلنى جهارا على صفحات الجرائد اليومية » !

وأشهد أن الريحاني لم يأبه بهذه الحملات على شخصه ، وظل سادرا فى حملاته التهكمية اللاذعة ، فالريحاني اذن قد مهد بفسه للشورة الحديثة التى حررت مصر من الادواء التى ضحك منها وتهكم عليها ، وعلى رأسها الاستعمار والاستبداد والطغيان والاستغلال . واستمع الى أغاني سيد درويش التى

ضمنها الريحاني مسرحياته ، تستمع الى ثورة متأججة في سبيل العزة والكرامة والحرية . لقد كان الريحاني هو الفنان الوحيد الذي وقف في وجه السراى ، وتهكم على الجالس على العرش ، وأبرز مساوئ محترفي السياسة وضحك الناس عليهم جميعا ، مما أثار حقدهم وغضبهم



والصورة الرابعة هي صورة الريحاني الانسان الوفي لاصدقائه وأبناء مهنته . كان الريحاني يفر من الحفلات العامة ، ولكنه لا يتردد في حضور حفل يقيمه أصدقاؤه ، وكثيرا ما كان يقيم لهم الحفلات ، وكان مبالغة في التكريم يطهى لهم لونا من ألوان الطعام ، وان لم يتسع له الوقت كان يصنع السلطات . ووفاءه وحبه لخادمه النوبى « حسن صالح » - الذى اشتهر فيما بعد « بحسن كشكش » - يعد مضرب المثل . فقد كان نجيب يعتبره « قدم سعد » ، اذ اقترن عصره الذهبى فى المسرح بالتحاق حسن بخدمته . ومن بين النساء كانت صديقتة « لوسى دى فرناى » هى التميمة السعيدة التى صحبت عشرته لها السعادة فى الحب والمال . ويقول نجيب :

« كانت لوسى صديقة لى ، وكانت عوناً فى الشدة ، ومساعداً يشد أزرى ، ويشدد عزمى ، ولئن ذكرت فى حياتى شيئاً طيباً ، فأنا أذكر أيام زمالتها ، وعهد صداقتها »

وكان الريحاني يؤمن بالحظ والفأل والاحلام . استمع اليه يقول حين اختلف مع صديقتة لوسى وفارقتة : « فى أواخر عام ١٩٢٠ كان الخلاف قد دب بين الصديقة لوسى وبينى ، فافترقنا الى غير عودة ، ويقينى أن هذا الفراق كان أولى النكبات التى صبها القدر فوق رأسى ، وساقها الى حلقات متتالية ، يأخذ بعضها برقاب بعض . ذلك لان ماكان يغمرنى من خير جارف ، أضحى بعد ذلك البحر جفافاً من كل ناحية ، بل وشراً مستطيراً

حتى لقد اقتنعت تماما ان هذه الفتاة كانت هى مصدر الارزاق،
وانها انما حملت فى جعبتها بسمات الدهر ، وحظ
العمر « !

ولعل انسانية الربحانى تبرز وتتجلى فى ابرز صورها فى
جهوده التى بذلها فى اواخر ايامه ، لحث الحكومة على اقامة
ملجأ للممثلين المتقاعدين ، وحين شيد بيته الذى مات قبل ان
يسكنه ، كان يريد ان يخصصه بعد وفاته لهذا الغرض
النبيل ، ولولا ان المنية عاجلته ، لكان قد اتم الاجراءات الرسمية
وتم له تحقيق أمنيته



هذا هو الربحانى الذى تقرأون مذكراته اليوم . . . الربحانى
الفنان الاصيل ، الذى كرس حياته لفنه الذى أحبه ، وضحي
بكل شئ فى سبيله ، ولقى الاضطهاد والحرمان والجوع فى
سبيله

وان لهذا الكتاب لمعنى جليلا . . . معناه ان الربحانى الفنان
لم يمت ، ولكنه خالد فى قلوب محبيه . . . معناه ان الفنان
الصادق لا يموت



أول الطريق

أول الطريق

لست فى حاجة الى أن أرجع بالذاكرة الى التاريخ الذى تلقفتنى فيه كف العالم ، فأقول مثلا أننى ولدت لخمس خلون من شهر كذا عام كذا ... أو أن ولادتى اقترنت بظهور كوكب درى فى الافق اعتبره أهلى طالع يمن واقبال ... أو ... أو مما لا أرى فيه للقراء من فائدة ، ويكفى أن أقفز بهم الى سن السادسة عشرة ، حين غادرت مدرسة الفريز بالخرنفش ، بعد أن تزودت بالمؤونة الكافية من تعليم وخبرة

كنت فى عهدى هذا أميل الى دراسة آداب اللغة العربية ، واتوسع فى الحصول على أكبر قسط من فنونها ولاسيما الشعر وتاريخ الشعراء

لم أكتف اذ ذاك بما كنت ألتقى فى المدرسة فجئ لى بمدرس خاص اسمه الشيخ بحر ، كان يسر كثيرا حين كنت ألقى بعض المحفوظات بصوت جهورى ، ونبرات تمثيلية ، واشعارات تفسيرية ، وما الى ذلك مما كان يعتبره الشيخ بحر نبوغا وعبقرية

أما كيف تولدت عندى هواية التمثيل فقد نشأ ذلك من اعجاب أستاذى الشيخ بحر بى وبالقائى ، كذلك كانت المدرسة تكلف طلبتها بين وقت وآخر بتمثيل بعض الروايات على مسرحها ، وكثيرا ما كنت اندب لتمثيل الادوار الهامة فى هذه الروايات . وحين هجرت المدرسة اندمجت فى سلك موظفى

البنك الزراعى بالقاهرة . وتشاء المصادفات الغريبة أن يكون بين موظفى البنك فى ذلك العهد الاستاذ عزيز عيد الذى لم يكن عمله هذا يمنعه عن موالاة التمثيل

أول غرام

وهنا أرى أن أشير الى أول رواية اشتركت فى تمثيلها وهى رواية (الملك يلهو) وكان قد ترجمها أديب اسمه أحمد كمال رياض (بك)

وإذا كنت قد أشرت الى أول رواية فليسمح لى القارىء العزيز أن أعرج على أول غرام علق به قلبى

كنا نجلس فى قهوة اسكندر فرح المجاورة لمسرحه بشارع عبد العزيز (موضع سينما أولمبيا الآن) وكان بين الممثلين من زبائن هذه القهوة الممثل القديم على أفندى يوسف الذى أصبح بعد ذلك من عتاة متعهدى الحفلات . وكان لعلى « قطقوطة » من بين الممثلات ماتزال الى اليوم فى عنفوان . . . « الشيخوخة » تحتل أحد أركان قهوة الفن ، كما كانت فى الماضى تأوى الى مثل هذا الموضع من قهوة اسكندر فرح ، وتلك « القطقوطة » هى السيدة (ص . ق) . كان على يوسف يعتز بصداقة هذه « الفتاة » باعتبار ماكان ، فلما كنت أذهب لأشاركهما فى الحديث ، كانت نظرة فابتسامة فمش عارف إيه . . . فشبكة !!

وظلت أواصر الصداقة تنمو بينى وبين فتاة على يوسف هذه ، بينما كانت تتراخى بينها وبين صديقها ، دون أن يعلم الرجل من أمرنا شيئاً !!

وأخيراً « لعب الفار فى عبه » . . . وقاتل الله الفيران كلها من أجل خاطر هذا الذى لعب فى عبه أبى يوسف . أقول أن الشك بدأ يساوره ، لكنه كان على جانب كبير من اللؤم ، فلم يبد لنا شيئاً مما فى نفسه ، وعمل على مراقبتنا من حيث لا نشعر !!

يا مولاي

كنت في ذلك الوقت « ظبيا » في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمري ، ومع عدم المساس بفضيلة التواضع أرى أن لا مانع من الاعتراف أن « خلقتي » لم تكن لتقارن بـ .. أستغفر الله العظيم ، خلقة الصديق اللطيف على يوسف ، زد على ذلك أنني كنت موظفا مضمون الايراد ، في حين كان منافسي (يامولاي كما خلقتني)

كل هذه العوامل شدت أزرى وقوت سببي فاتفقت مع الغزال النافر ، على تمضية نهاية الاسبوع في الاسكندرية بعيدا عن على يوسف ورقابته القاسية

ومعروف أن يوم الاحد هو موعد العطلة الاسبوعية في البنوك، فحصل الرضا والاتفاق بيني وبين ... محبوبي !! على أن نغادر القاهرة ظهر السبت الى الثغر ، ثم نعود منه صباح الاثنين ولكن اسمع ماذا حدث ...

قبل موعد الخروج من البنك زارني في مكتبي الصديق على يوسف وألح على في أن أقرضه شيئا من المال لانه دعا بعض زملائه الى نزهة خلوية ، ولذلك يحتاج الى كذا من «الفلوس»!! فأعطيته ماطلب ... وأنا أحمد الله على « زحلقتة » وادعو بطول العمر لأصدقائه أولئك الذين شغلوه عني في هذا الظرف السعيد . وودعت أبا يوسف الى الباب وعدت الى مكتبي مطمئنا . وفي الموعد المحدد قصدت الى محطة سكة الحديد فوجدت « الكتكوتة » على أحر من الجمر في انتظاري على رصيف القطار الذي امتطيناه وقلوبنا ترقص فرحا

وسار القطار بنا ينهب الارض نهبا ونحن نحلم بالسعادة التي سترفف علينا بأجنحتها في الثغر الباسم !

ووصل بنا القطار الى الاسكندرية فنزلنا نسير وخلفنا « الشيال » يحمل حقيبتنا « المشتركة » وماكدت أسير خطوات

متأبطا ذراع المحبوبة ، حتى برز أمامي عزرائيل ! في ثياب الصديق
الملعون . . . على يوسف !! لقد اقترض اللعين مالى . . . واشترى
منه تذكرة السفر وجاء معنا في عربة أخرى بالقطار نفسه ،
وراح يستقبلنا هاشا باشا مرحبا ، وهو يمد يده لى بالتحية
شاكرا اياى على قيامى بدفع نفقات السفر ، لحضرته ولحضرة
بسلامتها « الست المصونة والجوهرة المكنونة » . . . التى استلبها
منى وتركانى أعض بنان الندم . . . ولات ساعة مندم !!

أصارك أيها القارىء الحبيب بأن الدنيا أظلمت فى عينى فى
تلك اللحظة . وأحمد الله اذ كنت خلوا من السلاح . ولم أكن
أحمل حتى ولا سكينه البصل ، فأغسل بها الشرف الرفيع من
الاذى !! وذهب العاشقان بينما ظللت واقفا فى مكانى ، حتى
دنت ساعة القطار العائد الى مصر فامتطيته وجئت أضرب
أخماسا فى أسداس !!

أحببت الدرام

ولنعد الى غرامى بالتمثيل

لم أكن فى هذا الوقت أميل للكوميدي ، بل كانت كل هوايتى
منصبه على الدرام وحده . وكنت أستظهر قصائد هيجو
وأشعار المتنبى ولزوميات أبى العلاء المعرى ، ثم أخلو بنفسى فى
المنزل ، وهات يا لقاء ، وخذ يا تمثيل ، حتى ضجت والدتى
وكاد « يهج » من البيت اخوتى . ومع ذلك فأننى لم أكن أعبأ
بمثل هذه العراقيل ، ومادمت أرضى هوايتى ، فبعدها الطوفان .
وفى سنة ١٩٠٨ استقال الاستاذ عزيز عيد من عمله فى البنك
وألف فرقته التمثيلية الاولى ، مشتركا مع الممثل القديم
سليمان الحداد . وقد احتلت هذه الفرقة مسرح اسكندر فرح
بشارع عبد العزيز . وكانت رواياتها تترجم عن الفرنسية
وكلها من نوع الفودفيل ، ولعل القراء الافاضل لم ينسوا بعد
روايات « ضربة مقرعة » و « الابن الخارق للطبيعة » و « عندك

حاجة تبلغ عنها » و « ليلة زفاف » . وهذه الأخيرة ترجمها
الاديب الكبير الياس فياض

وقد كنت بحكم ارتباطى برابطة الزمالة مع الاستاذ عزيز في
البنك عضوا في الفرقة ، وكانت تسند لى في هذه الروايات
ادوار ثانوية صغيرة . ولم يكن هذا ليضيرنى لانى - كما قلت -
لم أكن أميل لهذا النوع اطلاقا

وهنا كان اهمالى لعملى فى البنك قد بلغ حدا لا يحتمله أحد
والشهادة لله . فكم من ساعات بل أيام كنت أتغيبها وكم من
ممثلة كانت تفتح على مكتبى فى البنك - وخصوصا منية
القلب الست « ص ! »

ولم تجد ادارة البنك ازاء هذه الحالات الصارخة الا أن
تستغنى عن عملى . وأى عمل يا حسرة ؟ هو أنا كنت
باشتغل ؟ !

السنافور مفتوح !

لم يكن لى مثوى بعد هذا « الرفت » القاطع الا « قهوة
الفن » - أمام تياترو اسكندر فرح - أو منزل (حبيبة
الفؤاد) فى غيبة « صديق الطرفين » الاخ على يوسف !.

ومادام الحديث قد جرنا الى هذين الصديقين فلنعرج عليهما
بحادثة أخرى كاد يغمى على بعدها . ذلك أن الفتاة - باعتبار
ما كان - اتفقت وأياى على إشارة معينة هى أنها اذا وضعت
نورا فى النافذة ، كان معنى ذلك أن عليا بن يوسف غائب عن
البيت ، وأن فى وسعى أن أزورها ، والعكس بالعكس

وفى احدى الليالى تراءى لى أن نورا يشع من النافذة ،
فعرفت أن الطريق خال وأن السنافور مفتوح ، فخلعت حذائى
وتأبطته ثم صعدت درجات السلم بلا حركة ، وطرقت الباب
طرقا خفيفا جدا . واذا الفاتح !! الفاتح هو غريمى العزيز
على يوسف !!! الذى تناول الحذاء من يدي ، وتركنى أعدو ،
الى الشارع ببذلتى حافى القدمين !!!

٤ جنيهات شهريا

أعود الى قهوة الفن اياها . فأقول أننى اتخذت منها - بعد
فصلى من البنك - محلا مختارا . وبعد أيام صادفنى فيها
الاستاذ أمين عطا الله فعرض على أن أسافر معه الى الاسكندرية
بدال اللطعة اللى أنا ملطوعها ، لان أخاه الاكبر المرحوم سليم
عطا الله ألف فرقة هناك هى محل عطف البلدية التى تساعدنا
بإعانة مالية . وقبلت بالطبع هذا العرض ولا سيما أن المرتب
كان مغريا جدا . . . أربعة جنيهات مصرية فى الشهر ! وهو أول
مرتب ذى قيمة تناولته من التمثيل

كانت فرقة المرحوم سليم عطا الله معتزمة تمثيل رواية
(شارلمان الاكبر) ، ولما كان العرف يقضى اذ ذاك بأن يسند
دور البطولة الى مدير الفرقة - وهو سليم عطا الله - فقد كان
نصيبى هو الدور الثانى وهو دور شارلمان نفسه !

وتهيأت لى الفرصة التى كنت أرقبها من زمن ، وهى أن يسند
الى دور فى احدى الدرامات . وفى نهاية الفصل الثالث من
الرواية مشهد رائع وحوار بديع ، بين (شارلمان) وبين بطل
الرواية (سليم عطا الله) وقد أجهدت نفسى فى أداء هذا المشهد
وبذلت قصارى جهدى . فكان لى ما ابتغيت . اذ حالفنى
النجاح بشكل لم أكن أنتظره ، حتى لقد أفهمنى الكثيرون أننى
طفيت على البطل نفسه وأغرقتة فى لجة الاعجاب التى سبحت
فيها ظافرا

وحين أسدل ستار هذا الفصل ، هالنى أن جمهرة من
الفضلاء والادباء - وأغلبهم من أصدقاء مدير الفرقة - صعدوا
الى المسرح وقابلوا المدير فى غرفته ، وطلبوا استدعائى حيث
أجزاوا تهنئتى ، ونصحوا للمدير بالاحتفاظ بى ، لاننى سأكون -
على حد قولهم - ممثلا لا يشق لى غبار

وفرحت ، لا بل « ظقططت » بعد هذا المديح الذى انهال على من حيث لا احتسب . وفى صباح اليوم التالى استدعانى الاستاذ سليم مديرنا (رحمه الله) فقلت ياواد جاك الفرج ! وظللت اخمن وأحذر مقدار العلاوة التى سيتحفنى بها وان كنت أنا شخصيا قانعا بالجنيهاات الاربعة التى ربطت لى

وحبكت ازرار جاكتنى ، ودخلت على مديرى باسم متهللا معللا نفسى بالآمال قائلا فى سرى . . . انه يكفينى أن تكون العلاوة جنيها واحدا و « خلىنى » لطيف ، لان (الطمع يقل ما جمع) . وبعد هذا الحوار الظريف بينى أنا نجيب الريحانى وبين نفسى التى هى أماراة بالسوء ، ابتدرنى المدير قائلا بتلك الجملة الماثورة التى لا يزال صداها يرن فى اذنى : أنا متأسف جدا يانجيب افندى لان الفرقة استغنت عنك . . !

يا نهار زى الحبر يا أولاد !! استغنت عنى !! وهل يعتبر النجاح جرما يعاقب عليه الممثل ؟ واذا كان الامر كذلك فلم لم تصدر لى الاوامر قبل التمثيل حتى كنت ألجأ الى السقوط التام والفشل الزؤام ؟ !

نهايته . لم أجد فائدة من الاخذ والرد فأخذتها من قصيرها وعدت أدراجى الى القاهرة ، وفى قهوة الفن متسع للجميع !! ومن فات قديمه تاه !!!

عود الى الوظيفة

طال بى عهد الخلو من العمل ، فحفيت قدمائى سعيا ، حتى كانت سنة ١٩١٠ ، حيث عثرت على وظيفة فى شركة السكر بنجع حمادى فسارعت الى تسلم عملى هناك ، مبتعدا عن العاصمة وما فيها من شقاء ، تاركا خلفى ذلك الوسط الخبيث ، وسط التمثيل الذى أعشقه وأتمناه !!

وأظهرت نشاطا فى العمل بشركة السكر كان موضع ثناء رؤسائى وأعجابهم . وبسم لى الدهر بعد عبوس وحالفنى بعد

خصام ، وظللت أشق طريق المستقبل راضيا مطمئنا

ودام الحال على ذلك سبعة أشهر فاذا المثل الخالد : « عند صفو الليالى يحدث الكدر » . أقول أن هذا المثل تراءى لى شبحة بعد هذه الأشهر السبعة فقوض ما بنيت للمستقبل من قصور الآمال ، وحملنى توا من حال الى حال . هذا « الكدر » سببته واقعة . . . قاتل الله الشيطان . . . واقعة اذكرها هنا من باب التسجيل فقط ، وان كان الخجل يكسونى كلما طوح بى الفكر الى تلك الذكرى البعيدة ، ولكن ما باليد حيلة !!

كان باشكاتب الشركة رجلا مسنا اسمه (عم . ت) وكان رحمه الله على نياته واذا ضربه أحد على خده الايمن أدار له الايسر ، وكان كل همه أن يتلو الانجيل ويستوعب معانيه . وكان مسكنى مواجها لمسكنه وقد ولدت هذه الجيرة بيننا اتصالا وثيقا

كانت السيدة حرم (العم ت) على جانب كبير من الجمال . وكانت فى سن تسمح لها بأن تكون ابنة (للعم ت) لا زوجة له . كذلك كان الحال معى . والى هنا تسير المسألة فى مجراها الذى ترسمه طبيعة كل شئ

وفى أحد أيام الشهر السابع ، اضطرت الاعمال حضرة الباشكاتب الى السفر لمصر فى مهمة مصلحة ، واذا ذاك خلا الجو للشباب . وحلا له أن يمرح ، فحدث أن اتفقنا على ألا تغلق السيدة بابها الخارجى ، حتى أستطيع المرور فى منتصف الليل ! وتم الترتيب كما اتفقنا ، وذهبت السيدة الى مخدعها بعد أن تظاهرت أمام خادمتها أنها أقفلت الابواب . ولكنى لا أدري أى شيطان دفع بهذه الخادمة اللعينة الى القيام بعد ذلك واحكام القفل من الداخل . وحن موعد اللقيا فتسللت ، وما أشد دهشتى حين وجدت الباب موصدا دون غرامى وأحلامى . واستشرت الشيطان فيما أفعل فدلنى - قاتله

الله - الى منفذ في السقف (منور) تدليت منه ولكن الخادمة استيقظت في نفس اللحظة ، وظننتني لصا يسطو على المتاع ، فصرخت بصوتها المنكر ، وصححا الجيران ، ووفد الخفراء وألقى القبض على . وكانت فضيحة اكتفوا عقبها بفصلى من عملى فعدت الى محلى المختار فى قهوة الفن بشارع عبد العزيز

٤٨ ساعة جوع !

لم يعد لى مجال فى البيت بعد فصلى من شركة السكر ، لان والدتى كانت قد ضاقت بى ، فأقفلت بابها دونى . وأنا رجل لم أعتد أن أطأطأ هامتى أمام أى خطب . فما العمل ؟ وماذا أفعل لاحصل على القوت الضرورى ؟

أقسم أيها القراء الاعزاء أننى قضيت ثمانى وأربعين ساعة لم أذق خلالها للاكل طعاما . لا زهدا منى ، ولا أسفا على شىء ، ولكن لاننى لم أجد وسيلة أكتسب بها ثمن « لقمة العيش بلا أدام » . ومع ذلك لم أحن رأسى ولم تذلل نفسى ، وبقيت أنا كما أنا ويفعل الله ما يشاء

ولو كان أمرى قاصرا على الجوع وحده لهان ، ولكننى لم أجد كذلك مكانا آوى اليه كلما أدركنى الليل ، وذهب كل حى فى المدينة يلتمس الراحة فى فراشه . لذلك كنت أقضى الليالى وحيدا ، أمكث فى (قهوة الفن) الى موعد التشطيب فى الساعة الثانية من كل صباح ، ثم أغادرها الى كوبرى قصر النيل ، فأجوب اتجاه الجزيرة سائرا على قدمى ، حتى اذا أعيانى الكد والنصب ، استلقيت على الافريز جانبا وتوسدت حجرا من أحجار الطريق مستريحا ، الى أن ترسل الفزالة أشعتها ، فأستيقظ من نومى « الهنىء » وأعود أدراجى الى المقر الرسمى (قهوة الفن)

كنز ثمين !

وان نسيت فلن أنسى يوما قمت فيه من النوم ، وتلفت فاذا

تحت « وسادتى » كنز !! كنز ثمين ياسادتى لا يعرف قيمته الا
المفلسون !! هذا الكنز هو ... أتعرفون ماهو ؟ « قرش
تعريفه » !! وافرحته ! خمسة مليمات ... حته واحدة !!
ماهذا الفتوح ؟ وما هذه البشرى ؟ حقا ياسادتى اذا كان المثل
يقول « الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يشعر به الا المرضى » ..
اذا كان المثل يقول ذلك فاننى أخالفه ، وأقول : القرش التعريفه
كنز فى جيوب الاغنياء لا يحس به الا المفلسون
وعنها وسعت على نفسى فى الافطار ، وان شا الله ما حد
حوش .. ! فقد أكلت طعاما دسما عماده الفول المدمس والسلطة
والطعمية ، والعيش كمان ، لان أيامها كانت الدنيا مبجحة
و « القرش التعريفه » ثروة !!

نقولاً كارتير !

وفى احدى الليالى ، وبينما كنت أقطع الجزيرة كعادتى كل
مساء بعد تشطيب قهوة الفن ، كان الظلام حالكاً وكنت أتمس
مكاناً أستريح فيه ، فتعثرت قدمى بشيء تحسسته فاذا هو
انسان !! وحين استيقظ ، وجدت فيه صديقى العزيز
الكاتب المعروف الاستاذ محمود صادق سيف !! يا للدهية
ما الذى جاء بك الى هنا يا محمود ؟ فأجبنى بصوته الاجش
اياه : « هو الذى جاء بك أنت يانجيب !! »

قلت : اذن كلانا يسكن « فندقاً واحداً » ، وانطلقت منا
ضحكة عالية هتكت أسرار الليل ! وقمنا نسير سمويًا ، وكل منا
يشكو حاله لزميله . فاتفقنا على أن نتلاقى معا بعد منتصف
كل ليلة لنتسامر ، ونقتل الوقت فى الحديث قبل أن يقتلنا
جوعاً . وسارت الايام معنا سيرها العادى ، الى أن جاءنى الزميل
صادق سيف يوماً وهو مبتهج متهلل ، وقال : « اسمع
يانجيب ... فيه فكره عال ! يمكن ينصلح معها الحال . » ايه
هيه ؟ أجاب صادق : « ان صاحب مكتبة المعارف كلبنى أن

أعرب عن الفرنسية أجزاء بوليسية من رواية اسمها « نقولا كارتر » ، واتفق معي على أن أتناول منه نظير ذلك مائة وعشرين قرشا عن كل جزء ، وبما أن هذه الأجزاء ستصدر أسبوعية ، فسيكون هذا القسط من حقنا كل أسبوع . . وبما أنك تجيد الفرنسية كما أجيد أنا العربية فهيا بنا نشترك في العمل ونقتسم الثمن مناصفة ! »

وفي الحال نفذنا الفكرة وظللنا نتقاضى الاجر فرحين مغتبطين . ولعل مما يجدر ذكره في هذه المناسبة ، أن أقول أن صاحب مكتبة المعارف كان يدير فندقا في أعلى المكتبة ، فاتفق وایانا على أن نستأجر احدى غرف الفندق نظير مبلغ خمسة قروش عن الليلة ، وكان يخصمها من الاجر الذي نتقاضاه منه عن تعريب أجزاء روايات نقولا كارتر !! والطريف أن الحجرة كانت تحتوى على سرير ، وكنبة مفروشة ، فكان السرير بالطبع موضع نزاع دائم بيني وبينه على أن نتناوب احتلاله ليلة بعد أخرى ، بحيث ينام أحدهما فيه ليلة ، بينما يكون زميله نائما فوق الكنبه !!!

مهرب وممثل

وبعد فترة من الوقت قابلني الاستاذ مصطفى سامي ، وأبلغني أن فرقة شقيقه الشيخ أحمد الشامي تحتاج الى مترجم ينقل الى العربية روايات الفودفيل الفرنسية من نفس النوع الذي كان يعربه الاستاذ عزيز عيد وتمثله فرقته ، واتفقت أنا على الانضمام الى فرقة الشيخ أحمد الشامي ، كمعرب وممثل بماهية قدرها أربعة جنيها في الشهر

والفرقة كانت جواله تجوب مدن القطر من اقاصاه الى اقاصاه ، وكانت بطبيعة الحال اذا نزلت في بلدة اضطرت الى البقاء فيها اسابيع ، وربما اشهرا . فنزول افرادها في فنادق كان من المتعذر جدا لان هذا يكلف الفرقة مصاريف باهظة . ومن ثم

كانت الادارة تعتمد الى استئجار بيت من (بابه) ينزل فيه الجميع ويطلق عليه اسم « بيت الادارة »

ولما كانت هذه البيوت غير مفروشة ، فقد كانت تصدر الينا التعليمات من ادارة الفرقة ، قبل مغادرتنا القاهرة ، كى يستعد كل منا بما يحتاجه من « مراتب » ومخدات و « الحفة » ، وكم كان منظرنا باعشا على الضحك حين كنا نلف المرتبة والمخدة واللحاف فى « بقجة » ونقصد الى محطة السكة الحديد

نزلنا أولا فى بنى سويف ، وصحبت « بقجتى » الى البيت الذى قادونا اليه « بيت الادارة » . وبعد بنى سويف انتقلنا الى غيرها ، وظللنا كالمستكشفين بلد « تشيلنا » وبلد « تحطنا » حتى أتينا على آخر حدود مصر فى أقصى الصعيد . وقد كان الناظر الى بيت الادارة فى أى بلد من البلاد ، يتراءى له فريق من المهاجرين لفظتهم أوطانهم وراحوا يبتغون العيش فى بلاد الله . . . لخلق الله !

مكوجى أرضى

ولما كنت من صفرى أحب (أتعاق واتهندز) ، فقد كان يضايقنى أن تقصر يدى دون الحصول على أجر مكوى ملابسى . ولكن كانت الحاجة تفتق الحيلة . ومادامت هناك « مراتب » أرضية فقد أغنانى الله عن المكوى ، وتعسف المكوجية ، ذلك أننى كنت أرتب « البنطلون » ترتيبا منظما كما يفعل « المكوجى » ، وأضعه بهذه الكيفية تحت « المرتبة » ، فاذا نمت فوقها فعلت بالبنطلون نفس ماتفعله المكواة . وفوق كل ذى علم عليم ! أما المشاجب ، أو بالعربى الذى نفهمه نحن وأنتم « الشماغات » ، فلم تكن لنا بها حاجة . ففى الجبال التى كنا نمدّها فى الغرف متسع للجميع ، اذ كنا نعلق ملابسنا ، أو بمعنى أصح ننشرها فوق هذه الجبال كما يفعل العرب الرحل الى وقتنا هذا . وأعود الى العمل فأقول أننى ترجمت للفرقة

رواية « الابن الخارق للطبيعة » ورواية « عشرين يوما في السجن »

وبعد أن « شطبنا » على الوجه القبلى عدنا ادراجنا الى القاهرة ، لا لنحط بها الرحال ولكن لنستعد الى غزو « الوجه البحرى » وقد كان ، اذ قمنا من فورنا « وفتحنا » طنطا !!

فى (بيت الادارة) بطنطا ، وفى الساعة العاشرة من صباح أحد الايام ، بينما كنت أقوم بعملية « التمرغ » فوق المرتبة اتماما لكى ينظلونى ، اذ طرق الباب طارق ، وفتح أحد زملائى ، فاذا الطارق والدتى بعينها !!

واكسوفاه ! واخجلتاه ! لقد كنت والله أتمنى أن تشق الارض فى تلك اللحظة وتبتلعنى حتى لا ترانى « أمى » على الحال التى كنت بها ، خصوصا واننى كنت (عامل أبو على) طالع فيها ، ومتظاهر بأننى فى غير حاجة الى أهلى ماداموا ينكرونى ، ويرون فى التمثيل رأيا لا أقرهم عليه . وقد سبق أن قلت بأننى كنت مطرودا من بيتى ، لان والدتى ساءها أن أكون ممثلا ...

تصور ياسيدى القارىء حالى فى اللحظة التى اقتحمت فيها والدتى (بيت الادارة) ، وشاهدت مايحوى من (موبيليا فخمة) وأثاث فاخر ، وأنا الذى لم أحن رأسى فى الماضى لارادتها ، ولم أطأطأ قامتى ، لادخل فى روعها اننى على أحسن حال فى عملى ، ولست محتاجا لخير يأتينى على يد أهلى ! أقول تصور هذا ، ثم احكم بعد ذلك على الظرف القاسى الذى كنت فيه حين وصولها ، لاسيما وانها لم تدبر جهدا فى اظهار نوع من العتاب هو اقرب الى الشماتة منه الى أى شىء آخر !

والآن دعنى اشرح لك سبب مفاجأة والدتى فى هذا الحضور الذى لم اكن اتوقعه

وصل خطاب لى بعنوان المنزل (فى القاهرة) من شركة السكر

(بنجع حمادى) تدعونى فيه للعودة الى استئناف عملى بها ، ورأت والدتى أن تحمل الخطاب بنفسها الى ، اذ دار بخلفها أننى ربما رفضت أن أجيب الشركة الى طلبها ، واذا ذاك تعمل هى (الوالدة) على ضرورة اقناعى بهجر التمثيل ... الى صفته كيت وكيت ... من مآثور الكلمات التى كانت تخلعها الوالدة على هذا الفن ... الغلبان !

حيلة .. !

أما كيف طلبتنى الشركة بعد استغنائها عنى على اثر الحادث اياه ، فقد كان هذا موضع دهشتى الى أن وقفت على سر الامر أخيرا . واليك البيان :

حدث بين بعض موظفى الشركة وبين العم (ت) خلاف استحكمت حلقاته ، ولكنهم لم يتمكنوا منه ، ولم يجدوا سببا مبررا لفصله من عمله ، فهداهم تفكيرهم الى استعمال الحيلة كى يحملوه على الاستقالة

والحيلة هى أن يعيدونى الى عملى بالشركة ، واذا ذاك لا يجد غريمى العم (ت) مناصا من هجر الشركة ، لا بل من هجر البلدة بما فيها . ان لم يكن اتقاء للفضيحة ، فخشية تجدد الماضى بين روميو (الذى هو أنا) ، وبين جوليت (وهى الحرم المصون)

قلت أن والدتى حملت الى خطاب الشركة ، وذلك بعد أن أضناها البحث عن مقر الفرقة التى أعمل بها . فكم وجهت السؤال الى هنا وهناك ، وكم نقبت عن أسر الممثلين تسألهم عن أخبار أبنائهم ، وأين يحطون الرحال . وأخيرا اهتدت الى أننا نقيم اذ ذاك فى طنطا ، فجاءت على عجل

عودة الى الوظيفة

لم أتوان بعد الاطلاع على خطاب الشركة فى جمع عزالى ، وهى عبارة عن المرتبة واللحاف والمخدة والكام هدمه ، والعودة

سريعا الى القاهرة ، تاركا الجمل بما حمل ومنها الى نجع حمادى
حيث استلمت عملى ، وأنا أقسم جهد ايمانى اننى لن أعود
الى التمثيل مهما حدث ، ومهما كانت الاسباب !! فهل بررت
بقسمى هذا أم حنت !!

قدمت أن السبب فى استدعاء الشركة لى هو تطهيق العم (ت)
ليأخذها من « قصيرها » ويولى الادبار !! ولذلك رأى الرؤساء
من باب النكايه فيه ، أن يجعلوه تحت رياستى ، وأن يكون من
اختصاصى أن أراقب أعماله !!

ومع ذلك لم يأس العم (ت) ، ولم يتبرم بهذه التصرفات ،
بل لم يحرك ساكنا . . . وأخوك ثقيل ! وقد رأيت أن « أتلّم »
شوية والايمةا ، فعاملته أحسن معاملة ، وصرنا من هذا الحين
أصدقاء أعزاء

واتجهت بكليتى الى اتقان عملى ومراعاة الواجب فارتفعت
بأخلاقى الى مستوى لا بأس به . وفضلت فيما يختص بعلاقاتى
بالجنس اللطيف أن أترك ما لقيصر لقيصر ، وأن أخلىنى لطيف ،
وبلاش « المسخرة » بتاعة زمان . وقد كان ! ولم يمض وقت
طويل حتى حزت ثقة مدير الشركة وغيره من الرؤساء ، فارتفع
بذلك مرتبى الى أربعة عشر جنيها فى الشهر

اغراء

وظللت قرابة العامين هائثا بعيشى راضيا بما كتب لى فى
سجل الحياة . ونظرت فاذا بى أقتصد من هذا المرتب فى تلك
المدة مبلغا يزيد على مائتى جنيه . ولما كان عام ١٩١٢ تسلمت
- وأنا فى نجع حمادى - خطابا من الاستاذ عزيز عيد (وكان فى
القاهرة طبعا) يخبرنى فيه أن التمثيل قد ارتفع شأنه ، وأن
الاستاذ جورج أبيض عاد من أوربا ، وهو ينوى تأليف فرقة
بعد أن تلقى الفن فى الخارج على نفقة صاحب السمو
الخدو وان . . . وان . . .

وبعد تلاوة الخطاب أقول لك الحق ، (زقزق) عقلى . وازنت بين ما يحويه هذا الخطاب من مزخرفات ومشوقات ، وبين ما أنا فيه من نعمة شاملة وراحة كاملة . وأخيرا فضلت البقاء فى نجع حمادى ، ولتفعل فرقة جورج أبيض بالممثلين ما تشاء ومر بعد ذلك وقت بدأت أرى فيه الصحافة تهتم بالتمثيل ، والجرائد اليومية تكتب عن فلان وفلان من زملائى ، وتأتى على ملخصات للروايات التى تعرض ، وكيف أن فلانا أجاد دوره ، وأن السيدة (فلانة) بلغت فى دورها حدا بعيدا من الاتقان أقول كنت أقرأ هذه الاشياء وأنا قابع فى نجع حمادى ، فخارت قوة المقاومة فى نفسى ، ولم أعد أحتمل البقاء فى أقاصى الصعيد ، تاركا هذا العالم الجديد يفتح ذراعيه لزملائى الاقدمين فعولت على الحصول على أجازة أقضيها فى القاهرة لارى عن كسب هذا الفن الذى أزهرت أيامه ، وارتفعت أعلامه

وجئت الى القاهرة بأجازة شهرين ، وكنت أحمل فى جيوبى اذ ذاك مائتين من الجنيهات الذهبية الصفراء ، كانت كل ما ادخرته من مرتبى فى السنوات الماضية . ورحت أشاهد تمثيل جورج أبيض ، وأتوسع فى الانفاق هنا وهناك ، كمن ينتقم من أيام « الجفاف » التى أمضيتها فى الصعيد

ولم تأت نهاية الاجازة الا بعد أن أتت على آخر قرش أبيض من قروشى المدخرة للأيام السوداء . وأخيرا اقترضت أجرة القطار الى نجع حمادى فى الدرجة الثالثة يعنى « ترسو » . وكان الله بالسر عليما

حنين الى الفن

وهناك ساءت أحوالى ، وعادت (غية) التمثيل تتراءى لى فى الغدو والرواح ، فلم يهنا لى بال ولم يرتح لى فؤاد . وأذكر أن صديقا لى هو الدكتور جودة (طبيب الأسنان المعروف الآن) كان معى فى نجع حمادى ، فكنت أجبره على الانصات لى ،

حين كنت اقف امامه لألقى قطعة تمثيلية مما رأيته اثناء زيارتي
الاخيرة للعاصمة ، فأقلد تارة جورج أبيض وتارة أخرى عزيز
عيد أو أحمد فهمي ، أو غيرهم من كبار الممثلين !!
وكم ضاق بى الدكتور جودة ذرعا ، وعمل على التهرب منى
حين كنت أجبره على سهر الليالى ، لا فى طلب المعالى ، بل فى
وجع دماغه بأقوال لويس الحادى عشر ، وصرخات القائدالمغربى
عطيل ، وتأوهات الملك أوديب وغيرهم من بقية الشلة المحترمة
التي يتزعمها أستاذنا الكبير جورج أبيض

جمهورية الاول

وهكذا كان صديقى الدكتور جودة بمثابة (الجمهور) ، الذى
ألقى عليه ما اقتبسسته من قطع تمثيلية ، علقت بذهنى حين
كنت أشاهد روايات فرقة الاستاذ جورج أبيض الاولى
لم يكن حظ « جمهورى » المسكين ، (وهو الدكتور جودة)
مقصورا على سماع مقتطفاتى « الابيضية » ، بل كنت أعمد
أيضا الى تأليف منولوجات وأزجال مثل معنى فيها ، وأغان
ومنشورات فنية كنت أحمله « بالعافية » على سماعها ، فاذا
« زعل » فان نهر النيل يمر بنجع حمادى ، وماؤه والله الحمد
غزير فليشرب منه من يشاء .. !

وشاء الله بعد فترة من الزمن أن يزداد « جمهورى » ، وأن
يجد الدكتور من يحمل العبء عنه والصعب دونه ، اذ وفد
على نجع حمادى المهندس الظريف الاستاذ محمد عبد القدوس
منقولا الى مدرسة الصنائع هناك

اثتلفنا اذ ذاك اثتلافا تاما ، وتسلينا بكل مافى هذه الكلمة من
معنى ، وتباحثنا كثيرا فى فنون « الدردحة » . ولست أدري
اكننت أتلقي هذه الفنون على يد كندس ، أم كنت ألقنه اياها .
ولكننى اعترف على كل حال أنه كان « مدرّج جاهز » قبل أن
ينزل ركابه فى بلدة نجع حمادى

كان عبد القدوس من هواة التمثيل ، وكان حاله كحالى فى جنون الفن . ولذلك كانت كل اجتماعاتنا جنانا فى جنان !
فهو يلقي على منولوجا مثلا ، بينما كنت انا اجلس منه فى مكان « الشعب » من الممثل ، ثم يأتى دورى فالقى قطعة تمثيلية يحتل هو فى اثناء القارئ مكانى . . . بصفة « متفرج » وهكذا ، الى ان يأذن الليل بالرحيل . وكم من سهرات لطيفة ونزه ظريفة ليس من حقى (وحدى) ان اغامر بوصفها ، وان كنت من ناحيتى اسمح للصديق عبد القدوس ان يتولى عنى هذا الوصف ! ؟

ولم يطل مقام كندس فى نجع حمادى ، بل غادرها منقولا او مرفوتا لست أدري ، وانما الذى أدريه انه ترك وحشة وفراغا لم أكن أتوقعهما

منوم مغناطيسى

وتدافعت الايام متشابهة ، الى ان وصل لنجع حمادى رجل اجنبى ومعه زوجه (وهى فرنسية) وكان الرجل منوما مغناطيسيا ، أتى يحيى بعض حفلات فى « البندر » . كنا نشاهده فيها يقوم ويؤدى بعض تجارب مستغربة من النوع الذى نراه من « الحواة » وأمثالهم

على ان موضع الدهشة من الامر هو تمكن زوجه من علم الكف ، اذ كانت حين تتفرس فى كف انسان ، تقرأ ما فيها وكأنها تتلو من كتاب بين يديها . وكم تمنيت ان أريها كفى ، ولكن المبلغ المحدد لذلك كان مبالغا فيه . ولذلك فضلت التريث عسى ان يبعث الله بالفرج ! ؟

وفى احدى الليالى ذهبت فى « شلة » كبيرة من الاصدقاء الى حضور حفلة لذلك « المنوم » ، وبعد انتهائها تقدم الزوج يعلن انه سيوزع تذاكر « لوتريه » ثمن الواحدة عشرون مليما بينها تذكرة واحدة تكسب ؟

وما هو المكسب . . !

هو أن يزور صاحبها عصر اليوم التالى مقر هذا الزائر كي
تقرا المدام كفه ، وتطلعه على ماخفى من أمره
واشتريت كغري تذكرة ، وأنا أدعو الله أن أكون الفائز ، لأننى
كنت - كما قدمت - فى شوق زائد الى هذه « العملية » !
ولما انتهى توزيع التذاكر ، وتدافع الاصدقاء وغيرهم لحضور
عملية السحب ، بقيت فى مكانى مشفقاً
وظهرت النتيجة فاذا الفائز زميل لى فى الشركة اسمه عبد
الكريم أفندى صدقى

وبعد أن قمت بعملية « لعن سنسفيل » أبو الدهر القاسى
والحظ العاثر ، لم أجد بداً من الذهاب الى عملى فى الشركة
كالمعتاد . فلقينى زميلى عبد الكريم صدقى ينعى حظه الذى
(مش ولا بد)

وأخيراً فرجت . . !

الله ازاي ياسى عبد الكريم ؟ انت امبارح كسبان « لوتريه »
تسوى الشئ الفلانى ، والنهاردة العصر عندك « رنديفو » .
الله أكبر ناقصك ايه ياخوى ؟

وأجابنى الصديق قائلاً : « ما هو ده اللى مجننى . لانه صدر
لى امر بالسفر دلوقت حالا للمأمورية لا تنتهى الا بعد أسبوع ،
والرجل وامراته يغادران نجع حمادى غدا . ولم يبق على
القطار الذى استقله غير دقائق معدودات !! »

وما أن سمعت هذه « البشرى » ؛ حتى قلت فى نفسى جاك
الفرج يا أبو النجب !!

وقبل أن أنبس ببنت شفة . واصل الصديق حديثه قائلاً :
« وبما أننى مش رايح استفيد من التذكرة دى فخذها
انت وروح شوف بختك عند الوليه وجوزها » !!

ثروة أضعفها

عند العرافة

تناولت التذكرة التى « عليها العين » ، وقبل الموعد المحدد كنت بين يدي الرجل وجلست المدام تقرأ كفى . ويا للغرابة والدهشة !

اننى لم أعود فى حياتى أن ألقى القول جزافا ، كما اننى لست ممن يصورون من الحبة قبة ، بل ولا أميل الى التهويل والمبالغة فى الوصف . . فهل تصدقنى - أيها القارئ - اذا قلت لك : ان هذه السيدة أخبرتنى بأشياء حدثت لى فى الماضى ، كما لو كانت معى ، وأنها قصت على ظروف خاصة اجتزتها بنفس النمط الذى ذكرته ؟ حقا لقد خيلت عقلى بما ألت الى من تاريخ حياتى الماضية ، وتركتنى ذاهلا أفكر كيف يمكن لامرئ مهما بلغ عمله أن يقف على مثل هذه التفاصيل الدقيقة المدهشة ؟ !!

وبعد ذلك تنبأت لى بما سيكون عليه مستقبلى !

كان ذلك عام ١٩١٣ ، وأقسم بالله غير حاث اننى ما زلت طيلة هذه الاعوام التالية حتى الآن أجتاز من ادوار حياتى مراحل سبق أن تنبأت لى بها هذه السيدة !

كنت أيامها موظفا بسيطا فى شركة السكر اتقاضى مرتبا لا يزيد على أربعة عشر جنيها ، ولم يكن امامى ما يبشر بصلاح الاحوال أو تبدل الايام ، ومع ذلك فقد قالت لى أن حياتى

عبارة عن ضجة صاحبة ، وأن أموالا كثيرة ستداولها يدي ،
واننى سأنتقل من فقر الى غنى ومن غنى الى فقر ، ثم يعود
الغنى ، ثم ... وهنا خانتني الذاكرة بكل أسف ، اذ لست أعى
تماما ما انتهى اليه تنبؤها ، وهل أوصلتني فى اخرياتى الى
هضاب الفقر المدقع ، أم الى وديان الثراء الممتع ؟ !

على اننى رحت أجول بالذاكرة فى تأويل هذه التنبؤات فاما
الفقر ... فهذا شىء متوفر والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه
سواه . واما الغنى ، فمن أين يأتينى ياترى ؟

فتشت عن قريب لى من ذوى الثراء ، ورحت أبحث عن
شجرة العائلة ، وأدرس أصولها وفروعها ، لعلنى أعثر على
واحد بينهم لا وريث له قائلا : « يمكن ياواد يشوفك فى وصيته
بحسبة كام ألف مصرى يبجبحوك » . . آمال بس منين رايح
يجينى الغنى يا اخواتى أن ماجاش بالطريقة دى ، هل يأتى
من التمثيل ؟ اسم الله . . ده اخوانا باسم الله ماشاء الله مكانش
يلف الشهر الا والجمعيص فيهم يستلف قد ماهيته مرتين !!

نهایتہ لم يفدنى التفكير شيئا ، ولم يسعفنى قاموس الاسرة
ولا شجرتها المباركة ، بما يروى غليلي ، فتركت الامور تجري
فى أعنتها ونمت بعد ذلك خالى البال هادىء البلبال !

طيب البال عرفناه ، ولكن البلبال ايه كمان ؟ والله ما انا
عارف . لم يقتصر ما أفضت به الى هذه العرافة على موضوع
الفقر والغنى ، بل باحت لى بأشياء سرية فى حياتى الخاصة .
وأصارحكم ياسادتى أن هذه الاشياء وقعت بحذافيرها بعد
سنوات من ذلك التاريخ !

أخاف السيارات

هذا ولعل احدا يتساءل عن السر فى عدم اقتنائى السيارة
السبب أن هذه العرافة المدهشة تنبأت بأن هناك تصادما
سيحدث لسيارة اكون فيها ! ومع انها ذكرت لى . ان « ربنا

ان شاء الله ، حاجيب العواقب « سليمة » ، الا اننى خشيت
من ذلك اليوم ، فامتنعت بتاتا عن اقتناء سيارة لنفسى . كما
اننى اذا دعيت لركوب احدى سيارات الغير ، او حتى سيارة
« تاكسى » ، اتوسل الى السائق بكل عزيز لديه ان يرحم
شباب العبد لله ، وأن يسير على اقل من مهله ، لانى مش
مستعجل أبدا .. !

ومش مستعجل هذه ... اقولها دائما كلما ركبت سيارة ،
حتى ولو كان باقى على القطار الذى سأسافر فيه دقيقة
واحدة . وكلمة فى اذنك ايها القارئ الحبيب لم اقلها لغيرك
والله الى اليوم . تلك هى اننى افضل دائما ركوب عربات
الخيول ، لا رفقا بالعربجية بل حرصا على حياتى الغالية !
والحنطور فوقك يا اتومبيل !

خطاب مستعجل

وغادرتنا العرافة . ثم مضت بعد ذلك فترة زاد فيها اعتقادى
بصحة نبوءاتها لان الكثير منها كان قد تحقق فى خلال تلك
الفترة :

وفى صباح أحد الايام - وكنا فى عام ١٩١٤ - تسلمت وانا
فى مكتبى بادارة شركة السكر فى نجع حمادى اشعارا بوصول
خطاب مسجل (مسوكر) باسمى ، فوقعت بامضائى هذا
الاشعار وقلبي يرقص فرحا ، لاننى ذكرت ما قالته لى قارئة
الكف من انه سيأتى على وقت اللعب فيه « بالفلوس » - لعب .
وهنا اتعبت فكرى فى البحث عن مصدر هذا الخطاب « المسوكر »
واذا كانت فيه اموال فمن اين ات ياترى ؟

اقول ان افكارا كثيرة دارت فى راسى دون ان اهتدى الى
حل هذا اللغز . واخيرا قلت فى نفسى ، اصبر ياواد حبتين .
ويكون الجواب فى ايديك ، ويا خبر بفلوس بكره يبقى بلاش !
وصبرت على نار الى ان اشرقت انوار ساعى البريد ، فخطفت

منه الخطاب خطفا وفضضته استعدادا لاجراج الشيكات التى
احتواها المظروف !! ولكن ... آه ... قاتل الله « لكن »
هذه التى تقلب الاوضاع وتعكس القصد على القاصد !
أتدرون يا سادتى ... من أين صدر هذا الخطاب
المسجل ؟

من المكتب المجاور لمكتبى !! من مدير الشركة ! وهل تعلمون
ماذا جرى ؟

زفت من خدمة الشركة بسبب كيت وكيت وكيت . وهذه
« الكيتات » ليس فيها بحمد الله مايخل بالنزاهة والامانة ولكن
فيها ... بكل أسف ... ما فيها والسلام !

وأبصرت أمامى فاذا ساعى البريد واقفا ينتظر البقشيش !
وما فيش لزوم لشرح ماجرى له بالتمام والكمال !
نهايته . نقدتنى الشركة ماهية ثلاثة أشهر كمكافأة ، وقد
بلغت قيمتها بعد خصم الوفورات التى كنت أقتصدها من
الماهية الشهرية مبلغ سبعين جنيها . كانت كل زادى وعتادى
الذى عدت به من نجع حمادى الى القاهرة . وهو كما ترى
مبلغا لا بأس به اذا قيس بما عاد به زميلى الطيب الذكر حنين
من خفين !

عودة الى القاهرة

وصلت الى القاهرة أحمل هذا المبلغ . فكان أول ما اتجه
اليه فكرى هو البحث عن الزملاء الاقدمين والصحب الاولين
وكانت ثروتى هذه ... وما لازمنى من « الوجاهة » اياها
سببا فى أن يلتف حولى رهط منهم . آل يعنى الواد وارث !
وهات يا بعزقة ، وهات يا صرف الى أن صحوت فجأة فاذا
مابقى بعد الاسبوعين الاولين مبلغ وقدره ستة وعشرون جنيها
فقط لا غير ! وبعدين اذا صرفتهم أعمل ايه وأسوى ايه ؟ وأكل
منين ؟ وأنا يا مولاي كما خلقتنى . ولا فيه شغلة ولا مشغلة !

وبناء عليه أصدرت فيما بينى وبين نفسى قرارا صممت على تنفيذه . وهذا القرار هو أن الأيمها بالتى هى أحسن وألم أيدى شوية . وأنقذ مايمكن انقاذه من القرشين اللى فاضلين . وكفاية على ريال فى اليوم أكل وشرب ومصاريف نثرية . وبهذه الطريقة آمن شر الدهر الخئون لغاية مايحلها من لايفغل ولا ينام !

وبعد اصدار هذا القرار بساعة وعشرين دقيقة تماما قصدت الى حيث كانت تعمل فرقة الاستاذ جورج أبيض (على فكرة) كان مصرحا لى بالدخول مجانا كأرتست . فدخلت الصالة وجلست أشاهد رواية (أوديب الملك) وبينما أنا أذرف الدمع سخينا على هذا الملك المنكوب اذ وفد الاستاذ سليم أبيض (شقيق أوديب) ومدير ادارة الفرقة وجلس بجانبى . وحين رآنى متأثرا ، فاتحنى بحقيقة مرة كان أثرها فى نفسى أبلغ من أثر الفكرة التى حلت بأوديب المسكين !

هذه الحقيقة هى أن ايراد الفرقة خسع خالص ، والليلة لازم الممثلين يقبضوا القسط ، والادارة مش لاقية تقبضهم . وعلشان كده قصدتك يانجيب فى حسبة خمسة وعشرين جنيها بس ، ندفع منهم قسط الممثلين وتأخذهم بعد يومين اثنين . يومين بالعدد . وأخويا جورج ضامن يانجيب !

وهنا أسقط فى يدى ، ولعنت الظروف التى قادت قدمى الى المسرح فى تلك الليلة الليلاء التى قررت فيها بدء حياة جديدة للتدبير والاقتصاد . ولم يكن هناك بد من الاعتذار ، فاعتذرت بالطبع وكلما تكرر الرجاء تمسكت بالاعتذار . ولكن قوة الاستاذ سليم أبيض فى الاقناع ، وبراعته فى وصف الحالة الراهنة من جهة ، ومحبتى للفن من جهة أخرى ، هذه العوامل لم تدع لى سبيلا كى أرفض فقلت له : « اسمع ياخواجه سليم . . . مفيش فى جيبى غير ٢٦ جنيها ، فاذا كنتم غاوزين ٢٥ جنيها على شرط انكم ترجعوهم بعد يومين صحيح فأنا مستعد . .

واهو الجنيه الفاضل يكفينى اليومين دول «
واقع من السماء

وظهر أن « سليم أبيض » كان فى هذه اللحظة واقعا من السما ، وأنا الذى تلقفته . لاننى أحسست أن ماء الحياة قد عاد الى وجهه ، فوعد ووعد ، بينما قلت فى نفسى : « يا واد الفلوس رايحين رايحين فخليهم يروحوا بالجملة أحسن من سلسلتهم بالقطاعى ! »

وتناول الخواجه سليم مبلغ الخمسة والعشرين جنيها فى التو واللحظة ، وترك فى جيبى جنيها يقضى الليالى وحيدا بعدهم !

فلما أحسست بالنكبة التى حلت بى اذ ذاك رحت أضرب أخماسا فى أسداس . وأندم على ما فعلت ، ولات ساعة مندم وانقضى الموعد المضروب فذهبت الى الخواجه سليم أرجو وأتضرع شاكيا مرارة الزمن وشدة الحاجة ، لكن أخوك «تقيل» فلا جواب غير : « الصبر طيب يا أخى . هو احنا حناكلهم عليك والا ايه ؟ » فأقول له : « لا ياسيدى أنا عارف انكم مش رايحين تاكلوهم على . لكن أنا شخصيا عاوز آكل بهم ، والا يعنى عاوزين آكل طوب ! »

ولم تفد الالتماسات . بل لم يرق الخواجه سليم لحالى . الى أن أتيت على آخر ملهم من الجنيه (اليتيم) الذى أبقاه لى سليم أبيض . وكنت أسكن فى مصر الجديدة ، فاضطرت والحالة هذه الى اقتراض نصف فرنك قيمة أجرة المترو ، ولولا ذلك لافترشت الغبراء والتحفت السماء كما يقول الشعراء !

على الحساب

نهايته . بعد عشرين يوم كاملة ، بدأ الاستاذ سليم يشعر نحوى بعاطفة الشفقة والرحمة ، فكان يعطينى بين يوم وآخر

شلنا ، أو نصف ريال (على الحساب) .. وأذكر أن أكبر دفعة تناولتها على الحساب كانت ثلاثة عشر قرشا عملة صاغ ميري . فتصور ياسيدى القارىء كم من الاعوام يجب أن تمر لاستهلاك دينى اذا سار السداد على هذه الوتيرة ؟

شغل فكرك واستعن باللوغارتمات وحساب المثلثات ، ثم نبئنى بالنتيجة ...

وبعد أن أقرضت فرقة الاستاذ جورج أبيض ٢٥ جنيهها مصرى ولم يبق معى من المبلغ الذى عدت به من نجع حمادى غير جنيه واحد ، وبعد أن قبلت الدفعات التى كان الاستاذ سليم أبيض يحن بها على ، من شلن لنصف ريال الخ ... بعد ذلك تألفت فرقة (أبيض وحجازى) ، وكان على رأسها بالطبع الاستاذان جورج أبيض وسلامة حجازى . ولم يكن يدفع للممثلين اذ ذاك أجر معلوم ، بل نص الاتفاق على أن يكون العمل بالمساهمة ، أى يربط للممثل عدد من الاسهم ثم يوزع الايراد على الاسهم ، وكل واحد وبخته بقى

عرض على الاستاذ جورج أن انضم الى الفرقة ممثلا ويمكن يفرجها ربك وتفوز بحقك !

وقبلت هذا العرض ، وكل أملى أن افوز بجزء من مالى الضائع ، الذى سبق أن اقترضه منى سليم أبيض لدفع أجور ممثلى فرقة أخيه . لكن كانت النتيجة وبوالاسف ، هى نفس النتيجة التى فاز بها ابليس حين طمع فى الجنة

رأيت بين افراد الفرقة السيدات روزاليوسف وسرينا ابراهيم ونظلى مزراحى وغيرهن ، ثم الاستاذ عمر وصفى ومحمود رحى وفؤاد سليم وعبد العزيز خليل وعبد المجيد شكرى ، و « شلة » من قدماء « المنشدين » ، مثل الشيخ حامد المغربى وغيرهم . وجدت نفسى « تقلية » بين هؤلاء السادة النجب ، اذ ظهر لى أنهم كانوا يثنون من مصيبة الاسهم

والايراد ، فما بالك اذا زادوا واحدا يعتقدون انه سيققطع جزءا من الايراد ، تنقص به حصة الجميع بمقدار ماستنال أسهمى من نصيبه ؟ ولا سيما أن ايراد الواحد منهم ، أو حصة أسهمه جميعها ، لم تكن لتصل فى كثير من الاوقات الى اكثر من ٣٥ قرشا صاغا أميريا لاغير ؟

القصد . بدأ زملائى الاعزاء فى توضيب « المقابل النضيفة » للعبد لله . ولم أكن فى ذلك الوقت أعرف عنها كثيرا ولا قليلا ، اذ كان الوسط جديدا على كما كنت أنا جديدا عليه

وكان بطل « شك المقابل » وانتقاء النكات « المستوية » فى مادة « التأليس » على محسوبكم الفقير اليه تعالى ، هو والدنا الاستاذ الافخم عمر وصفى

لقد كان يهون على والله كل شىء ، وكل شقاء ، اللهم الا ذلك النوع من « التأويز » و « المسمسة » و « التهزىء » اللى مافيش منه

أنا ملك النمسا

وكان علينا فى احدى الليالى أن نمثل رواية (صلاح الدين الايوبى) ، وكان الاستاذ جورج يضطلع فيها بدور (قلب الاسد) بينما اختاروا لى دورا صغيرا حقيرا ، هو دور (ملك النمسا) . وكل ما يفعله هو أن يقف من جورج أبيض موقف المبارز ، ويتكلم اللى فيه القسمة . كده ، كلمتين قول ثلاثه ، وكان الله يحب المحسنين

كانت الحرب الكبرى قد أعلنت فى هذه الآونة ، وكانت الصحف والمجلات المصرية والاجنبية تنشر صوراً لملوك الدول المتحاربة ، ومن بينها صورة الامبراطور (فرنسوا جوزيف) امبراطور النمسا فى ذلك الحين

وقد تراءى لى أن اتقمص شخصية هذا الامبراطور ، مادام دورى هو (ملك النمسا) ، فأقفلت على نفسى باب حجرتى

بالمسرح ، وجلست أمام المرأة ورحت التمس في عقاير الميكياج ومعداته ، ما جعلنى الامبراطور جوزيف بعينه وبلحيته المتدلية على جانبى وجنتيه الى أسفل ذقنه ، وكأنها « معرفة » الاسد وحين جاء وقت ظهورى على المسرح لم يتمالك الناس أنفسهم من الضحك ، حتى أن الاستاذ جورج أبيض لما دخل المسرح ثائرا فى دوره (قلب الاسد) وفوجيء بمظهرى هذا ، تبخرت حماسته وانطفأت شعلته وأحسست أنه يغالب عاصفة من الضحك تكاد تنفجر على شفتيه وبين أسارير وجهه !! كل ذلك وأنا واقف فى مكانى لا أبتسم ولا أخالف طبيعة الموقف .. آل يعنى الفن واخذ حده قوى ... مع ملك النمسا !!

أقول إن جورج دخل ثائرا وهو يصرخ مرددا كلمة (قلب الاسد) المأثورة : « ويل لملك النمسا من قلب الاسد » ولكن ويل ايه وبتاع ايه ... ماخلاص جورج ما بقاش جورج والمسرح بقى عيضة ، والحابل اختلط بالنابل زى ما بيقلوا نهايته . انتهت هذه الليلة ولا أدري كيف انتهت ، ولكن الذى أدريه هو ، موال الدوكا « والتفريق » الطازه الذى أنصب على من شيخ طائفة المطفشين الاستاذ عمر وصفى

سب وتقرىظ

ولنترك هذا جانبا وأخرج على مناقشة ظريفة جرت فى تلك الليلة

كنت أقطن فى مصر الجديدة ، ولذلك كنت أستقل ترام المترو عقب التمثيل . وكان لى صديق قديم كان زميلا منذ أيام البنك الزراعى ، وكان هو الآخر يسكن بجوارى فى مصر الجديدة ، وكثيرا ما كنا نتلاقى فى قطار المترو فى ذهابه وفى ايابه اذكر فى تلك الليلة ، ليلة (صلاح الدين الايوبى) ، أن لقينى هذا الصديق فى « المترو » بعد انتهاء التمثيل ، وبعد التحيات المعتادة سألته : « أين قضيت سهرتك هذا المساء ؟ » فأجابنى

بأنه كان يشاهد رواية (صلاح الدين) وتبرع فقص على نبأ
عن واد ... ممثل ابن كلب ... يافندم ... طلع في دور
ملك النمسا ... انما كان حنة وأحد زى (الامبراطور
فرنسوا جوزيف) بحيث الناس كلهم ماتوا م الضحك على
شكله .. و .. الخ من أنواع الشتائم ! لذلك رأيت أن
أقطع سلسلة شتائم اعجابه ، فقلت له : « تعرف ابن الكلب
دا ... يبقى مين ؟ »

فقال : « أبدا »

فقلت له : « هو محسوبكم يافندم ... هو العبد لله
يا أخينا !! »

نهايته . لم يرتح زملائي في الفرقة ولم يطب خاطرهم الا
بعد أن صدر الأمر برفتي والاستغناء عني . بحجة عدم لياقتي
للمثيل بتاتا . وتفضلت الادارة المحترمة فنصت في ميثاق
« الرفتية » على أننى لن أصح في التمثيل ، ولن أكون في يوم
من الايام ممثلا ، حتى ولو كان ثانويا !!!
بعد هذه الوثيقة القيمة والشهادة البينة ، سدت في وجهى
الابواب وضاعت السبل حتى لم أجد طريقا أسلكه لكسب
العيش

تحريض

قيل في الامثال ان (من جاور الحداد انحرق بناره)
وأنا قد جاورت أستاذنا عمر وصفى وزملاءه مدة من الزمن ،
فقد حق على أن أقتبس بعض تعاليمه وأدرس طائفة من خطته
الغاية . لا أريد أن أطيل عليك ، فقد رأيت ان أسلم خطة
هى تحريض ممثلى الفرقة على رفع راية العصيان على الادارة ،
وشق عصا الطاعة على المديرين ، والانسحاب أفرادا وجماعات
وقد نجحت خطتى مع الكثيرين الذين أسرعوا في هجر فرقة
أبيض وحجازى ، والمناداة بالاستقلال التام ... والجوع
الزؤام !

وكان على رأس العصاة الأستاذ عزيز عيد والسيدة روزاليوسف ، وقد انضم إلينا بعد ذلك من غير أعضاء الفرقة الأستاذ أمين عطا الله ، وكان في ذلك الحين ، ولا حياة في الواقع كان زى حالتنا مش لاقى ياكل ، كما كان الأستاذ أمين صدقى هو الآخر « سارحا » بكام رواية من مؤلفاته ومقتبساته

وبالاختصار اجتمع كل متعوس على خايب الرجا ، كاستيفان روستى . وحسن فايق وعبد اللطيف جمجوم ، وسبعة ثمانية من العواطف اياهم . وقررنا أن نؤلف فرقة تضرب فرقة أبيض وحجازى على حبابى عينيها

لعل واحدا من القراء الاعزاء لم ينس قصة جحا حين رغب في الزواج من ابنة السلطان : فقد راح جحا ينشر في الناس أن الامر سوى نهائيا ، وأنه لم يبق على زفافه من ابنة السلطان الا أن يجمع المهر اللازم ، وأن يرضى السلطان بالمصاهرة !! اسم الله ... أمال ايه اللى تم ياسى جحا ؟

كذلك نحن . اجتمع الممثلون ، ولم يبق على تأليف الفرقة الا ... وجود رأس المال

ظللنا نتناقش في الموضوع ، وانتهى الامر باقتباس نظام المساهمة الذى كانت تجرى عليه فرقة الأستاذ أبيض وحجازى

محلنا المختار

وكان السائر في شارع عماد الدين يشاهد على يساره ، بعد أن يجتاز شارع فؤاد الاول ، مقهى كان يدبره أحد النزلاء اليونانيين (ومن غيرهم ياترى يفتح في مصر المقاهى) . وكان اسم هذه المقهى (متروبول)

وأرجع بالقارىء العزيز الى ذلك العهد الذى أتحدث عنه ، فأقول أن أخواننا « المنشقين » عن فرقة أبيض وحجازى ، جعلوا من مقهى « المتروبول » هذا محلا مختارا يأوون اليه اذا ما ارتفع قرن الغزالة (هذا خيال بديع ، أرجو أن يسامحنا

السادة البلغاء في استعارته) ، ومعناه بالعربي الذي أفهمه أنا ويفهمه رعايا كشكش بك من سكان عمدية كفر البلاص وضواحيه ، معناه عند طلوع الشمس ، فعند طلوع الشمس كان « جرسونات » قهوة متروبول يستقبلون وفودنا و « يصطحبون » بوجوهنا . وكنا إذا جلسنا لا نغادر المكان الى ساعة التشطيب بعد منتصف الليل بساعتين على الأقل . أمال ايه ... حانروح فين ... لا وظيفة ولا يحزنون . !

كانت هذه القهوة دارا للندوة ، أو برلمانا يعقده الممثلون ، فيتناقشون في أقرب السبل للحصول على المال الذي يستطيعون به أن يؤلفوا فرقتهم المشتهة

حصانة جرسونية

وقد رأى - الله يرضى عنهم - الجرسونات اننا أصبحنا (بمضى المدة) أصحاب محل ، وبذلك ينطبق علينا قانون الاعضاء . وهذا القانون ينص على انه اذا جلس واحد منا ، فلا لزوم لان يتقدم الجرسون ، « متمسحا » لمسح الطاولة ، أو « تطويقها » في حركة الانتظار التقليدية اياها ... لعل الزبون « يحس » من نفسه ، فيطلب « اللكوم » أو السكر زيادة أو واحد مضبوط على الريحة !

اقول كنا نجلس في هذه القهوة متمتعين بحصانة « جرسونية » وكنا نبني في مناقشاتنا مستقبلا من الآمال . واذكر ان أحد زبائن القهوة الذين كانوا يترددون عليها كثيرا دون أن تكون لديهم مثل « حصانتنا » واسمه السيد « بحرى » !

اذكر ان شيئا من الصداقة تولد بينه وبيننا . فكان بين وقت وآخر ، يعطف على بعضنا بسيجارة ، أو يحتم ان يطلب لنا طلبا ، « واحد قهوة مثلا أو فنجان شاي ! »

وقد رأى صاحب القهوة (اليوناني) ان يستفتى السيد بحرى في امرنا ، فسأله عنا وعن احوالنا ، وما السبب في

معيشة « العواظلية » التى نحيها دون أن نشق لنا طريقا فى عباب هذه الحياة ؟ فلما عرف منه أننا طائفة من الممثلين ، وأنه لا ينقصنا الا الحصول على مبلغ ضئيل لا يتعدى العشرة جنيهات ، اقول لما وقف الرجل على مطلبنا هذا ، اظهر منتهى الاستعداد للدفع ! فكان ذلك مفاجأة عجيبة لم نكن ننتظرها . وقد انعم كل منا فكره فى تأويل هذه الأريحية التى نبتت مر واحدة ، كما يتفجر ينبوع العذب من الصخر الجذب

اصرف ما فى الجيب

قال أحدنا : « ان هذا العمل من الخواجه بشير بالنجاح ، لأنه رجل يعرف من أين تؤكل الكتف ، ويستحيل أن يفامر بدفع رأس المال ، اذا لم يكن واثقا من استرداد مبلغه هذا أضعافا مضاعفة » . أما أنا فقد ذهبت فى التفسير مذهبا خالفت به الجميع ، فمع اغتباطى بتساهيل الله ، على يدى الخواجه صاحب قهوة متروبول ، قلت لخوانى بأننى لا أرى دافعا لتصرف الخواجه الا أنه « طهق » من « خلقتنا » . فأراد أن يتخلص منا بأى طريقة ، مهما كان فيها من تضحية مالية ، وسواء أكان هذا هو السبب أم ذاك ، فقد وصلنا الى بغيتنا وحصلنا على مبلغ الجنيهات العشرة . وكم كان ظريفا من بعض اخواننا أن يقترحوا « توزيع » المبلغ علينا ، وبلا فرقة ، بلا دياولو ، وليحى « اصرف ما فى الجيب يأتك ما فى الغيب ! »

ودون أن أطيل عليك اقول ان هذا المذهب لم يجد انصارا كثيرين . فتقرر أن نستعمله فى الغرض الذى دفع من أجله ، وبدأنا نؤلف فرقتنا من العبد لله ، والاساتذة عزيز عيد ، وأمين عطا الله ، وأمين صدقى ، واستيفان روستى ، وحسن فايق ، وعبد اللطيف جمجوم ، والسيدة روز اليوسف وغيرهم

في المسرح الكوميدي

فرقة الكوميدي العربي

أما المسرح الذي وقع عليه الاختيار كي تعمل به فرقتنا الجديدة فهو مسرح برنتانيا القديم

وأطلقنا على فرقتنا الجديدة اسم «فرقة الكوميدي العربي»
واتفقنا على أن نفتح العمل برواية «خلي بالك من أميلي» ،
وكان قد نقلها عن الفرنسية الاستاذ أمين صدقي

وجاء أول توزيع الادوار ، فاختصوني بدور «برجيه»
والد أميلي : وهنا أستطيع القراءة الافضل في وقفة ، على
الهامش ، تلجئني اليها أهمية ذلك التاريخ الذي أسرده بصدق
وأمانة

لاشك أنني كنت في ذلك الحين أهوى التمثيل من كل
قلبي ، ولكنه ميل كان منصبا على نوع واحد من هذا الفن
هو «الدرام» . أما الكوميدي فلم اكن أشعر نحوه بأية
عاطفة . كما أنني كنت أحس أنني لم أخلق له ، وإذا ما بدا
لي أن أظهر في دور كوميدي فسيكون السقوط حليفى .
والطماطم ... من الجمهور نصيبى !

والآن فلنعد الى مواصلة حديثنا فنقول أن «برجيه» هذا
جندي بوليس قديم ، له ابنة جميلة كان يعيش عائلة على
كدها وسعيها ، أو «بالمفتشر» عايش على قفا بنته ، وأن
الأؤمن لا يستحي من الحق ! الدور جامد ، وبطل من أبطال
الرواية ، وفوق هذا وذاك فهو فكاهى خفيف

اعتذرت أولا عن قبوله ثقة منى بأنه اكبر من ان أستطيع

اجادته . ولكن اعتذارى هذا رفض رفضا باتا ، لا لاعتقاد
الفرقة بقدرتى ، بل بحجة أنه لا يوجد ممثلون يكفون لاداء
ادوار الرواية . يعنى ياسى عزيز عيد ، اروح انا فى سستين
داهية علشان حضرتك مش لاقى ممثل يعمل « برجيه » ؟!

اعتذرت عن قبول الدور الذى أسنده الى عزيز عيد ، وهو
دور برجيه ، وتوسلت أن يعفونى من أدائه ، ولكن لم تفد
توسلاتى واسترحاماتى ، فبرأيت أن لابد مما ليس منه بد .
فقبلت الدور مرغما وذهبت الى المنزل فأغلقت على نفسى
الحجرة ، ورحت أرسم له شخصية أؤديه بها . ووقفت أمام
المرآة ألقى جمل الدور واحدة اثر أخرى ، وأرقب ما يرتسم
على وجهى من تعبيرات ، متلمسا السبيل الى اجادتها ، ولكن . .
والحق أقول ، أحسست نفسى سمجا ثقيلًا

أخيرا جددت الاعتذار لعزيز عيد ، فأمعن فى الرفض ، وكنت
كلما اقترب اليوم المحدد للافتتاح ازداد خفقان قلبى، و«تخلخت
ركبى » ، وركبى مائة عفريت وعفريت

ساقط ساقط !

تصور أيها القارئ العزيز جبانًا داخل اليأس قلبه واحتل
فؤاده ! لقد كان هذا حالى ليلة البدء بالتمثيل ، فدخلت حجرة
المكياج وأتممت تلوين وجهى ، كى أظهر بمظهر العجوز الشيخ
« برجيه » الله يمسيه بالخير . واعتزمت - مادام ساقط
ساقط - أن أغامر ، وأن أخدها بالعريض ، وأطلع فيها مرة
واحدة . وخليه سقوط بالشرف :

واذا لم يكن من الموت بد

فمن العجز أن تكون جبانًا !

اقتحمت المسرح وتشجعت وأديت الدور . ولشد ما كانت
دهشتى حين سمعت أرجاء الصالة تضج بالضحك ويتجاوب
التصفيق جوانبها ! ؟

لم اكن اصدق اننى انا الذى أنتزع هذا الضحك وذاك
التصفيق من الجمهور . وانه لابد وأن يكون غيرى مصدرهما ،
فنظرت خلفى والى جانبى لعل ممثلا مختبئا يضحك الناس
دونى ، ولكن لم أجد !

ولست اغالى حين اعترف من غير تواضع ، والاجر على الله ،
بأن دورى فاز بقصب السبق وان اخوانى ، مع أنهم كانوا أبطال
الكوميدي فى مصر ، وعماد الفكاهة فيها ، لم ينلهم مثل مانالنى
وانى لاذكر فى هذه المناسبة حادثا طريفا لابأس من سرده .
من فائق النجاح !

قابلت فى آخر الليل المدير المالى : وهو الخواجه (صاحب قهوة
متروبول) ، ولم يكن يعرف اننى أمثل . بل كان يزعم اننى
أحد مديرى الفرقة وبس ! سألت « الخواجه » عن رأيه فى
الرواية وممثليها ، فقال باللهجة العربية الممتزجة « بالجرىجية » :
« يا سلام ! ياسلام فرى . . . دى خاجة تمام خاجة خلوه . . .
الراجل فرى دى برجيه ايه ابن الكلب ده !! »

ثم تفضل فوجه الى هذا السؤال « من خنزير عجوز برجيه
دى مسيو نجيب ؟ »

فأجبتة : « أهو واحد ممثل . بكره تعرفه والسلام »
وفى اليوم التالى ، كان « الخواجه » قد عرف من زملائى ان
الخنزير العجوز برجيه لم يكن الا . . . نجيب الريحانى ، ومن
ثم جاء يضاعف تهنئته لى . ويعتذر عن أعجاب أمس المقرون
بالسباب

هبوط . !

وبعد أيام من عمل فرقتنا فى مسرح برنتانيا القديم راينا
الايراد بدأ « يخسع » ، وحالة الاسهم فى هبوط مخيف . فلم
يكن الدخل يزيد فى ليلة من الليالى عن العشرة جنيهات او
الثمانية كان الجزء الاكبر منها يدفع فى ايجار التياترو . والباقى

يقسم على أسهم الممثلين . فكان يخص السهم اذ ذاك « ثلاثة تعريفه » . واذا « نغنت » الحالة في احدى الليالى ، ارتفع نصيب السهم الى سبعة عشر مليما أو ثمانية عشر

ولم نكن نعمل طيلة أيام الاسبوع ، بل كنا نكتفى بثلاث ليال فقط كنت أحصل في أثنائها على مبلغ يتراوح بين الاثنى عشر والاربعة عشر قرشا أسبوعيا . أما بقية أيام الاسبوع ، فقد كانت تشغلها البروفات . والبروفات بالطبع لا أجر عليها

كنت أسكن كما سبق القول - في مصر الجديدة - وكانت اجرة المترو عشرة مليمات في الذهاب ومثلها في الاياب . فأين لى العشرون مليما أدفعها للحضور والعودة في أيام البروفات !!

وبعد محاولات ومحاولات ، صدر الامر باعفائي من الاشتراك في البروفات ماعدا البروفة النهائية ، فقد تحتم على حضورها . وفى ميدان الاقتراض والسلفيات متسع للجميع

مقلب من الوجه البحرى

القصد . مر علينا عهد كاد قحطه يودى بنا ، فرحنا نتلمس السبل للتغلب عليه . وكان بين ممثلى الفرقة شاب ممتلىء بالنشاط هو المرحوم أحمد حافظ شقيق الاستاذ عبد المجيد شكرى الممثل بفرقة الاستاذ يوسف وهبى . طلع علينا المرحوم أحمد حافظ بفكرة نالت من الجميع حسن القبول ، هى أن يسافر الى المنصورة لترتيب حفلات تحييها الفرقة هناك . ووافق الجميع بالطبع ، فغادرنا أحمد حافظ الى المنصورة ، ولم يمض عليه فيها يومان ، حتى كتب خطابا الى الاستاذ عزيز عيد يبشره فيه أن الدنيا « قهقهت » لنا مش بس ضحكت . وأن الطلبات تنهال عليه للحصول على التذاكر ، وأن ايراد الليلة فى المنصورة لن يقل عن الستين جنيها . . . وأن . . . « وظأططنا » ، وانقلبت أتراحنا أفراحا ، وظللنا ننتظر اليوم الموعد بصبر نافد . الى أن حل الاوان ، فقصدنا الى « أرض

الميعاد « ... المنصورة ، في القطار الذى يغادر العاصمة قبيل الظهر . وأذكر أن أحدا منا لم يتناول طعاما اذ ذاك . لان الحالة لم تكن تسمح بشراء رغيف واحد ... ولو حاف ولكى اكون أمينا فى سرد الحوادث أعترف بأننا اقترضنا أجرة سكة الحديد على الحساب ، كما أن الجوع ظل « يشاغبنا » ويتلاعب بأمعائنا طول الوقت الذى قضيناه فى القطار . كل هذا ونحن نأمل أن نجد طعامنا فى المنصورة بعد تسلم الايراد « العظيم » من الامبرزاريو (المتعهد) أحمد حافظ . الله يرحمه ويحسن اليه

ووصلنا الى المنصورة ، وحملنا أمتعتنا ، وبلاش أطول فى الوصف اللى مافيهش فايده .. ويكفى أن أقسم أننا ظهرنا على المسرح فى تلك الليلة ببطون خالية وأمعاء خاوية ... وبس !!

تبخرت الامانى والآمال . وضاعت الوعود الحلوة التى كانت تزخر بها خطابات مندوبنا ، فى الوجه البحرى . بلغ ايراد الليلة الاولى أربعة جنيهات مصرية لا غير ... وخرم حساب أحمد حافظ ذلك التخريم الذى أترك تقديره لخيال القارئ العزيز

ويلاه ما حيلتى . ويلاه ما عملتى . على رأى المنولوج اياه ! وماذا نفعل بالقروض التى فتحنا بها حسابات جارية هنا وهناك !

عزومة . !

نهايته . اترك ذلك برضه لذكاء القراء الاعزاء . وفى آخر الليل وبعد التمثيل خرجت من المسرح وحيدا فعثرت فى طريقي على بائع سميط عال ، وجبته رومى ، فجرت بيننا مفاوضات انتهت بالرضا والاتفاق على شراء سميطه واحدة بالممارسة . ومعها قرطاس دقة « فوق البيعة »

وسرت في طريقى أقضم السميطة قضا ، وماهى الا خطوات
حتى لقينى الصديق « الامبرزاريو » أحمد حافظ . وبعد
التحية المناسبة للمقام . من داهية تسم الابد ، الى غور جاك
دم يلهم القفا ! بعد تبادل هذه التحيات التى لا بد منها فى
مثل هذه الظروف ، سألتنى الى أين أقصد ، فقلت الى
اللوكاندة بالطبع . فضحك ضحكة هتكت ستر الليل وقال
« تعال أنا عازمك الليلة فى فسحة على كيفك !! »

عازمنى ! عازمنى ايه يا بلا ، وأنا مافيش فى جيبى ثمن حته
جبنه أغمس بها السميطة ؟

فقال « ولا يهملك » . ثم داعب بأصابعه جيوب صديريته
فسمعت رنين النقود التى كدت أنسى لونها . فاطمأنت نفسى
وقبلت أن أمضى السهرة معه

وهنا أستمح القراء فى أن أمر على تلك السهرة مر الكرام ،
وأن ألقى على تفاصيلها طشت غسيل . مش ماجور بس . !!
ويكفيهم منى أن أقول أنها كانت ليلة « بوهيمية » واننا توسعنا
اذ ذاك فى الانبساط ، كأنه كان آخر زادنا !! كل ذلك وأنا أخشى
ألا يغطى مافى جيوب زميلى حافظ نفقات هذه الليلة

وفى صباح نهاية السهرة خلوت بالسيد السند ، وسألته
عما لديه من النقود ؟ فأخرجها ... واذا بالمجموع ثمانون
قرشا صاغا ليس الا ! فلما تقدم كشف الحساب ، اتضح أن
المطلوب منا أربعة جنيهات !! يانهار زى الكوبيه يا أحمد يا حافظ!
هى كل سكك كده ؟

فاعل خير

نهايته . لم تفد التوسلات والاسترحامات . فكانت نجاتنا
على يد مجهول . الله لا يغلب له وليه . ولكى أخلص ذمتى .
أقول بأننى بعد سنوات كثيرة من هذه الحادثة ، وبعد أن ألفت
فرقتى التى تحمل اسمى ، ذهبت الى المنصورة لاهياء حفلات

بها . وقصدت الى المكان المعهود خاصة لمقابلة ذلك « الجندي المجهول » ، ودفع مافى عنقنا من دين وفوقه ولو كلمة متشكر أو ممنون . . الخ ، ولكن أقول مع الأسف الشديد أننى لم أعر عليه طيلة اقامتى فى المنصورة . . فعوضه على الله ، ومين قدم شىء بيداہ التقاه ! وهنيالك يا فاعل الخير

ولما كان الشىء بالشىء يذكر ، فلا بأس من أن أشير هنا الى خناقة لرب السما ، وقعت بين السيدة روزاليوسف وبين الاستاذ عزيز عيد ، كان من نتائجها أن وقع طربوش الثانى أسيرا فى يد الاولى . فكان نصيبه منها التقسيم الى أربعة أجزاء متساوية . هذا عدا ما حدث « للزر » الذى لم يبق منه « فتلة » . . .
توحد الله

لم يكن بالطبع لدى الاستاذ عزيز طربوش آخر ، كما أنه مافيش لزوم أقول لك ان الحالة المالية لم تكن تسمح بشراء رباط جزمه ، مش طربوش كمان . واضطر عزيز أن يسير فى الشارع « حافى » الرأس . . . أو عاريه . ولم يكن التمدن فى ذلك الحين قد طلع علينا بمودة « الاسبور » الحالية ، التى تبيع السير بلا طربوش . ولو فرض حتى وكانت هذه المودة موجودة ، فان السيد عزيز آخر من يلجأ اليها

نهايته . لم يكن حظ ليالى المنصورة الباقية من وجهة الايراد خيرا من الليلة الاولى . فقد كانت الحالة نائمة الى درجة لا يتصورها أحد . وكنا عايشين على القدرة . ومن غير تطويل أو شرح ، أقول اننا فتحنا قرضا جديدا فى المنصورة لأجرة العودة بسكة الحديد الى القاهرة

لم تكن هذه الاهوال المتلاحقة لتدخل اليأس الى قلبى ، بل كانت تملؤنى يقينا باقتراب ذلك اليوم الذى يعرف فيه الناس لهذه المهنة حقها ، ويغيرون آراءهم بالنسبة لها . أضف الى ذلك أننى عقدت العزم على أن أجاهد ما استطعت ، واضعا

نصب عيني هدفا واحدا ، هو حمل الناس على الاعتراف بالتمثيل كمهنة تشرف أصحابها وتتشرف بانتسابهم لها
كان اتفاقنا مع ادارة تياترو برنتانيا (القديم) جائرا بالنسبة لنا ، ففكرنا في الانتقال الى مسرح آخر على قد الحال ، يكون ايجاره أقل من ايجار ذلك المسرح الذى كان يلتهم أرزاقنا التهاما ، وانتهينا الى اختيار تياترو الشانزلزيه بشارع الفجالة

زعر ب . . !

اتفقنا مع ادارة تياترو الشانزلزيه على أن نشغله بفرقتنا (الكوميدي العربى) ، وبدأنا فى اجراء البروفات . وفى أحد الايام ، وبينما كنت جالسا مع بعض زملائي أمام الباب الخارجى ، اذ هبط من الترام شخص يحمل بين يديه حقيبة ، بل قل « بقجة »

- سلام عليكم يا جماعة

- عليكم السلام يا أخينا . . ايه خير ان شاء الله !!

- أنا عبد اللطيف المصرى ، ممثل كبير ، وسمعت أن عندكم

شغل وعاوز أشتغل وياكم !!

- أهلا وسهلا . . تفضل يا سيدنا تناول كام سهم انت

راخر !!

ذكرت هذا الحادث ، لان عبد اللطيف المصرى هذا أصبح

فيما بعد ممثل دور (زعر ب) ، التابع الخاص لكشكش بك عمدة

كفر البلاص ، كما سيأتى القول فى حينه ، ولامانع هنا من أن

أذكر أن عبد اللطيف رأى أن يشارك الزميل أمين عطا الله فى

مسكنه ، وكان عبارة عن غرفة فى أعلى بناء التياترو أثشا أمين

أثاثا فاخرا ، بالنسبة للحالة اذ ذاك يعنى زى ما تقول مرتبة

ولحافا ومخدتين وقلعة وكباية . . . ورأسك تعيش !!

سكن عبد اللطيف مع أمين ، فكان اجتماعهما كاجتماع القط

والفأر . وقد كنت أود - لولا الاطالة - أن أشرح بعض المقالب

التي كان يدبرها أمين لزميله ، والتي كانت تحتاج في كثير من
الاقوات الى عقد لجنة مصالحات خاصة لاصلاح ذات بينهما .
ولكنى ارجىء ذلك الى مناسباته

اخرجنا في «الشانزلييه» طائفة من الروايات ، منها « عندك
حاجة تبلغ عنها » و « ضربة مقرعة » و « الابن الخارق للطبيعة »
و « المهرج بلفجور »

ليلة بين اللصوص

حدث في أحد الايام أن تراءى للزميل على يوسف أن يسير
بى الى مكان غير مأمون العاقبة ، فكانت النتيجة أن قبض علينا .
وكان في جيبى اذ ذاك خمسون قرشا اخرجتها « وغمزت »
بها جندي البوليس الذي زغللت عيناه وتراخى في حماسة .
وشاور عقله في تدليل هروبنا ، ولكن « أبا يوسف » اخذته
العزة بالاثم فصرخ صرخة مضرية وقال :

« انت عبيط يانجيب ! ليه تدى العسكرى فلوس ؟ دلوقت
تشوف رايح يجرى ايه ؟ »

وما أن سمع الجندي هذا التحدى لمقامه الكريم في اثناء تأديته
وظيفته ، حتى غلا الدم في عروقه ، وأخذته نخوة « الحكام »
العظام ، وأضاف الى تهمتنا الاصلية ، تهمة أخرى فرعية ، هي
الشروع في . . . رشوة !! قلت (بس) ختمت على روسنا ياسى
على يا يوسف !! وبدل تهمة واحدة بقوا اثنين ، ووقعنا في سين
وجيم ، وقول علينا يارحمن يارحيم . فقال : « يا شيخ
ما يهمكش . شد حيلك دلوقت تشوف » . فشديت حيلى
ودخلت معه القره قول . فماذا شفت ؟ القوا بنا في «الحاصل»
أو الحبس القدر بين المتشردين واللصوص ، وأذكر أننى كنت
في ذلك اليوم ارتدى بذلة بيضاء . الله ياسيدى على التيل
الابيض من نومه على الاسفلت طول الليل !

ان ما قاسيته في هذه الليلة لايمكن أن انساه ، كما أننى

لا أنسى كلما ذكرت ألامى أن أعترف بجميل السيدتين سرينا
ابراهيم ونظله مزراحى ، اللتين برزتا لنا فى صباح اليوم التالى
كملائكة الرحمة ، وقد حملتا إلينا الفطور والسجائر وكل
ماخف حملة ولم يغفل ثمنه

ونترك هذه الحوادث ونعود الى المسرح فأقول أننى بدأت
أشعر أن قدمى قد ثبتت تماما ، وأننى أصبحت شيئا مذكورا ،
أجيد تنفيذ مايجول فى مخيلتى من أفكار فنية . اذ كنت أدرس
دورى وأعرف كيف أرضى الجمهور ، وكيف أتعلم الى قرارة
الشخصية التى تسند الى

مع منيرة المهدية

ومع ذلك لم تكن حالة الفرقة من الوجهة المادية تسر أحدا .
فظللنا نفكر فى طريق الاصلاح ، لعل وعسى ، يفرجها من لايفغل
ولا ينام

وهبط علينا على يوسف فى تلك الاثناء باقتراح لم نتأخر فى
تنفيذه ، قال : « ان السيدة منيرة المهدية اشتهرت فى عالم
الغناء ، فماذا لو جعلنا منها ممثلة تظهر كذلك على
المسرح ؟ »

وحصل الرضا والاتفاق على أن تمثل السيدة منيرة المهدية
فى كل ليلة فصلا من احدى روايات الشيخ سلامة حجازى ،
ثم نمثل نحن روايتنا كالمعتاد . على أن يكون الايراد مناصفة
بين الفرقة ومنيرة

واختير لاول ظهور المطربة الكبيرة الفصل الثالث من رواية
« صلاح الدين الايوبى » ، وفيه تغنى القصيدة المشهورة « أن
كنت فى الجيش ادعى صاحب العلم »

ونجح برنامجنا والحق يقال ، وأقبل الناس اقبالا لم نكن
ننتظره

كانت السيدة منيرة فى ذلك العهد تقطن فى مصر الجديدة .

وبما أننى من سكان هذه الضاحية ، فقد اختارتنى إدارة الفرقة
كى أراجع للمطربة أدوارها نهارا ، وأدخل لها ما تمثله
مساء

وفى اليوم الاول دخلت منزلها أمشى على استحياء ، يعرونى
ثوب من الخجل . وتقدمت ربة البيت . . . لا لتراجع معى
الدور ، ولكن لتداعب حيوانا أليفا كانت تقتنيه . أتدرى ماهو
« عرسة » ، أى والله عرسة ! والعرسة كما يعرف أصحاب
البيوت حيوان كل همه ارتكاب جرائم القتل خنقا ضد الطيور
المنزلية المفيدة كالدجاج والحمام . ولكن « عرسة » الست
منيرة كانت يا أخى شىء الهى محبوبة من الجميع

وجدت أن مراجعتى للست لا فائدة منها ، لان النظرة فى وش
« العرسة » خير لها ألف مرة من التطلع الى العبد لله . . . ! وفى
الحال اعتذرت للفرقة عن أداء هذه المهمة . والبركة فى الاخوان ،
اللهم زد وبارك

عودة الى الفلس

قلت أن الجمهور تهافت على مسرحنا ، وارتفع رقم الدخل
ارتفاعا غير منتظر . ولكن لم تمض مدة طويلة حتى شعرت
السيدة منيرة أنها هى وحدها المقصودة بهذا الاقبال ، وان
اسمها هو الذى يجذب الناس الى ارتياد التياترو ، وانه من
الغبن لها أن تشاركها فى الايراد نصفا بنصف

ومن ثم صممت على فصم الارتباط . وأنتم من هنا يا أولاد
الناس وأنا من هنا ، ولقد صح تقدير « الست » . . فما كادت
« تسلت » يدها من الفرقة ، حتى انسحب على أقدامها الخير
الذى عمنا ردحا من الزمن . وعدنا الى « غلب الزمان » . دخل
النحس علينا بعد أن فارقتنا وما خلنا أنه نسينا وعرف
مضيفين غيرنا . ولكن لا ، ما يمكنش نهرب منه . ولو كنا فى
بروج مشيدة !

وبعد مدة قضيناها . فى تلطيش من اللى قلبك يحبه ، جاء من يقترح علينا اقتراحا جديدا . كان اخوان عكاشة يعملون على مسرح دار التمثيل العربى ، وكان حالهم كحالنا . يعنى كنا فى الهوا سوا . بس احنا اميز منهم شوية . لانهم كانوا .. الله لا يورى عدو ولا حبيب

والاقتراح هو أن نعقد اتفاقا مع « العكاشة » على العمل فى مسرحهم . مع بقاء الفرقتين مستقلتين الواحدة منهما عن الاخرى ، بمعنى أن كلا منهما تمثل ليلة . والايراد المتجمع يقسم مناصفة بين الفرقتين

وعقد الاتفاق بالفعل ، وانتقلنا من الشانزليه الى دار التمثيل العربى بشارع الباب البحرى لحديقة الازبكية . وكانت نتيجة هذا الاتفاق على رأى المثل ، كالمستجير من الرمضاء بالنار !

بارزت عزيز عيـد

ويحضرنى بهذه المناسبة حادث وقع فى الليلة الاولى من عملنا بدار التمثيل العربى لا بأس من ذكره

كثيرا ما كانت الغيرة على مصلحة العمل تدعو السيدة روزاليوسف الى الوقوف موقف العناد التام مع الاستاذ عزيز ، وكم لهما من مناقشات انقلبت الى مشاحنات فمصادمات .. الخ

ففى الليلة الاولى وقع ما أدى الى اصرار الاثنين على عدم الظهور على المسرح مطلقا . وكان عليهما رفع الستار فلما حان الموعد ورأيت حرج الموقف . حملت عزيزا بين يدي وقذفت به

الى خشبة المسرح بعد أن رفع الستار ، فوجد نفسه أمام الجمهور واضطر الى التمثيل . ودخلت السيدة روزاليوسف واندمجت فى دورها وكأن شيئا لم يحدث على الاطلاق

وانتهت الليلة على خير . وظننت أن كل شيء قد انتهى ، ولو من ناحيتي أنا . ولكن الغريب أن الاستاذ عزيز تقدم الى في حركة عصبية غريبة ، وطلب منى أن أدخل معه في «دويللو» . يادى الداهية يا أولاد . . « دويللو » كذه حطة واحدة !

وفكرت طويلا قبل أن أجيبه الى طلبه ، ثم شاورت عقلى ، بم أجيب ؟ واذا نزلت على تلك الرغبة فأى سلاح أختار ؟ وهل هناك ما يمنع اذا صارحته بأن تكون « الصرمة » سلاحنا في مبارزة سلمية كهذه ؟ « فالصرمة » على كل حال سلاح اذا طال عمره ماهو مسيح نقطة دم واحدة !

دارت هذه الافكار فى مخيلتى ، ولكننى فضلت أن احتفظ بهذا الاكتشاف الثمين فى عالم المبارزة فتركت عزيزا دون أن أفوه بكلمة

وقد قلت أننا بعد أن هجرتنا السيدة منيرة اتفقنا مع فرقة أبناء عكاشة على أن نعمل فى مسرح دار التمثيل العربى ليلة بينما تعمل الفرقة العكاشية ليلة أخرى وهكذا

وسار الحال على هذا المنوال الى أن كان شهر مارس عام ١٩١٦ حيث أحسنا أن وجودنا مع العكاشيين لم يزدنا الا خبالا ، فنشدنا الاستقلال وقررنا أن نترك ما لعكاشة لعكاشة ، وننقل حالنا ومحتالنا الى تياترو برنتانيا مرة أخرى . ومن فوات قديمه تاه

وبعد أن عملنا مدة شعرت اننى أزداد كل يوم نجاحا عن سابقه ، وان الجمهور يرمقنى بشيء من انتباهه ، ومع ذلك فقد كنت مهضوم الحق لا من الناحية المادية وحدها ، بل ومن الناحية الادبية كذلك . فتشجعت وطلبت الى الاستاذ عزيز عيد أن يضع اسمى فى اعلانات الفرقة ، وأن تكلأنى الادارة بشيء من الرعاية من حيث تعريف الجمهور بممثل يحب الجمهور نفسه أن يعرف عنه الكثير . ولكن عزيزا رأسه وألف سيف ،

مش ممكن وضع الاسم . ياسيدى يهديك ، مافيش فايدة .
فلما فكرت فى واقع الامر ، ورأيت الحالة المؤلمة التى تعيش فيها
الفرقة قلت :

سيبك ياواد . بلا فرقة بلا دياولو . وما دامت الفرقة «ميتانة
ميتانة » فأشرف لى أننى أموت بعيدا عنها ، وأريح نفسى من
قرفها

انفصال . . . !

وفى شهر مايو من عام ١٩١٦ ، وما زلت أذكر التاريخ تماما ،
هجرت فرقة الكوميدي العربى دون أن أفكر فى العمل الذى
أعيش منه

وظللت شهرا ونصف شهر أقدح زناد الفكر ، وأعرض على
بساط البحث ، اقتراحات كثيرة ، بمشروعات أعمال واسعة
النطاق ، النجاح فيها مضمون ٢٤ قيراطا . ولكن آخ ياخسارة .
مافيش فلوس !

وفى تمام الساعة الواحدة من مساء يوم أول يونيو عام ١٩١٦
كنت جالسا فى بوفيه تياترو برنتانيا . مفلسا كالعادة . وإذا
بى أرى شخصا يهبط على فى سترة فاخرة وعصا ذهبية المقبض
وخاتم يلعب شعاعه بالنواظر . فلما جلس الى جانبى أخرج
من جيبه علبة سجائر فاخرة من الفضة وفى حركة أرستقراطية
فخمة ، ناولنى سيجارة ! ؟

أتدرى يا عزيزى القارىء من هو هذا « الوارث » العظيم
الذى وصفت . انه استيفان روستى ، زميل العناء والشقاء ،
استيفان اللى كان زى حالاتى يشتهى سيجارة ماركة الحملى . .
والإحتى ماركة الكوز !

ايه يا ولد النعمة اللى ظهرت على جثة اللى خلفوك دى ،
ومنين العز دا كله ؟ تكونش « سطيت » على خزينة البنك
الاهلى ؟ والا قتلت واحد بنكير ولطشت اللى فى جيبه ؟ وبكل

برود هز استيفان رأسه وقال : « لا هذا ولا ذاك ، المهم ان ربنا
فرجها علينا والسلام »

خيال ظل .. !

وبعد مناقشات لاستطلاع سر هذا الشراء المفاجيء ، ذكر لى
استيفان أن هناك « كباريه » خلف برنتانيا يطلقون عليه اسم
« ابیه دی روز » وأنه وجد هناك عملا يتقاضى عليه ستين قرشا
فى كل مساء !

يانهار أبوك زى الكرمب يا استيفان ياروستى ؟ ستون قرشا
فى الليلة ، يعنى قد ماهية العبد لله فى الشهر اذا كانت الحالة
رايحة كمان !

وراج استيفان يشرح لى ماهية عمله

فاذا به يظهر خلف ستار من الشاش أثناء انطفاء الانوار فى
المحل ، فيؤدى من مكمته هذا بعض حركات هزلية ، وغير
هزلية . يعنى بالعربى « خيال ظل » ..

فقلت له : « اننى أعلم أن سمعة هذا المكان لا تتفق وكرامة
الانسان » ..

فأجاب : « وأنا مالى ومال الكلام الفارغ ده . اناراجل باشتغل
من « وراء الستار » ولا حد عارفنى ولا حد شايفنى »

« ثم ان الوقت اللى بامضيه فى عملى لا يزيد عن ربع ساعة
فى كل ليلة ، ألهم فىهم الستين صاغ ، ولا حد شاف ولا حد
درى ! »

وفكرت مليا ثم وضعت يدى فى جيبى فاذا بها تخرج بيضاء
من غير سوء . يعنى من غير تشبيه ولا تمثيل . كان الفلس
ضاربا أطنابه بشكل يخلى الواحد يبيع هدومه

أخيرا مددت يدى الى استيفان ، وقلت : « الا مافيش عندكم
شغلة لواحد زبى ؟ أى دور ، خدام ، سيد ، باشا ، بيه ،
أفندى ، واحد مش لاقى اللضا ، أى دور أنا قابل . ثم مش

طمعان كمان ، نص ريال فى الليلة كويس قوى وثمانية صاع
كمان .. رضا ! »

وتركنى استيفان بعد أن وعدنى خيرا . وفى المساء تلاقينا
امام باب « الابيه دى روز » فقادنى الى صاحب الملهى وكان
ايطاليا اسمه الخواجه « روزاتى »

وكان اسكتش « خيال الظل » المزمع اخراجه فى تلك الليلة
يحتاج الى ظهور خادم بربرى ، فقدمنى استيفان لروزاتى قائلا
أننى ممثل كبير مشهور ، واننى ، ولم يكمل استيفان سلسلة
المحاسن والافصاف ، لان الرجل قاطعه قائلا بالفرنسية :
« لا لا ، أنا مش عاوز ممثل كبير وشهير ، وبتاع ... أنا عاوز
ممثل كل شى كان لان الدور مش مهم »

وهنا تدخلت أنا فى المناقشة وقلت للخواجه : « أنا يا افندم
ممثل بسيط على قد الحال . لا أنا شهير ولا أنا كبير »
فقال : « أنا مش رايح أدفع أكثر من أربعين قرشا »
فأبرقت أسارىرى ، ونظرت الى استيفان نظرة استفهام ،
لانى لم أكن أصدق أن أحصل على مرتب كهذا !

مفاجأة

وأشفقت على نفسى خوفا من أن يكون هذا المبلغ هو المرتب
الشهرى . وليس اليومى . ! وحين زالت معالم الدهشة من
نفسى ، هنأنى استيفان وقادنى الى مدير المسرح ومعاونة المسيو
روزاتى ، وهى فتاة رائعة الجمال كانوا يسمونها « ليليان
الجميلة » . وهناك أفهمتنا ليليان موضوع « خيال الظل »
الذى سنؤديه فى تلك الليلة ، وكانت ادارة الملهى قد أعلنت فى
جميع أنحاء القاهرة عن مفاجأة كبرى : هى أن هناك سيدة
باريسية ذات جمال فاتن وحسن رائع ، ستبدو للجمهور
خلف الستار الشفاف ثلاث ليال سويا ، وفى الليلة الرابعة
تظهر بشكلها الطبيعى ، وأمام الستار لا خلفه

• ونجحت هذه الدعاية في جلب الجماهير الفقيرة طيلة الليالي الاربع ، ولما آن وقت ظهور المفاجأة المدهشة ، عرف الناس أن السيدة الباريسية الفاتنة ، لم تكن الا استيفان روستى بعينه وأنفه و « شنبه »

وبعد ذلك بدانا نمثل على المسرح روايات باللغة الفرنسية ذات فصل واحد : عمادها من الذكور شخصان .. أنا واستيفان أما السيدات ... فقد كان الخير كثيرا .. والكباريه فيه الصنف ده على قفا من يشيل .. فماذا كان يحدث اثناء التمثيل وهل نجحنا في عملنا أو كان الفشل حليفنا ؟

الاجابة على هذا السؤال تتضح لك حين تعلم أن المتفرجين كانوا ينتهزون فرصة التمثيل فيديرون ظهورهم الى المسرح ، ويتحدثون بعضهم الى البعض الآخر ، هازلين مصفقين ضاحكين ، أما نحن ، فقد كنا نمثل للمقاعد وحدها . واللى مش عاجبه يشتغل فى برنتانيا ، بدال مايشرب م البحر ؟



کشکشا بک

كشكش بك

خيال .. !

فى احدى الليالى ، استلقيت على الفراش واستعرضت
أمام مخيلتى كل مامر بى من تجارب حلوها ومرها ، ووقفت
أمام الكثير منها أستخلص ماتبعها من خير أو شر ، فاذا بى
أجد مواضيع هى الترجمان الصادق لتلك الحياة التى نقضيها
فى هذا العالم المضطرب

وفى فجر هذه الليلة ، ولست أدري أكنت فى تلك اللحظة نائما
أم مستيقظا ، وانما الذى أؤكد أنه رأيت بعينى رأسى خيالا
كالشبح ، يرتدى الجبة والقفطان وعلى رأسه عمامة ريفية كبيرة،
فقلت فى نفسى . ماذا لو جئنا بشخصية كهذه وجعلناها عماد
رواياتنا

ولم أتوان فى نفس الدقيقة ، وكانت الساعة الخامسة صباحا،
فقممت من فراشى وأيقظت أخى الأصغر ، وكان لى خير عون
وساعد ، ورحت أملى عليه هيكل الموضوع الذى صممت على
إخراجه ، وكان عبارة عن أن عمدة من الريف وفد الى مصر ،
يحمل الكثير من المال فالتف حوله فيها فريق من الحسان
أضعن ماله وتركته على الحديدية ، فعاد الى قريته يعرض بنان
الندم ، ويقسم أغلظ الايمان أن يثوب الى رشده ، والا يعود
الى ارتكاب ما فعل



نجيب الريحاني في دور « كشكش بك »

ولما اشرف الخواجة روزاتى صاحب ملهى « الابيه دى روز »
على الافلاس وكاد يقفل « الملهى » ، تقدمت اليه أرجو تأجيل
« النطق بالحكم » بضعة أيام ، حتى أضع رواية قد تكون الداء
الشافى لداء الكساد !!

وقبل الرجل ما اقترحت عليه ، فكان ان وضعت اولى
روايات كشكش بك ، وكانت عبارة عن اسكتش فكاهى ،
يستغرق عشرين دقيقة ، موضوعه كما ذكرت ، وجعلنا اسم
الرواية « تعالى لى يابطه »

كشكش بك لأول مرة !

وفى ظهر يوم الافتتاح كنا نجرى البروفة النهائية ، وقد
احسست حينذاك أن روايتى هذه تعتبر مثلاً أعلى فى السخافة ،
واننى لو كنت بين الجمهور أثناء تمثيلها لما وسعنى الا أن ألعن
خاش المؤلف ، والمؤلف ، بالطبع ، هو أنا والمخرج برضه أنا ،
والممثلين ... أنا أيضاً ! . فقلت : آه يا وقعتى يا أنا ، وقبضت
على قلبى بيدى من هذه اللحظة الى مساء اليوم المذكور ،
حيث قصدت الى المسرح أسير هائماً وساقاى لا تستطيعان
حملى

وجلست أمام المرأة أصنع لنفسى « مكياجاً » ، وأضع للمرء
الأولى « ذقن كشكش بك » . وانتهيت من مهمتى ونظرت
الى شكلى فى المرأة ، ولا أنكر عليك يا سيدى القارئ أننى
شاهدت وجهها « فنيا » يطابق الشخصية التى رسمتها فى
مخيلتى ... شخصية العمدة الريفى الساذج الذى أشاب
الزمان قرنيه ، وما تزال أشعة السحر تبدو فى عينيه

وتوكلنا على الله ورفعنا الستار ، واقتحمت المسرح بجبتي
وقفطانى ، ويا قاتل يا مقتول !! كنت مضطرباً بالطبع ، وكان
يلوح فى خيالى سوء المصير اذا ما قدر لنا السقوط والفشل .
اذ أين اذهب ؟ ومن أين لى الاربعون قرشاً التى اتقاضاها عن

كل ليلة ، والتي تدفع عني هموم الزمان وغوائل الحدثان ؟
في الزوغان السلامة

وانتهى التمثيل ، وما ادرى والله العظيم على اى حال انتهى؟
وهل نجحت الرواية أم سقطت ؟ وهل نالت القبول من مديرونا
العزيز الخواجه روزاتى ، أم سببت له امتعاضا فوق ما كان
يشعر به من « اشمئناط » ؟!

القصد . رأيت أن أرجىء الاستفسار عن ذلك كله الى
اليوم التالى ، فلبست معطفى ورفعت « ياقته » أخفى بها
أطراف وجهى عن الاعين ، وتسلفت على مهل متخذاً طريقى
الى الخارج دون المرور على الخزينة ... على غير العادة طبعاً ،
لقبض الاربعين صاغا اليومية

وفي اللحظة التى كدت أسلم فيها ساقى للريح عند الباب
الخارجى ، لمحتنى وكيله الملهى - وكانت صديقة للخواجه -
فصرخت تناديني ، وكبل الوهم قدمى فوقفت فى مكانى دون
حرك ، وقلت : آخ ... جالك الموت يا تارك ... التياترو !!
وجاءت الى الفتاة تهنئنى بحرارة ، وتحدثنى أعذب حديث ،
وهى تبسم ابتسامة الجبور والانشراح !! ولكننى مع ذلك
كنت أشك فى الامر ، وأخشى أن تكون المسألة « تأليس فى
تأليس » ، وأن هذه التهنئة التى غمرتنى بها ربما كانت تخفى
وراءها « التهزىء التام والطرذ الزوام » !

الا أنها جذبتنى من يدى ، فمشيت خلفها متثاقلاً الى أن
وجدتنى وجهاً لوجه أمام الخواجه « روزاتى » ، الذى
استقبلنى متهللاً هاشاً باشاً وصافحنى قائلاً : « أنا ما كنتش
أظن أبدا أنك ممثل عظيم بالشكل ده !! انت هايل قوى ،
مبروك مبروك !! »

فقلت له : « العفو . يا خواجتنا بس ايدك على جيبك بقى
واتحبنى ، بالريالين الفينو !! الله يطمنك »

ووضع الرجل يده في جيبه وأخرج ستين قرشا ناولنى
اياها وهو يقول : « انت ماهيتك من النهارده كده !! »
ووضعت المبلغ في جيبى وقابلت استيفان روستى خصيصا
لاقول له : « ماحدث احسن من حد . والروس ساوت
بعضها يا قفا !! »

رواية جديدة كل اسبوع

ولما اقترب الاسبوع الاول من نهايته ، كنت قد أعددت
رواية جديدة بالريالات الثلاثة التى ارتفعت اليها ماهيتى
اليومية !!

وفى هذه الرواية ارتقى كشكش بك عمدة كفر البلاص ،
وصار يستصحب فى تنقلاته أمينا خاصا - هو « ادلعدي »
زعرب (شيخ الغفر) ، وقد أسندت هذه الشخصية الى
السيد عبد اللطيف المصرى

ونجحت هذه الرواية كما نجحت سابقتها ، ورأى صاحب
الملهى بعد ما شاهد من ازدياد الاقبال ، أن يرتقى بالنظام
بعض الشئ ، فجعل رسم الدخول خمسين مليما بعد أن كان
الدخول بلا رسوم . وكتب الله لنا «الفتوح» فلم يقف مرتبى
عند القروش الستين . اذ اتفق معى صاحب الملهى على أن
يكون لى الى جانب الماهية ، حصة تعادل خمسة فى المائة من
الدخل ، نظير التأليف والاخراج ، فأقبلت الدنيا ترفرف
بجناحيها ، وبدأت « أحمر » عينى للبؤس القديم الخالى
وأضربه بالشلوت كمان !

وأخرجت روايتى الثالثة باسم « بكره فى المشمش » ،
وبعدها وقفت كل أوقاتى على العمل وحده ، أخرج من المسرح
ليلا الى المنزل توا ، ومن المنزل صباحا الى المسرح ، لا أعرف
للراحة طعما ، ولا لمبازل الحياة معنى ، وأصبحت الرجل

الكامل الذى يعرف قيمة الوقت . فلا يفرط فى دقيقة منه
دون عمل يؤديه فيه

خصصت حياتى للفن !

وفى ذلك الحين كان التمثيل فى نظر الخاصة وباء يهربون منه
ويبتعدون عنه ، ولكنى شاهدت ظاهرة غريبة قوت من عزيمتى
وشدت ازرى فيما عولت عليه .! هذه الظاهرة اننى كنت فى
احد الايام جالسا فى محل (جروبى) القديم ، وتصادف ان
كان يجلس الى الطاولة المجاورة لى اثنان تبدو عليهما الوجهة
التامة ، ويخيل للرأى انهما من طبقة الباشاوات ، ارباب
المعاشات . وكان احدهما قد راقى له الخلوة فراح يقص على
صاحبه نبأ سهرته بالامس ، ويروى له ما شاهدته قائلا :
« .. وبعدين يافندم راح على المسرح عمك كشكش بك ده ..
وهاك يا ضحك »

وفى يوم آخر كنت أسير فى حى الازبكية ، الله يرحم أيامه ،
فلقد كان فى ذلك الحين باسم الله ماشاء الله !!

أقول كنت أسير ، فاذا بى أسمع رهطا من النسوة ترتفع
أصواتهن بانشاد لحن من روايتى « بلاش أونطه » ، وشعرت
بعد ذلك اننى كلما مررت فى طريقى ، أرى الاصابع تمتد
بإشارة نحوى ، بينما الافواه تردد : « هذا كشكش بك » !

فى دار القرعة العسكرية

كنت قد بلغت سن الاقتراع قبل ذلك الحين بثمانية أعوام ،
فدفعت البدلية وعوفيت من الخدمة العسكرية . وبعد الأعوام
الثمانية وقع شئ من الجفاء بينى وبين أحد الجيران ، فما
كان منه الا ان ابلغ ادارة القرعة اننى هارب من التجنيد ،
فاستدعيت فى يوم الفرز العام ، وذهبت لاثبت سوء نية هذا
الجار ، واقدم البرهان القاطع على دفعى للبدلية

فلما بلغت المكان ورأيت الزحام ، انتحيت جانبا ووقفت

انتظر دورى . فسمعت أحد الجنود يهتف باسم (نجيب
الريحان) ، فأجبت النداء على اعتبار أنه ربما نسي الياء
الآخرة فى (الريحانى)

وقادنى الجندى الى احدى الغرف ، وقد كنت على يقين
أننى واجد فيها مجلس القرعة المؤلف من فريق من الضباط ،
ولكن شد ما كانت دهشتى حين ألفت الجلوس رهطاً من
المشايع المعممين ، وليس بينهم حتى ضابط واحد يخزى
العين ، سلام عليكم ... عليكم السلام

وتفرس فى أحد المشايخ ، وأشار لى بالجلوس فلما جلست
قال لى : « اقرأ الربع الآخر من سورة الاعراف ! »
اعراف ... وأنا منين أعرف سورة الاعراف ياسى الشيخ ؟
قال : « آمال طالب المعافاة من القرعة العسكرية وبتدعى
أنك حافظ القرآن ليه ؟ »

وحقق المشايخ ودققوا ، فاتضح أن هناك فقيها اسمه
(الشيخ بخيت الريحان) ، وأنه حين طلب للقرعة التمس
المعافاة لانه من حملة القرآن الكريم ، فجاء به للامتحان .
وقد اختلط الامر على الجندى وقت النداء فنطق بكلمة
(نجيب) بدل بخيت

وانتهى هذا الموقف الحرج والحمد لله بسلام ، بعد أن
قدمت الدليل القاطع والبرهان الساطع على أننى سبق أن
دفعت البدلية بالكمال والتمام منذ ثمانية أعوام

٣٠ جنيتها فى اليوم

ولما رأى الخواجة « روزاتى » صاحب الملهى ذلك الاقبال
المتزايد ، والتهافت المتوالى ، والرقى فى « صنف المتفرجين »
رأى أن يتبع قاعدة العرض والطلب التى يفهمها « المدردحون »
من مهرة التجار ، فبعد أن كان رسم الدخول خمسين مليماً
للعوم ، أصبح على درجتين أولى بخمسة عشر قرشاً وثانية

بعشرة قروش

ولقد أثبت هذا الارتفاع بعد نظر روزاتى ، فان الاقبال كان كما هو مع تضاعف الايراد بطبيعة الحال

وهناك ظاهرة لطيفة بدت للعيان ، ذلك أن موعد افتتاح الملهى كان الساعة التاسعة من كل مساء ، وكان البرنامج يشمل أشياء غير روايتنا ، لذلك لم يكن الستار يرفع للتمثيل قبل الساعة الحادية عشرة ، وفى هذا الموعد بالذات كانت المقاعد تمتلئ حتى آخرها ، أما قبل ذلك فكنا نشاهد المكان شبه « القاع الصفصف » زى أسيادنا البلغاء ما يقولوا !!

فهذه الظاهرة السارة ، أثبتت لصاحب رأس المال ، أن العبد لله كان بمثابة البيضة الذهبية ، أو المنجم الذى يدر الربح الحلال ، فلقد كان الايراد اليومى لمسرحه يتراوح بين الثلاثين والاربعين جنيها بعد مصروفاته جميعها وهو مبلغ لم يكن أحد يحلم به !!

هذا من جهة مدير المحل ، أما من ناحيتى انا فقد كنت قانعا بما قسم لى ، أنظر بعين الرضا الى ذلك الربح الذى يدخل خزانة الرجل ، معترفا بما طوقنى به من جميل لست أنساه ، وفضل وجب على أن أراعاه . ذلك أننى على مسرحه ظهرت ، وبين جدرانها اشتهرت . وقد أحس منى هذه العاطفة فتوثقت بيننا صلة الود وتمكنت عرى الصداقة ، مما كان سببا فى مواصلة النجاح

اجتماع البائسين سابقا

قلت اننا عودنا الجمهور أن نخرج له فى كل أسبوع رواية جديدة ، وقد كان فى ذلك العمل ارهاق لى فلم يكن فى طاقتى أن أمثل وأجرى البروفات اليومية ، ثم أضيف الى ذلك مهمة وضع الروايات وتأليفها ، فلما شعر الخواجه روزاتى بذلك ، بادرنى برغبته فى أن أنتقى مساعدا يعاوننى فى التأليف ، كى

أوقف جهودى على التمثيل ... فنشرت بين يدى كنانة
الأصدقاء القدماء ، الذين قاسوا معى العناء ، وشربوا وإياى
كئوس البؤس والشقاء . فكان أن اخترت من بينهم الأستاذ
أمين صدقى . وبانضمامه إلينا أصبحت الفرقة تضم من
السادة البائسين السابقين أربعة هم محسوب السيادة وأمين ،
واستيفان روستى والواد زعرب الذى هو عبد اللطيف المصرى
على سن ورمح !!

ولما كانت لكلمتى عند روزاتى قيمتها ، فقد رأيت أن أبذل
« نفوذى » خى يا خى ... فى أن أحصل للزملاء الأكرمين على
ماهيات ذات شأن يستعينون بها على « قضاء حقوق للعلا
قبلهم » !! كما كان يقول الشعراء ويطردون بها كابوس الشقاء
القديم . وانه ليسرنى أن أقول بأن مسعاى قد نجح والحمد
لله . وأن الاعزاء - بما فيهم استيفان - قد نالوا ما كانوا
يشتهون من مرتب مرتفع . وبعد ما كان استيفان هو الذى
يتوسط لاجلى ، انعكست الآية فرددت له جميله يا أفندم
وأهى دنيا قلابه ... يوم كده ويوم كده !!

من أجل كشكش بك

ارتفع مرتبى الى سبعة وعشرين جنيها فى الشهر ، وقد كان
هذا المبلغ رقما قياسيا لم تعهده المسارح من قبل ، ولم يصل
إليه ممثل فى ذلك الحين ، الذى كان الجنيه فيه يسوى الشئ
الفلانى والشئ العلانى !

ولقد كان الجميع يتحدثون بهذه القيمة ويتنادرون بها فى
مجتمعاتهم ، مما كان محلا للاستغراب من زملائى الأقدمين ...
أولئك الزملاء الذين أصدروا على منذ سنوات سابقة لهذا
التاريخ حكما - مشمولوا بالنفاذ - يقضى بطردى من فرقة
أبيض وحجازى !! ليه ؟ لاننى لا أصلح للتمثيل بتاتا ، ولا أليق
للظهور على المسرح ... بل ولعل القارىء العزيز يذكر اننى

قلت فيما سبق بأن أولئك الاخوان تنبؤوا - الله يصحبهم
بالخير - بأننى لن أكون فى يوم من الايام ممثلاً ناجحاً ، وأنه خير
لى أن أبحث عن مهنة أخرى أكل منها عيش ، بدل ضياع
وقتى فيما لا فائدة منه ولا عائدة !!

قلت ان مرتبى كان موضع استغرابهم ، ولم اقل حسدهم
لانهم بدءوا فى ذلك الوقت ، وفى ذلك الوقت فقط ، يكتشفون
مواهبى الرائعة ! وفنى البديع ! وتمثلى المدهش ! بل ويتنبئون
لى بمستقبل زاهر وعهد باهر . عينى ياعينى على التنبؤات ،
التي كانت على طرفى نقيض مع ما سبق أن شرفونى به من
تنبؤات ... برضه !!

كشكش بك والجنس اللطيف

لم يقتصر نجاح اعمالى على الوجهة العامة ، بل كان له اثر
شخصى خاص ، فقد كنت شاباً فى مقتبل العمر ، قيافة ، على
سنبعة عشرة ، أعيش فى وسط تغمره الروح الاجنبية . وكل
هذه ميزات ترفع من شأن المرء فى نظر الكل ، ولا سيما الجنس
اللطيف . لهذا أصبحت فى ذلك الوقت ، مطمح الكثيرات من
الزميلات وغير الزميلات ، ولكننى فى هذا الحين قد طرحت
الافكار القديمة ظهرياً ، وانتويت أن اخلص لعملى وحده ،
وأن ادع لغيرى مداعبات « المعلم » كيوبيد ومناورات . ذلك
ما عاهدت نفسى على انتهاجه اذ ذاك

وارجو ان يسمح لى القارئ العزيز ان اشير الى اننى ماذكرت
هذه الناحية الدقيقة ، وهى اننى كنت هدفاً لسهام الكثيرات
من أعضاء الجنس اللطيف . اقول اننى لم آت على هذه الناحية
الدقيقة ، الا لانه الاذهان الى حادثة خاصة لم يأن اوان
سردها بعد . وقد كانت سبباً مباشراً فى تغيير مجرى حياتى ،
وفى ايجاد اتجاه جديد حملنى تياره بقوة جارفة . ولست

أريد التبسط في شرحها حتى يجيء دورها . فمهلا وان غدا
لناظره قريب !!

وأعود فأقول ان اعمالنا في ملهى الابيه دى روز نجحت نجاحا
متواصلا . وأن الايراد الصافى الذى كان يتقاضاه المسيو روزاتى
كان يتراوح بين الثلاثين والاربعين جنيها فى اليوم الواحد . وقد
كان هذا النجاح الفذ داعيا أصحاب الملاهى الاخرى الى أن
يخذوا حذو « الابيه دى روز » وينسجوا على منواله ، فراحوا
يتلمسون السبل الى ذلك ، ويجهدون انفسهم فى الوصول الى
ماوصل اليه مسرحنا . وكان فى مقدمة تلك الملاهى (كازينو
دى بارى) الذى كانت تديره اذ ذاك مدام مارسيل لانجلو
« مكان سينما استديو مصر (ريتس الآن) »

وجاءت مدام مارسيل بالزميل القديم الاستاذ عزيز عيد ،
وجعلته على رأس فرقة ظلت تواليها بالعباية والاهتمام ، ولكن
للأسف لم تسفر هذه التجربة عن شئ من النجاح قل أو
كثر !! ولاسباب مجهولة باء مسرح الكازينو بالخسران المبين

ظهور الكسار

وراحت مدام مارسيل تفتق ذهنها فى ابتكار الاساليب
المتنوعة ، فتناولت اشخاص الممثلين بالتغيير والتبديل ،
وفعلت مثل ذلك مع المديرين أيضا ، الى أن هداها التوفيق الى
الاستاذين مصطفى أمين وعلى الكسار . وهنا فقط بدأت فرقة
(كازينو دى بارى) تحتل مكانا هاما فى عماد الدين ، كما بدأ
نجم الاستاذ الكسار يتلأأ فى ذلك الحين الى جانب نجمى ،
وأوجدت الظروف من الفرقة - التى كان على رأسها -
منافسا قويا لفرقتنا الناجحة

ونترك ذلك جانبا فنقول اننا اخرجنا مع الاستاذ امين صدقى
روايات « خليك ثقيل » و « هز ياوز » و « اديله جامد »
واظن القراء الاعزاء يذكرون ماسبق ان قلته ، من أن معبد

الرواية كان اسبوعا واحدا نخرج بعده الرواية الجديدة .
ولكن النجاح الكبير الذي واجهناه أغرانا بمدى أسبوعين
لكل رواية ، ومع ذلك فقد كان الجمهور يوالينا باقباله
وتشجيعه ، اللذين تعودناهما منه منذ البداية . وبينما كنا
على وشك اخراج روايتنا الرابعة ، انضم الينا زميلنا العزيز
الاستاذ عزيز

وقد ذكرت فيما قبل ان هناك حادثا كان سببا في تغير
مجرى مستقبلى ، وقد مررت به مرورا ووعدت بالعودة اليه
هذا الحادث هو كما يلي :

لم يكن النجاح الذى بلغناه يروق فى أعين الكثيرين من
حسادنا ، هؤلاء وجدوا مرتعا خصيبا فيما كان بينى وبين
مسيو روزاتى من صداقة ، نبتت على أثر ارتباط مصالحنا
المشتركة . ولذلك بدأ أولئك الحساد يعكرون الجو بيننا
ويتلمسون أسباب الشحناء ، باذلين فى ذلك جهودا غير
محمودة ، الى أن وقفوا على ناحية الضعف فى الرجل ، فضربوا
على وتر حساس استطاعوا بواسطته أن يتغلغلوا الى دخيلة
الرجل ، ويوهموه اننى أناؤه فيما استطاب من صداقة خاصة
للبعض ، ويعلم الله اننى برىء من هذا الفعل ، واننى كنت
أعرف للرجل جميله على ، فلم تحدثنى نفسى يوما بنكرانه

واحسست ان العلائق بيننا بدأت تتراخى من ناحيته ، وان
الدسائس وجدت طريقا الى قلبه ، فلم اتوان فى مفاتحته فى
الامر ، ولكنه انكر وجود شىء من سوء التفاهم ولاح لى
من هذا الانكار انه كان الى الاثبات اقرب . فقلت له مادام
الصفاء بيننا على حاله فأريد كبرهان قطعى ان ترتفع ماهيتى
الى ثلاثين جنيها فى الشهر ، أى ان احصل على ثلاثة جنيها
فقط كعلاوة شهرية ، وهو مبلغ ضئيل بالطبع بالنسبة لما كان
يربحه ، ولكننى ماكدت اتقدم اليه بهذا الطلب حتى رفضه

بشكل اثارنى ، وزاد على رفضه تأنيبا لم اتحملة ، وتعريضا
لم أجد معه بدا من انذاره بترك العمل بعد مهلة أسبوع آخر
ويظهر انه فهم انذارى هذا على غير حقيقته ، ظنا منه انها
مناورة اطالعه بها ، واننى لن أجد مع غيره عملا كالذى كنت
ابشره واياه ، لذلك أجابنى بأن الباب مفتوح والى مش عاجبه
... مع السلامة !!

لم تكن مدة التعاقد بيننا قد انتهت بعد ، وكانت الشروط
تقضى بدفع مائة جنيه غرامة لكل من يخل بما ورد فى العقد ،
ومع ذلك قررت الاخلال بعد مهلة الاسبوع الذى ضربته له ،
كى يجد فى أثائه من يحل محلى فى مسرحه ، ومادام الباب
مفتوحا كما يقول فلأعمل انا على قفله بالضبة والمفتاح ؟ !

نفقة

ولقد شجعنى على اتيان مافعلت ، ان مفاوضة كانت تجرى
فى ذلك الحين بينى وبين المرحوم الخواجه « ديموكنجس »
على أن أتفق معه على العمل فى مسرح جديد اسمه «الرينسانس»
فى شارع بولاق « فؤاد الاول (٢٦ يوليو) الآن » ، وموقعه
فى المكان الذى يشغله اليوم محل « اخوان شملا »

وانتهى الاتفاق بينى وبين مسيو كنجس على ان أتناول
مرتبا شهريا قدره مائة وعشرون جنيها . وقبضت منه بالفعل
عربونا يعادل ماهية نصف شهر ، أى ستين جنيها ، فكانت
هذه المرة الاولى التى أقبض فيها من عملى مثل هذا المبلغ
الضخم دفعة واحدة !!

وبعد نهاية المهلة المعطاة الى الخواجه روزاتى ، انتقلت
بحول الله وقوته الى تياترو « الرينسانس » ، وبدأت مع
الفرقة نجرى بروفات فيه لا نلوى على شىء

وبدا مديرنا القديم يشعر بالخسارة التى حلت به ، وراح
يعض بنان الندم على ماجره اليه دس الدساسين ، واكاذيب

المنافقين . فماذا هو فاعل اذ ذاك ؟
وما الطريق الذي يسلكه ؟

تسجيل اسم كشكش بك

راح يجرنا الى المحكمة المختلطة مطالبا ايانا بتعويض قدره
الف جنيه مصرى ، وبعدم استعمال اسم « كشكش بك »
باعتباره صاحب المحل الذى ابتكر هذا الاسم . وبعد مرافعات
ومداولات اخذت دورا كبيرا فى ساحة المحكمة ، صدر الحكم ،
فاذا هو يقضى برفض طلبات المدعى مع الزامه بدفع مبلغ المائة
جنيه المنصوص عليها فى العقد المحرر بينى وبين المسيو روزاتى .
وزاد هذا الحكم ان سجل لى فى حيثياته اسم « كشكش بك »
بصفته اول مبتكر له ، وأول مؤلف استعمله . واسقط فى يد
الرجل ، وكان ذلك نهاية ملهى « ابيه دى روز »

وتألفت فرقتنا الجديدة فى « الرينسانس » من السادة اياهم
الذين كانوا دعامة ابيه دى روز ، وهم الاربعة الكرام « أمين
صدقى واستيفان روستى وعبد اللطيف المصرى والعبد الفقير ،
وانضم الينا لأول مرة عبد اللطيف جمجوم

وبدأنا عملنا فتبعنا جمهورنا الذى تكون فى الملهى السابق ،
وتضاعف الاقبال عن ذى قبل وكتب الله لنا ما كنا نرجو من
نجاح وتوفيق

وحين كنا نعد روايتنا الاولى ، تناقشنا فى اختيار الاسم
الذى نطلقه عليها وانتهينا الى قبول اقتراح احدنا ، وهو ان
نجعل الاسم أداة لاغاية خصمنا الذى رفع علينا الدعوة فى
المحكمة ، ولم يكن الحكم قد صدر اذ ذاك - وهذا الاسم هو
« ابقى قابلى !! »

ولعله من المناسب هنا أن نقول ان تلك التسمية كانت بداية
لاكتشاف جديد فى عالم التمثيل ، وهو مراعاة « التأويل
والتريقة » على الغير ، باستعمال اصطلاحات وأمثال يذهب

الخصوص في تفسيرها مذاهب شتى : ويطبقونها على ما يكونون فيه من حالة نفسية . ولقد انتشر هذا (الاكتشاف) انتشارا سريعا حتى صار قاعدة ، أو تقليدا أو دستورا للفرق ، حين اختيار أسماء رواياتها . اذ كانت كل واحدة تراعى في هذه التسمية ان ترد ردا محكما على الاسم الذي تكون الفرقة الاخرى قد اختارته لرواياتها الجديدة ... وهلم جرا

واستمرت رواية « ابقى قابلى » تمثل شهرا كاملا دون ان يقل اقبال الجمهور أو ينقص ايراد الشباك ، مما حمل « المسيو ديموكنجس مؤجر الملهى » على تمام الثقة بأننا نسير الى الامام ، وبأنه كان على حق حين رغب في الاتفاق معنا

وبعد شهر اخرجنا رواية « كشكش بك في باريس » ، فكان نصيبها من النجاح نصيب سابقتها . واخذ اسم كشكش بك ينتشر بين الطبقات ، ويسرى فيها مسرى الكهرباء ، حتى جرى على كل لسان في الدور والقصور والميادين والازقة . ولم يعد أحد في مصر كلها قاصيها ودانيها لم يردد هذا الاسم ، بل وبيتسم حين يطرق سمعه

وكانت ثالثة رواياتنا « وصية كشكش » فلم تقل من حيث النجاح والفوز عن سابقتها

عطلة اجبارية

وفي شهر مايو سنة ١٩١٧ انتهت مدة التعاقد بين الخواجه ديموكنجس وصاحب الملك فلم يشأ ديمو أن يجدده ، بل رأى بثاقب بصره أن يستقل بمسرح جديد يكون ملكا خاصا به ، ففاتحنى في الامر ، ووافقته على وجهة نظره ، لان قيمة الايجار الذى يدفعه كانت كبيرة جدا . وراح ديمو يبحث عن المكان الجديد فوق اختياره على « قهوة » فى شارع عماد الدين ، مقامة على قطعة من الارض يمتلكها البنك العقارى المصرى ، وبعد المعاينة اللازمة اتفقنا على احتلالها واقامة مسرح مكانها

وتقرر أن يبدأ العمل فوراً في الهدم والبناء وقدرت المدة اللازمة لذلك بأربعة أشهر قضيناها معطلين عن العمل ولكن كانت جيوبنا والحمد لله تحوى ما يكفينا الم الفاقة وشظف العيش الذى قاسيناه فى أيامنا الخالية .. الله لا يرجعها ولا يورينا وشها !

وانتهت المدة المقررة فاذا نحن امام مسرح كامل البناء وان كان من غير سقف ، ومع ذلك تقرر استئناف العمل ، ولنكتفى بتغطية الصالة بالقماش حتى يحلها الحلال ، ثم ننظر فى موضوع وضع السقف اللازم !!

وجاء دور اختيار الاسم الذى نطلقه على مسرحنا هذا ، ففكرت فى اختياره على أن يكون معروفا للمصريين والاجانب على حد سواء ، لانى لاحظت أن أولئك الاخيرين بدءوا يتهافتون (كزبائن) مستديمين لفرقتنا ، بحيث اصبح الاقبال موزعا بين الفريقين (المصريين والاجانب) على حد سواء . ووقع اختيارى على اسم الاجبسيانة فأطلقناه على مسرحنا هذا ، وقد كان افتتاحه مبداً فى التاريخ الجديد لشارع عماد الدين . وبعد قليل من الزمن كان اسم مسرحنا يطفئ على اسم الشارع لامتداد سمعته واتساع نطاق شهرته

وهنا أرى أن أعود قليلا الى موضوع بناء مسرح الاجبسيانة فأقول ان المال الذى كان المسيو كنجس يملكه قد نضب قبل ان ينتهى العمل ، فاضطرت ان امده بما بقى لى من « شقا العمر كله » حتى أصبحت على الحديد « وعدنا الى ما كنا فيه من البؤس اياه » ومن فات قديمه تاه !!

ذكريات الماضى القريب

فى هذه الايام ساقى لى الاقدار فتاة فرنسية ما تزال ذكرها الى اليوم عالقة فى ذهنى لا ينسينى اياها كالفداء

ومر العشى . هذه الذكرى الجميلة ، أستمح القراء فى أن
أقف وإياهم إزاءها برهة

كانت « لوسى دى فرنای » - وهذا هو اسمها - صديقة
لى ، وكانت عوناً فى الشدة ، وساعداً يشد أزرى ويشدد
عزمى . ولئن ذكرت فى حياتى شيئاً طيباً ، فأنا أذكر أيام
زمالتها وعهد صداقتها

ولأذكر لك أيها السيد القارئ مثلاً من أمثلة الحياة التى
كنت أحيائها مع « لوسى »

وصلت الى القاهرة احدى الفرق الافرنجية ، وكانت تعمل
فى مسرح الكورسال ، (الذى بنيت فى موضعه عمارة عدس
بشارع عماد الدين الآن) . وكنت شغوفاً بمشاهدة تمثيل
تلك الفرق ، وقد كان فى مكنتى كممثل - أن أطلب تصريحاً
مجانياً للدخول ، يعنى « بون » بلغة الفن !! ولكننى كنت أرى
فى ذلك ما يخجل ، وكنت أفضل أن أدفع ثمن التذكرة مهما
كلفنى ذلك

وفى احدى الليالى أعلنت الفرقة عن تمثيل رواية كنت
شغوفاً - أنا ولوسى - بمشاهدتها ، ولم أكن أملك فى هذه
الليلة غير اثنى عشر قرشاً ، فاتفقت وفتاتى على أن نحتل
مقعدين فى أعلى التياترو ، وكان ثمن التذكرة خمسة قروش ،
فدفعت نصف الريال ولم يبق الا نصف فرنك . وكان الجوع
قد أخذ من لوسى كل مأخذ ، وهداها تفكيرها الى خطة قررت
تنفيذها . فقادتنى الى قهوة قريبة ، وهناك طلبت (واحد
شاي) . فلما جاء الجرسون بالطلب ، شربت الشاي من غير
سكر ، ثم فتحت حقيبتها ووضعت فيها جميع قطع السكر
التي أحضرها الجرسون !

أما الحكمة فى ذلك فهي أن الفتاة كانت قد دبرت فى المنزل
بعض الخبز وقليلاً من الشاي ، ولم ينقصها الا السكر !

فلما انتهى التمثيل وقصدنا الى منزلنا ، أعدت لشاي مع ما تهيأ لها من السكر الذي ملأت به حقيبة يدها في أول الليل ، وجلسنا نتناول عشاءنا « عيش وشاي وبس ! »

فاتحة سعيدة لعهد سعيد

ونعود الى العمل فأقول ان مسرح « الاجبسيانة » أعد بالفعل ، بس من غير سقف ... فجمعت الفرقة بعد أن أعددت مع الاستاذ أمين صدقي أولى الروايات التي أزمعنا اخراجها وهي رواية « أم أحمد »

وقد انضم الى الفرقة في هذه الاثناء الاستاذ حسين رياض وفي يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩١٧ ، افتتحنا مسرح الاجبسيانة ، وبدأنا عملنا فيه بنجاح كان فاتحة سعيدة

وان شئت أن أحدثك عن الاقبال الذي كانت تتمتع به فرقتنا من الجمهور ، فيكفي أن أقول لك ان شباك التذاكر كان يقفل قبل موعد التمثيل بأكثر من ساعة لنفاد التذاكر

وفي أواخر عام ١٩١٧ استأثرت رحمة الله بالفقيد الكريم الشيخ سلامة حجازي ، فامتألت قلوبنا حزنا عليه ، ورأيت أن الواجب يدعونا جميعا الى اعلان الحداد العام ، وتعطل العمل في المسرح ليلة بهذه المناسبة . ولكن المسيو كنجرس رفض أن يجيبنا الى تلك الرغبة قائلا انه يكفي لاعلان الحداد وقف التمثيل بضع دقائق !!

وانتهى هذا التضارب في الرأي الى انسحابي من الفرقة نهائيا ، وتصميمي على التضحية بعملي مهما كانت النتيجة

وأسند صاحب التياترو دوري في رواية « دقة بدقة » الى الاستاذ حسين رياض ، وسار العمل في (الاجبسيانة) بعد انسحابي بضعة أيام لا تتجاوز الاسبوع ، ثم تدهورت الفرقة وانفض الناس من حولها ، واضطر المسيو كنجرس الى اقفال مسرحه ، والعودة الى الدخول معي في مفاوضات جديدة

لم تكن تعجبني خطة كنجس في ادارة الفرقة ، ولذلك عرضت عليه اقتراحا يتضمن كف يده عن الادارة ، بل وعن كل شيء في نظير أن يتقاضى ٣٠٪ من الاراد يوميا ! فقبل ، ومن تلك اللحظة بدأ تاريخي في ادارة الفرقة التمثيلية

موازنة الميزانية في شهرين

جردت ما في جعبتي من متاع ، فاذا الخزينة لا تحوى غير خمسين جنيها فقط لا غير !! ومع ذلك ألفت الفرقة وقبل الممثلون بارتياح كبير أن يعملوا تحت ادارتي ، فأعددتنا رواية « حماتك تحبك » من وضع الاستاذ أمين صدقي . وبعدها رواية « حلق حوش » . وبعد شهرين هما - نوفمبر وديسمبر - عدت الى جرد الخزينة للاطمئنان على حالة الاحتياطي ، ولكنني رأيت رأس المال كما كان . . خمسين جنيها بلا زيادة ولا نقصان ! أى اننى استطعت « موازنة » الميزانية بأن جعلت الايرادات مساوية للمصروفات ، وكان الله يحب المحسنين !

لكن ده مش الغرض يا محترم ! احنا عاوزين غير كده نهايته . فكرت كثيرا في طرق الاصلاح . فرأيت أن « كازينو دى بارى » المجاور لنا ، والذي تديره مدام مارسيل « لانجلو » ، ويعمل به الاستاذ على الكسار ، أقول رأيت بعد البحث الدقيق أن هذا الكازينو قد احتكر اقبال الجمهور ، الذى كان يقصده زرافات ووحدانا ويملا مقاعده ومقاصيره . ما العمل إذن ؟

فلأوقف التمثيل في مسرحى ليلة أمضيها بهذا الكازينو لادرس عن كسب علة هذا الاقبال وسببه

لم اتوان لحظة في تنفيذ تلك الخطة ، فقصدت في الحال الى دى بارى وقضيت به ليلة كاملة (كمتفرج) ، فأدهشنى أن أرى أن كل ما هناك عبارة عن (استعراض) يغلب فيه العنصر

الافرنجى ، وتتخلله بضع مواقف فكاهية يظهر فيها الاستاذ على الكسار

لم تكن تلك الاستعراضات تحوى موضوعا ما . ولا معانى خاصة ، ولكن كانت فخامة المناظر وعظمتها ، و « تابلوهات » الرقص .. هى كل ما يشتمل عليه البرنامج ! يا لله !! ما دام الامر كذلك ، فلماذا اتعب نفسى « واشغل مخى » فى الاتيان بالموضوعات ، والبحث عن الروايات ذات المغزى . وما دام الجمهور يستريح ويقبل على النوع الاستعراضى فماذا يمنع أن نقدم له ما يشتهيهِ ؟

أولى رواياتنا الاستعراضية

صممت بعد هذه السهرة على عمل رواية استعراضية ، على شرط ان يكون العنصر المصرى فيها غالبا على الافرنجى ، وأطلعت زميلى الاستاذ أمين صدقى على هذه النية . وفى الحال وضعنا « هيكىل » رواية « حمار وحلاوة » ، وبدأ الاستاذ أمين يضع أناشيدها على أوزان موسيقية مطروقة ، بينما جعلت كل همى فى ترتيب المناظر ، و « توضيب » الستائر وامداد الفرقة بما ينقصها من عناصر الرقص والانشاد

انتهت الرواية وأجرينا بروفاتها اللازمة ، ورفعنا الستار عنها فى أول ليلة ، بعد أن « خرشمت » صحة الاحتياطى ، وتلفت أمله وأنزلته من رقم الخمسين الى الصفر ، وأصبحت قبل رفع الستار .. ايد ورا .. وايد قدام ! فاما الى الصدر ، واما الى القبر . واهى تخريمه يا صابت يا اتنين عور !!

كان ايراد الليلة الاولى ٣٥ جنيها فقط . انما الذى شعرنا به هو الاستحسان العام الذى قوبلت به الروايات من الجمهور وقد كان هذا الاستحسان اقوم اعلان لنجاحنا . فقد كان الاقبال يتزايد يوما عن آخر . ويكفى أن أقول لك بأن الخزينة عمرت فى نهاية الشهر الاول ، وقفز رقم الصفر الذى كان يحتلها الى ٤٠٠ جنيه

لم يكن النجاح مقتصرًا على الناحية المادية ، بل هناك نجاح أدبي آخر ، ملأ نفسي سرورا وقلبي انشراحا ، ذلك انه في احدى الليالى طرق باب المسرح طارق ، وجيء به الى ، فاذا هو أستاذى القديم (الشيخ بحر) مدرس اللغة العربية ، الذى سبق أن قلت ان الفضل يعود اليه فى تدريبي على القاء المحفوظات العربية فى المدرسة بطريقة خطابية مقبولة

جاء أستاذى الشيخ بحر يهنئنى بعد مشاهدته الرواية ، ويفاتحنى بما شمله من سرور بنجاح تلميذه . وأقسم أيها السادة أن تهنة الشيخ كانت عندى أكبر من مبلغ الاربعمائة جنيه التى عمرت بها خزانتى اذ ذاك

أمين صدقى يترك الفرقة

كان الاستاذ أمين صدقى يتقاضى مرتبا شهريا قدره ستون جنيها ، ولكنه بعد ان شاهد ذلك الاقبال المنقطع النظير وهذا الايراد الضخم ، رأى أن يملى على شروطا جديدة فجاءنى مطالبا بالاشتراك معى فى الايراد مناصفة بدل أن يتناول منى أجرا ! دهشت لذلك طبعًا وأجبتة بأننى أعارض فى ذلك ، وان كنت لا أمانع فى رفع مرتبه الى الدرجة المناسبة وتمسك كل منا بوجهة نظره . فأضرب الاستاذ أمين عن الكتابة ، حينما طلبت اليه أن يبدأ فى وضع الرواية الثانية على غرار « حمار وحلاوة » ..

واضطرت اذ ذاك أن أبحث عن شخص آخر يقوم بمهمة وضع الازجال . وأعلنت فعلا عن حاجتى هذه الى كثيرين ممن حولى ، فتقدم البعض لاداء هذا العمل . وأذكر من بينهم الاساتذة حسنى رحى المحامى والاستاذ اميل عصايسو ، وقد كان ذلك أول عهدى به . وكذلك جاءنى زميل قديم ممن كانوا معى فى البنك الزراعى هو المسيو جورج . ش فتمت للاخير اننى أرغب فى وضع انشودة تلقيها طائفة من

المرايين (الفايظجية) وقانا الله واياكم شرورهم !!
وفي اليوم التالى حضر السيد (جورج) وأطلعنى على زجل
ظريف وقع منى موقع الاستحسان . فسألته : « انت حقا
مؤلف هذا الزجل ؟ » . واجاب بالايجاب . فقلت : « اذا كان
هذا صحيحا فأنا أعينك فى الحال . . »

الا أنه لم يكده يغادر غرفتى حتى دخل صديق لى أكتفى
بأن أرمز لاسمه بحرفى (ت . م) ، وقال أن واضع الزجل ليس
جورج . ش ، ولكن صديق له اسمه (بديع خيرى) ، وكل
ما هناك أن اتفاقا عقد بين الاثنين (بديع وجورج) مضمونه
أن يتخصص الطرف الاول فى التأليف ، ويقوم الطرف الثانى
بعملية البيع . وزاد الصديق على ذلك أن فى استطاعته أن
يعمل على فض هذه الشركة الوهمية ، وأن يتصل بالمؤلف
مباشرة

أول اتصال بصديقى بديع

واهتمت بما ابداه الصديق (ت . م) وطلبت اليه المبادرة
بتنفيذ قوله ، فلم يتوان صاحبنا - كثر خيره - بل جاءنى فى
مساء اليوم التالى يجر خلفه فتى ممشوقا

ولم يشأ صديق الطرفين (ت . م) أن يترك المسألة تمر
طبيعية ، بل ضحك وقال لى ما نصه : « ما تتفرش فى نفخته
دى . دا خجول لدرجة ما تتصورهاش ، بس العبارة انه شرب
دلوقت ثلاث كاسات نبيت ، علشان يتشجع ! »

وتناقشنا بعض الوقت مناقشة دلتنى على أن الفتى جد
مهذب ، وانه حقا خجول حسن التربية جم الادب . ولعله
من الظريف ان اقول انه بعد فترة قصيرة انكمش صدره
العريض وتقلص قوامه الممشوق ، وحل به اضطراب غريب .
فأومأ لى الصديق (ت . م) قائلا : « اتفرج صاحبنا فاق من
الثلاثة نبيت وبقت حالته عبر ! »

وقد سألت « بديعا » أهو حقا صاحب زجل « الفايظجية »
الذى سبق أن جاءنى به المسيو جورج ، من يومين ، فتردد
فى الاجابة ، وتغلب عليل الخجل والكسوف ، وراوغ كى يغير
مجرى الحديث ، ولكننى اقفلت فى وجهه كل أبواب التخلص
حتى اعترف

قلت له اننى أريد منك زجلا جديدا تلقيه طائفة من الاعجام
وفدت لزيارة كشكش بك عمدة كفر البلاص ، فمتى تتم هذا
الزجل ؟ فلم يتوان فى التأكيد لى بأن فى استطاعته الفراغ منه
فى صباح اليوم التالى . وقد كان عند وعده ، اذ جاءنى فى نفس
الموعد يحمل الزجل المطلوب ومطلعه ! ١٧ -

هاى هاى أعجام اخوانا .. كفر البلاص قدامنا -

ياللا مافيش استنى

أعجبت بالزجل وبخفة الروح التى تمشت فى ثناياه ، فلم
يفادر بديع المسرح قبل التوقيع ، على عقد اتفاق بالعمل معى
بمرتب شهرى قدره ستة عشر جنيها مصريا

ولعل القارئ يذكر ما قلته من أن المال الاحتياطى بلغ فى
خزينتى فى نهاية الشهر الاول من تمثيل رواية « حمار وحلاوة »
أربعمائة جنيه . والآن أقول بأن هذا المبلغ تضاعف دون زيادة
أو نقصان عند ختام الشهر الثانى ، أى انى وجدت بين يدى
اذ ذاك ثمانمائة جنيه مصرى .. جنيه ينطح جنيه !

عدت بذاكرتى فى هذه الحالة الى حالة البؤس والشقاء ،
وجبت فى عالم الخيال لحظات أفكر فى السعادة وأسبح فى بحار
الآمال قائلا : « أتكون السعادة يا ترى فى الحياة أو العظمة أو
المال .. ؟ »

وحين دارت برأسى هذه الافكار ذكرت حادثا وقع لى حين
كنت أعمل فى شركة السكر بنجع حمادى . ذلك انه وصل الى
المدينة فى أحد الايام فيلسوف فرنسى كان قد نزل عن ثروته

للأعمال الخيرية مكتفيا بالكفاف ، وجعل همه في القاء محاضرات
شبه صوفية

وذهبت مع الذاهبين لسماع محاضرة هذا الفيلسوف ،
لا حبا في السماع ولا رغبة في العلم ، بل لما رب أخرى ! ولئن
تسألني عن هذه المآرب .. لأخري ، فلا تنتظر مني جوابا
شافيا ، وكفاني ان أصرح لك بأن هذه المحاضرات كان يقصد
الى سماعها أناس كثيرون من الجنسين اللطيف والخشن ..
أعود الى الموضوع فأقول بأن الذي استرعى سمعي في
محاضرة هذا الفيلسوف الجملة الآتية : « أيها السادة .. لقد
أجهدت نفسي في البحث عن السعادة ، فعرفت أنها ليست في
هذه الحياة الدنيا الا لفظا بلا معنى وكلمة بلا مغزى !

« كنت غنيا واسع الثراء .. ولكن ذلك لم يجلب لى السعادة
.. فتشت عنها في مملكة الحب ، فكان لدى أجمل من وددت ،
ومع ذلك كان هذا الحب أمامى سرايا خلف لى حسرة وتعاسة
« جربت الجاه والترف ، جلست في ميادين الصداقة ، وأقسم
اننى لم أعثر على المسمى الجميل الذى يطلقون عليه اسم
السعادة ، ولذلك رجحت .. لا بل آمنت بأن هذا العالم خلو
من السعادة . واننا ان افتقدناها فلن نجدها الا في عالم آخر غير
هذا العالم ، وفي حياة أخرى باقية غير هذه الحياة الفانية ! »
انتهى بتصرف !!

أقول اننى حين وجدت بين يدي ثمانمائة جنيه ترددت في
اذنى كلمات هذا الفيلسوف العجبر ، فضحكت ملء شدى
وقلت في نفسى : أين هذا العاجز الفبى ، كى اقوده الى عالم
السعادة التى ضل سبيلها وفقد طريقها ؟

نهايته .. لست أريد التوسع في هذه الناحية فقد لمست
السعادة وقطفت اذ ذاك ثمارها وضربت عرض الحائط بالفيلسوف
الفرنسى وبنظرياته البائدة

مع الشيخ سيد درويش

نجاح متواصل

بعد ان انفصل عنا الاستاذ أمين صدقي ، أعددت رواية سميتها « على كيفك » وهى التى وضع أزجالها الصديق الجديد بديع

وقد كنت فى أثناء تمثيلها أدرس حالات الجمهور النفسية ، وأرقب مقدار الاثر الذى تحدثه تلك الازجال الجديدة فى نفسه . وقد سررنى أنه كان يتقبلها قبولا حسنا ، بل وأحسست فوق ذلك ان جميع الطبقات كانت تستريح لسماعها وتقبل عليها أحسن اقبال

وقد رأيت ازاء ذلك ان أشجع هذا الفتى الجديد « وافتح نفسه » للعمل ، فرفعت مرتبه من ١٦ جنيها شهريا الى ثلاثين جنيها دفعة واحدة . ولقد تغير الحال تغيرا مذهشا ، واتسعت دائرة الاعمال وأضحى مسرح الاجبسيانة مقصد الرواد من كل حذب وصوب . حتى فى الايام التى كان يعبر عنها بالايام « الميتة » وهى الاثنين والثلاثاء والاربعاء

قضينا شهرين فى تمثيل رواية « على كيفك » كان الرصيد بعدهما قد بلغ ثلاثة آلاف جنيه ، وقد كان قبل تمثيلها ثمانمائة فقط . وبعد ان رأيت هذا النجاح المطرد عولت على ان أجتهد فى ارضاء جمهورى ، وأن أبادله تلك الثقة التى أولانى

اياها . ففكرت في الاستعانة بمؤلف ثالث للاشتراك في بناء هيكل الروايات ، وفي استنباط موضوعاتها وابتكار نكاتها ، وقد وقع اختياري على الكاتب الاديب الاستاذ حسين شفيق المصرى ، فاتفقت واياه توا

ووضعنا اذ ذاك رواية (سنة ١٩١٨ - ١٩٢٠) وقد نسيت ان اذكر ان ملحن أناشيد هذه الروايات الثلاث (حمار وحلاوة وعلى كيفك وسنة ١٩١٨ - ١٩٢٠) كان المرحوم كاميل شامبير

في هذا الوقت كان النوع الذى نخرجه قد طغى على كل ما عداه في مصر ، حتى كاد الدرام والتراجيدى يندثران فلم تقم لهما قائمة ، وأصبحت الفرقة المخصصة لهما « تنش طير » فلما ساءت الحال أمامها وأعرض الناس عن تمثيلها ، تقدم بعضهم الى الاستاذ جورج ابيض ينصح له أن يحاربنا في نوعنا ، وأن يخطط لفرقته خطة جديدة ، ما دام الناس يقبلون علينا هذا الاقبال العظيم

وانقاد جورج لنصيحة أصدقائه . وكان في هذا الوقت قد عثر على الفتى الصغير حامد مرسى ، فجاء به ينشد بعض القصائد القديمة بين فصول رواياته

وكلف الاستاذ جورج المرحوم عبد الحليم دولار المصرى أن يضع له رواية تماثل رواياتنا ، فكان ان قدم له رواية « فيروز شاه » !

ولم تحدث هذه المنافسة الجديدة أى أثر من ناحية عملنا ، بل ولم نحس نحن بأن هناك منافسا جديدا نزل السوق أمامنا ! ولكن كانت هناك ظاهرة جديدة كان لها شأنها من وجهة نظرى انا ، اقصها عليك فيما يلى !

لم يكن لدى الوقت بالطبع لاذهب الى تياترو جورج ابيض كي اشاهد روايته ، ولكن بعض ممثلى فرقتى كانوا ينتهزون

فرص خلوهم من العمل فيذهبون لمشاهدتها ، حتى اذا ما عادوا سمعتهم ينشدون أناشيدها البديعة ، ويرددون ألحانها القوية ، التي لمحت فيها اتجاهها جديدا ، وروحا جديدا . . . بل فنا جديدا يسمو على كل ما عداه مما سبق ان قدمناه

الشيخ سيد درويش

سألت عن الملحن ؟ فقل لي أنه شاب اسكندري لم يكن له سابق عهد بالتلحين المسرحي ، وان الحانه هذه هي الاولى له في هذا المضمار . أما اسمه . . . فسيد درويش . عجبت لذلك ، وفكرت طويلا في اجتذابه ، ولكنني - وقد عهدني القراء صريحا في كل ما خطت في هذه المذكرات - لا أرى ما يحول دون ابداء ما اعتراني في هذه اللحظة من أفكار

أقول انني وجدت نفسي بين عاملين متناقضين :

هل يحسن بي أن اتفق مع هذا الملحن ؟ أم الاجدر أن أغضى عن ذلك ؟ واذا اتفقت ، فماذا تكون النتيجة لو عمل معي شهرا أو شهرين حتى اذا ما تمكنت ألحانه من أفئدة جمهوري ، و « خدوا عليها » تركني أعرض بنان الندم ، أو أملئ على شروطا قاسية ، كتلك التي كانت سببا في انفصال زميلي السابق أمين صدقي !!

وهل الاولى أن أسير في خطتي مع الجمهور الذي رضى من ألحاني بما قسم أو اقفر بهذه الألحان الى العلى . . دفعة واحدة ؟!

وأخيرا تغلبت على محبتي للفن ، فقررت الاتفاق مع سيد درويش مهما كان وراء ذلك من تضحية ، اذ أننى وجدت من الاجرام حرمان الفن من شخص كسيد درويش

كان المرحوم الشيخ سيد يتقاضى ثمانية عشر جنيها في الشهر من الاستاذ جورج أبيض ، فرفعت هذه القيمة الى أربعين دفعة واحدة ، وتعاقدت مع الرجل ، وكان مرتب الاستاذ

بديع خيرى قد وصل فى هذا الحين الى الخمسين

أعدنا رواية أطلقنا عليها اسم « ولو » ، ووضع بديع أول زجل منها وهو عبارة عن شكوى يتقدم بها جماعة من « السقاين » يشرحون للجمهور آلامهم فى الحياة ، ومطلع هذا الزجل هو « يعوض الله .. يهون الله ، ع السقاين ، دول غلبانين ، متبهدين م الكبانية ، خواجاتها جونا ، دول برازونا فى صنعة أبونا ، ماتعبرونا يا خلايق »

سلمنا الزجل للشيخ سيد درويش ، وقد كانت ميزته رحمه الله ان يضع لكل لحن ما يوافقه من موسيقى ، وأقصد بهذه الموافقة التعبير الصادق للمعنى العام ، بل ولكل لفظ من ألفاظ الكلام ، حتى كان المرء يدرك من أول وهلة ما يرمى اليه هذا الكلام عند سماع الانغام .

تسلم الشيخ سيد لحن السقاين ، ولكنه لم يعد إلينا فى الموعد المضروب ، بل ولا فى اليوم التالى !! حتى اذا كان اليوم الثالث قصد اليه أحد أصدقائنا فسهر معه الليل بطوله . وكانت شكواه أن قريحته اليوم متحجرة وأنه قضى الأيام الثلاثة الماضية يقدح زناد الفكر عله يصل الى النغم الموافق دون جدوى !! وفيما هما يتحدثان ، وقد كانت أضواء النهار فى تلك اللحظة تطارد جيوش الظلام !! صادفهما أحد « السقاين » وكان يحمل قربة الماء على ظهره ويجوب الحواري ، وكان يسير اذ ذاك فى حى المنشية بالقلعة - وسمعه ينادى بأعلى صوته وبنغمته التقليدية الخاصة قائلا : « يعوض الله » فتنبه الشيخ سيد ، وأمسك بذراع صديقه وهتف كما هتف أرشميدس (الفيلسوف اليونانى) من قبل حين وفق الى نظرية الثقل النوعى فى أثناء استحمامه فخرج عاريا يجرى فى الشوارع ويصيح (أوريكا . أوريكا) أى وجدتها . وجدتها !!

نعم لقد هتف سيد درويش حين سمع نداء السقا فقال

لصديقه : « خلاص خلاص يا فلان ، لقيت اللحن اللى انا
عاوزه ! »

وفي المساء حضر رحمه الله وأسمعنى اللحن فكدت أطير به
فرحا ، وفي الوقت نفسه حضر الاستاذ بديع فأسمعنى زجلا
رائعا مطلعته : « نبين زين ونخط الودع وندق لكم ونطاهر ..
ونجبل اللى ما تحبلش ونفك كمان اللى تشاهر »

وفي اليوم التالى كان الشيخ سيد قد وضع له اللحن
المناسب ، ثم لحن عقب ذلك زجل استقبال كشكش « الفين
حمد الله على سلامتك .. يا أبو كشكش فرفش أدى وقتك »
.. فكان اللحن كذلك بدعة

وهكذا ظل بديع يتحبنى بأزجال من النوع الممتاز فيلحنها
سيد تلحينا شائقا ، ومن ثم ظهرت رواية « ولو » للجمهور في
ثوب قشيب من بديع البيان ، وصفاء الألحان ، وقد أحسست
أن المتفرج كان يسبح في أثناء التمثيل في عالم علوى تهزه نشوة
السرور والاعجاب ، فيقابل كل كلمة أو نغمة بالتصفيق
والترحيب . ولست أجد وصفا وجيزا لنجاح « ولو » غير أن
أقول أنها جاءت آية وكفى ..

وفي هذا الحين كانت شهرتى قد امتدت وصيتى قد بعد ،
وأرى الا يقف التواضع فى سبيلى اذ صرحت بأننى أصبحت
موضع أحاديث الناس فى كل مكان ... حتى لم يعد يتردد على
السنتهم غير تلفراف الحرب العالمية ، وروايات نجيب الريحانى .
وهنا يحلو لى أن أعود الى ذكرى حلوة ، ذلك أن والدتى كانت
الى هذا الحين تأنف من مهنة التمثيل ، وتكره أن يعرف عنى
أننى ممثل وقد سبق أن رويت الكثير فى هذا الشأن

أسعد أيام حياتى

حدث اذ ذاك ان كانت رحمها الله فى عربة « المترو » عائدة
الى المنزل فى مصر الجديدة ، فسمعت رهطا من الركاب

يتذكرون شئونا فنية ورد أثناءها اسمى ، فأرهدف دون أن
تشعرهم ، وما أشد دهشتها حين سمعتهم مجتمعين على الثناء
على وامتداح عملى والاشادة بمجهودي !!

أتدري ياسيدى القارىء ماذا كان من هذه الوالدة العزيزة
التي تحتقر التمثيل وتنكره ؟ لقد وقفت وسط عربة المترو ،
واتجهت الى أولئك المتحدثين وقالت بأعلى صوتها : « الراجل
الى بتكلموا عنه ده يبقى ابنى ! أنا والدة نجيب الريحانى
الممثل ! » وخلقى بالك من الممثل دى !

« الممثل » هذه الكلمة التى كانت أمى تأنف أن « أوصم »
بها ، أضحت موضع زهوها وفخارها ! فاللهم سبحانه ربى
ما أعمق حكمتك ؟!

وفى هذا اليوم ، يوم المترو الذى لا أنساه ، تفضلت والدتى
رحمها الله فشرفتني بالحضور الى تياترو الاجبسيانة، خصيصا
لمشاهدة ابنها الذى يقدره الناس دونها ، ويمتدحونه ؟! فكان
هذا اليوم من أسعد ، ان لم أقل أسعد أيام حياتى
ومما زاد فى اغتباطى الى جانب ذلك ما لمستته من رفى
الطبقات التى كانت تقصد الى مسرحنا ، وفى مقدمتهم شباب
الهاى لايف وفتياته ، وأكرم الاسر فى مصر ، وأعلاها مكانة ،
وقد كان صاحب السمو الامير اسماعيل داود فى مقدمة الذين
أعجبوا بى ، فتفضل وأبرز هذا الاعجاب فى اطار من التكريم
لست أنساه ، اذ كان يتفضل بدعوة الفرقة بجميع أفرادها
الى مسكنه العامر حيث تحيى حفلات خاصة ما كان أحلاها
وأنهاها

في خدمة الوطن

في خدمة الوطن

واذا كنت الى جانب ذلك أفخر بشيء آخر ، فهو ما كنت احظى به من تقدير الزعيم الخالد سعد زغلول ، الذي كان يتفضل بتشريف حفلاتي ، والتردد باستمرار على مسرحي لمشاهدة التمثيل ، واظهار الاعجاب بين وقت وآخر . وكل ذلك ملأني سرورا وفخرا كان لهما الفضل الاول في اجتهادي وموالاتي للعمل بنشاط ورغبة

كان هذا منذ سنوات عديدة . فهل تدري ماذا كان في هذا العام (١٩٣٦) ؟ لقد تقدمت احدى الجمعيات الخيرية الى وزارة معارفنا الجليلة ، ترجو السماح لها بدار الاوبرا الملكية لاحياء حفلتها السنوية ، على أن تكون فرقة الريحاني هي التي تقوم بالتمثيل !!

فكان جواب الوزارة أن لامانع من التصريح بالدار ، على شرط الا يسمح لفرقة الريحاني بالتمثيل على مسرحها !!

يا لله !! الفرقة التي كانت منذ سنوات عديدة موضع تقدير الامراء والزعماء والعظماء والكبراء !! تصبح اليوم غير اهل للظهور على مسرح الاوبرا - كما ظهر غيرها من فرق خلق الله ؟ !

الا سامحك الله يا وزارة المعارف . وسامح رجالك العاملين في احدى الليالي طرقت بابي فتاة بارعة الجمال ، صغيرة السن تبدو عليها مظاهر الارستقراطية ، ومعالم « الابهة » والفخخة!!

نظرت الى من فوق لتحت !! وقالت : « انت الى بيسموك كشكش ؟ » فأجبت : « أيوه ياستى انا كشكش » فضحكت ضحكة فيها غير قليل من الاستخفاف وقالت : « النبي حارسك ، أمال فين دقنك يادلعدى ؟ »

نهايته أقول بأننى رغم هذا « استظرفت » الفتاة ، وأعجبت بخفة روحها ، ولطف حديثها ، فسألتها عن اسمها وأجابت بأنها زينب صدقى !! طيب وعاززة ايه ياست زينب يا صدقى ؟ عاززة أشتغل ممثلة يا كشكش يابيه !!

أهلا وسهلا م العين دى والعين دى . أصبحت زينب صدقى من هذه الليلة ممثلة بالفرقة . ولعل زينب لا يضرها أن اصارح الجمهور بأنها لم تكن يوم أن قصدت الى المسرح مبالغة الى التمثيل كل الميل ، ولم تكن هوايتها للفن هى التى دفعت بها اليها ، وربما كان القصد قتل الوقت والتسلية ، لأنها كانت فى اخلاقها وحديثها أقرب الى الطفولة منها الى أى شىء آخر ، ومع ذلك فقد أحبها كل من يظلمهم سقف المسرح من ممثلين وممثلات ، مصريين وأجنيبيات ، وهوت اليها أفئدتهم جميعا . وفى المقدمة (لوسى فرناى) الفتاة الفرنسية التى ذكرتها آنفا والتى عرف القراء انها كانت شريكة لحياتى فى تلك الآونة !! نعم أضحت لوسى وزينب صديقتين لا تفرقان

المسرح والوطنية

قلت أن اقبال الطبقات الراقية على الاجبسيانة كان بالغا أشده ، حتى أن الكثيرين كانوا يحجزون مقاعدهم قبل موعد التمثيل بأيام . وأذكر على سبيل التخصيص ذلك الرجل الذى أكن له الى اليوم احتراما وتقديرا كبيرين ، ألا وهو الاستاذ عبد السلام ذهنى المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة (سابقا) ، وصاحب المواقف المشهورة فى الدفاع عن لغة البلاد بين جدران تلك المحكمة

كان عبد السلام فى ذلك الحين محاميا ببنى سويف ، وكان « زبونا » مستديما للاجسيانة . وفى اليوم الذى يشعر أن مرافقته فى احدى القضايا قد تجبره على البقاء هناك الى القطار الاخير . اقول انه كان فى هذه الحالة يحجز مقعده فى التياترو بالتلغراف ، ثم ينزل من القطار الى التياترو مباشرة !!

وحين رايت من الجمهور المثقف ، ومن عامة الشعب هذا الاقبال المنقطع النظير ، رايت أن أستغله استغلالا صالحا ، وأن أوجهه التوجيه النافع . فرحت أنقب عن العيوب الشعبية ، وأبحث عن العلل الاجتماعية التى تنتاب البلاد . ثم أضمن الحان الروايات ما يجب عن علاج ناجع لمثل هذه الادواء . كذلك راعيت فى كثير من هذه الاحان أن تكون أداة لايقاظ شعور الجمهور ، وتعويده حب الوطن واعلاء شأنه ، والمحافظة على كرامته ، والتغنى بمجده الخالد ، وعزه الطريف التالد

وكان من آثار هذا الاقبال وذلك النجاح أن تضاعف الخصوم والحساد ، واختلفت أسلحة كل منهم فى حربى ، فمنهم من كان يطعن من الخلف بخسة ودناءة ، ومنهم من كان ينازلنى جهارا على صفحات الجرائد اليومية (اذ لم يكن للصحف الاسبوعية وجود فى ذلك الحين) . ولم يكن القارىء يفرد بين يديه احدى الصحف الا وجد فيها نهرا أو نهريين يتغنى كاتبهما بلعنة خاش كشكش وروايات كشكش واللى خلفوا كشكش كمان !!

ومع كل ذلك لم اكن أعير هذه الحملات اى التفات ، ولم اكن أحدث نفسى بالرد على اى كاتب . وتحضرنى فى هذا المجال عبارة قالها احد النقاد وهو الاديب المعروف الاستاذ حامد الصعيدى (الموظف الآن بالبرلمان) : ذلك أنه قال يوما لبعض صحبه : « ايه اللى رايعين نعمله فى راجل نفضل نشتم فيه فى الجرايد ، يقوم حضرته يرد علينا بكلمة : « ولو » ، وهو اسم

الرواية التي كنت أمثلها اذ ذاك !!

على أن ذلك كله لم يؤثر من ناحية الاقبال أى تأثير - ولئن كان هناك شيء من ذلك فقد كان تأثيرا عكسيا ، لان الجمهور كان يتهافت على حضور حفلاتنا تهافتا لامثيل له

وفي ذلك الحين ظهرت طوائف « البلطجية » الذين كانوا يحومون حول أولاد الدوات من رواد مسرحنا ، كالمرحوم على كامل فهمى وأمثاله من الشبان الوارثين والسراة . وقد شاءت دناءة بعض حسادى أن يتخذوا من أولئك البلطجية أداة لحربى ، وقد كانوا يثيرون القلاقل ، ويقومون بمشاجرات عنيفة داخل التياترو ، ولست أنسى أن رصاصة مسدس أطلقت على شخصيا أثناء التمثيل ولكن الله سلم . وفي ليلة أخرى أطلق مأفون على حصا من نبلة كادت تصيب عيني الا قليلا !!

فكرت كثيرا فى هذه الحوادث فرأيت أن لا سبيل الا محاربة الداء بالداء ، فبحثت عن رئيس تلك العصابات وعلمت أنه (يوسف شهدى) ، فجئت به ، وعرضت عليه العمل بماهية يتقاضاها وأفهمته أن وظيفته هى حفظ نظام الصلاة !! ولقد أفلحت خطتى هذه ، فوقفت المشاغبات نهائيا . وسار الحال من تلك اللحظة على مايرام !!

اش . . !

كانت رواية « ولو » قد استغرقت فى عرضها على الجمهور ثلاثة أشهر متوالية ، لم ينقص الايراد اليومى فيها عن الثمانين جنيها

وكثيرا ماكان يزيد على ذلك ، مما شجعنا على العناية بالرواية التالية ، وقد اخترنا لها اسم « اش » ، وهى أيضا من تلحين فقيد الموسيقى المرحوم الشيخ سيد درويش ، كما أن واضع تلك الازجال هو الزميل بديع خيرى ، الذى اضحى من ذلك الحين الى اليوم والى غد والى أن نلقى الله ، خلا وفيا وأخا عزيزا

نتبادل الثقة ونتعاون في السراء وفي الضراء
نالت رواية « اش » استحسانا مدهشا . وجاءت الحانها
بدعة من ناحيتي التأليف والتلحين . ويكفى ان انبه الاذهان
الى اللحن الذي امتدت شهرته فتخللت الدور والقصور ،
وأنشده الكبير والصغير في عاصمة القطر وفي ريفه . الا وهو
« يا أبو الكشاكش كان جرى لك ايه ياهلترى . دقنك شابت
في المسخرة وأمور الفنجرة »

وفي هذه الآونة كان الزعيم الراحل سعد « طيب الله ثراه »
يؤلف الوفد المصري للقيام الى مؤتمر الصلح في فرساي كي يدافع
عن حق مصر في الاستقلال ، ويعمل على استخلاص حقها
ورفع الحماية الجائرة عن كاهلها . وكان رحمه الله ينادى بضرورة
الاتحاد وجمع شمل الامة تحت لواء واحد والتفاف عناصرها
في كتلة واحدة مهما اختلفت النحل وتباينت الاديان والملل .
ولقد انتهزت هذه الفرصة فضربت على تلك الوتيرة وضمنت
رواية « اش » لحنا تلقيه طائفة من سياس الخيل ، جاء في
ختامه هذا المقطع : « لا تقول نصراني ولا يهودي ولا مسلم
ياشيخ اتعلم . اللي أوطانهم تجمعهم . عمر الاديان ماتفرقهم »
وهكذا ظلت فرقتنا تؤدي واجبها الوطني على قدر ماتسمح
به جهودنا المتواضعة . ولم أشأ أن أقف عند هذا الحد بل
ساهمت في التبرع المادي ، فدفعت لخزينة الوفد مبلغا شكرني
من أجله المرحوم فتح الله بركات ، وأولاني من عبارات التقدير
مالا أنساه

فتحية وعبد الوهاب

وفي ذلك الحين - يعني في عز النفقة والنجاح - كانت
مطربة القطرين السيدة فتحية أحمد ضمن أعضاء الفرقة ،
وكانت اذ ذاك طفلة صغيرة تنال من اعجاب الجمهور واستحسانه
قدرا وافرا ، لانها فضلا عن كونها مطربة جلية الصوت ، ساحرة

الفناء ، كانت خفيفة الظل رشيقة الحركة دائمة الابتسام على المسرح

وكثيرا ما كنا نعد لها قطعاً تلحينية في صلب الرواية كانت تقوم بها على خير الوجوه ، وفي احدى الليالى زارنى أحد الاصدقاء ومعه فتى صغير السن ، لطيف المظهر ، تبدو في عينيه دلائل النبوغ الذى لايزال المستقبل يحجبه الا على الخبير المتمكن وقد طلب منى الصديق أن الحق هذا الفتى بفرقتى ، قائلا أن لديه موهبة قل أن توجد فيمن هم في سنه ، وهى أنه يمتاز بحنجرة موسيقية نادرة ، وصوت ساحر خلاب ، وذاكرته فنية قوية

لم أشك لحظة في أن الفتى يتمتع بهذه الاوصاف جميعا ، فهل تدرى من هو الفتى الصغير الذى نعينه ؟

هو الموسيقار الكبير الاستاذ محمد عبد الوهاب ، ولولا أن المجال لم يكن يسمح بضمه الى الفرقة لانتظم في سلكها اذ ذاك

فلوس في كل مكان

كان المال ينهال على خزينة تياترو الاجبسيانة كالمطر الغزير وبشكل لم يكن أحد ينتظره أو يتصوره ، وكلما ارتفعت أرقام الارباح ، ارتفعت معها عقائر الخصوم والحساد ، وامتلات أعمدة بعض الصحف بالطعن في كشكش من جميع النواحي . والظريف في الموضوع أن صاحب شخصية كشكش كان مجهولا من الناس طراً ، فلم يكن يعرف شكله أحد ، ولم يكن انسان يدرى أهو أبيض أم أسمر ؟ فتى أم شيخ ؟ مطربش أم معمم ، ذلك لاننى كنت أظهر على المسرح بالجبة والقفطان وباللحية الطويلة الوقور ، ولم اكن أكثر الظهور في الشوارع والطرقات ، كذلك لم تكن الصحف الاسبوعية قد انتشرت ، بل ولم تكن قد ظهرت وامتلات صفحاتها بالصور كما هو الحال الآن ، تلك الصور

التي أوقفت القراء في أنحاء مصر وغيرها على «أشكال» الممثلين والممثلات ، وقربتهم الى الازدهان ، بحيث أصبح من السهل الآن على كل امرئ أن يتعرف على أقل مخلوق أو مخلوقة من ممثلى المسرح وممثلاته

ويحلو لى الآن فى هذا الصدد أن أقول ، بأن وفرة المال بين يدى كانت تنسينى فى كثير من الاحوال المواضع التى كنت أحفظ فيها النقود ، من ذلك أننى وضعت يوما فى « القمطر » ، وأرجو أن يسامحنى القراء فى استعمال هذا اللفظ ، لأننى لم أسمع به الا من صديق لى قال ان المجمع اللغوى وضعه بدل كلمة « الدولاب » ، فأردت أن أنتهز الفرصة وأتفلسف على قرائى المحبوبين ، أمال يعنى حاتفلسف على مين غيرهم ؟ . ع المتفرجين ؟ ... نهايته

وضعت يوما فى « قمطر » التواليت (لم يخبرنى صديقى على الاسم الذى انتخبه المجمع بدل كلمة التواليت) وضعت فيه مبلغ ثلثمائة جنيه مصرى ، ثم نسيت هذا المبلغ بعد ذلك ، ولم أعره أهمية ، لان الخير كثير ، وستر المولى كان متوافرا للغاية . وبعد عشرين يوما من هذا الحادث تصادف أن كانت « لوسى » تنظف ادراج القمطر - ياسلام أنا داخله فى مزاجى كلمة القمطر دى بشكل ؟ ! - فعثرت على ٣٠٠ جنيه ، سلمتها لى بعد أن فركت أذنى بأصابعها الجميلة وهى تقول : « خلى بالك من فلوسك يانجيب أحسن يجى يوم تحتاج لها » ...

كانت نصيحة ثمينة من « لوسى » ولكننى لم أعمل بها . وكم أتمنى من صميم الفؤاد أن تعود تلك الايام بأموالها المفقدة او المفرقة ... كى أعمل بنصيحة لوسى - والله العظيم - ولا أفرطش فى القرش الابيض علشان ينفع فى اليوم الاسود !! وفى يوم آخر كنا « بنعزل » - اعذرونى اذ لم أجد كلمة

لغوية تفيد معنى النقل من بيت لبيت غير دى - وفيما نحن نرفع بساط غرفة النوم وجدنا تحته ثمانين جنيها !!
أما قفاطين كشكش فلم تكن تخلو يوما من كبشة نقدية « مبعزقة » فى جيوبها هنا وهنا !! فكانت لوسى - الله يمسيتها بالخير - تتولى جمعها فى كل مساء وتسلمها لى مقرونة بالنصيحة أياها !!

لعل واحدا يسأل : « ماعلة هذا النسيان ؟ » وردا عليه أقول أننى كنت دائم التفكير فى عملى ، وفيما يجب أن تكون عليه الرواية الجديدة ، وماهى العيوب الاجتماعية المتفشية فى البلادكى نعالجها فيما نقدمه للجمهور بين ثنايا الحان الرواية وموضوعها ؟ وقد كانت نتيجة هذا التفكير المتوالى السرحان ... المتوالى برضه !!

قلت اننى كنت أدر الفرقة لحسابى الخاص نظير حصة مقدارها ٣٠٪ من الأيراد يتقاضاها المسيو ديمو كنجس صاحب التياترو . وقلت ان التياترو لم يكن مسقوفا ، بل مغطى بالقماش وكانت الارضية ترابا فى تراب ، ومع ذلك لم يكن الكبراء يأنفون ارتياده ، أو ينقطعون عن زيارته ، أحصى المسيو ديمو كنجس نصيبه فى العام الاول فاذا به ثمانية آلاف وخمسائة جنيه مصرى !! وهذا المبلغ هو ثلاثون فى المائة فقط من الأيراد ! فكم يكون نصيبى أنا ... يا صاحب السبعين فى المائة الباقية !! س - وسين تساوى ... حوالى عشرين ألف جنيه تقريبا !! فأخ .. أخ من زمان وفلوس زمان !

الأوبرا كوميك والابريت

حمار وحلاوة

ومن أظرف ما كان يتردد على السنة الناس في عهد «النغفة» أن نجيب الريحاني اشترى عزبة ، وأطلق عليها اسم « حمار وحلاوة » ، فاذا سأل سائل : « وأين مقر هذه العزبة ؟ » أجاب بعضهم انها في الشرقية ، وفي مركز فاقوس كمان ! ! وربما تطور به الخيال فقال : « وفي زمام بلد اسمها منزل نعيم على حدود نجع عودة ، وعمدتها بالامارة اسمه الحاج عبد الوهاب »

وبعد هذا التعيين المدهش ، كدت أنا نفسي اصدق اننى أمتلك عزبة بحق وحقيق ... مين عارف يمكن صحيح ؟ ؟ ولذلك انتهزت فرصة وجود صديق لى من أعيان تلك الناحية ، فسألته فيما بيننا : « هل صحيح ياخوى عندكم عزبة ملكى اسمها حمار وحلاوة ؟ وللأسف نفى لى صديقى هذا « الحلم » اللطيف ، مؤكدا انها مجرد اشاعة عارية من الصحة مختلقة من أساسها ! ولو كان قلم المطبوعات يهتم فى ذلك الحين باصدار بلاغات التكذيب ، لتوسلت اليه أن يفعل ، بعد أن استفحلت تلك التهمة ، ووجدت بين عباد الله خلقا كثيرا يؤمنون بها ! حتى خشيت أن تنمو عائلتى ، ويظهر لى مئات من الاقارب الذين لا أعرفهم ، والذين ربما تكون رابطة القرابة الوحيدة بينى وبينهم هى .. حمار وحلاوة ليس الا !!

علي أن الظريف أن بعضهم كان يقول فى بعض الاحيان ، أن العزبة ليست فى الشرقية ، بل فى المنوفية ، وفى يوم ثالث تكون

في الدقهلية ، وهكذا ظلت « حمار وحلاوة » تتناولها حركة التنقلات - كما تتناول السادة الموظفين - الى أن تبخسرت يا حسرة ... ولم يبق لها وجود في غير أدمغة مخترعيها على اننى كنت أستطيع بلا شك لو عمدت الى الاقتصاد المعقول - وبلاش التقدير - أن أملك عزبا بعدد رواياتى ، وأن يكون فى حوزتى بدل حمار وحلاوة بس - ولو ، واش ، وعلى كيفك ... وأخيرا « ٢٤ » قيراط التى لم يحن وقت الكلام عنها بعد

وقد دار حوار بينى وبين المستر هورنيو (مدير الامن العام اذ ذاك) . وكانت التقارير والمعلومات التى جمعها له مخبروه حملته على أن يأمر بمصادرة الرواية التى كنا نستعد لخراجها واسمها (قولوا له) . ولكن لم تمض على هذه المصادرة أيام حتى قامت الثورة فى مصر قاصيها ودانيها ، واشتركت الطوائف والطبقات جميعا فى مظاهرات وطنية حارة ، فخرجت مع أعضاء فرقتي (ممثلين وممثلات) نشد على انغام أوركستر الفرقة نشيد الكشافة

الريحانى « دسيسة انجليزية » !

قلت أن شعورى هو الذى كان يدفعنى الى العمل بنشاط وهمة . ولم أكن بطبيعة الحال أرغب من وراء ذلك جزاء ولا شكورا . ولكن الخصوم والحساد والناقمين ، جزاهم الله عن المروءة والشهامة كل خير !

فى الساعة الحادية عشرة من مساء أحد الليالى جاءنى الاستاذ مصطفى امين (وقد كان قبل ذلك شريكا للاستاذ على الكسار فى فرقة كازينو دى بارى) جاءنى مصطفى الى منزلى يلهث من التعب ويقول : « انج بنفسك يانجيب فانك الليلة مقتول لا محالة » !

كيف ؟ وبيد من ؟ ومن الذى يفكر فى اعدامى ؟ قال : « هم

مواطنوك المصريون ! هذا فظيع ... فظيع ! »

وراح الزميل مصطفى يقص ماحدث ، قال : « اننى آت من الازهر الشريف حيث عقد اجتماع حافل تبودلت فيه الخطب الحماسية ، وقد وقف شخص من خصومك على المنبر ، وبدون أن يدعوهُ أحد للكلام سَمَم اذهان المستمعين بأكاذيبه مدعياً أنك (دسيسة انجليزية) ، وأن السلطة العسكرية قد أمدتك بالمال لتلهى الشعب برواياتك عن المطالبة بأمانيه العالية ! ولما كانت الجماهير فى أوقات الثورات تنساق بلا روية ، فقد هتف الناس ضدك وصمموا على قتلك ! »

يا للصدمة ! انتقل الواقع من اليمين الى الشمال فى طرفة عين ، وينقلب الحق سريعاً الى بهتان ومين ؟ !

القصد . ثارت زميلتى « لوسى فرناى » ، وخشيت على سوءا فصممت على أن نسرع بهجر المنزل توا قبل أن تحل النكبة

وكانت ليلة لن أنساها !

أخذنا عربة . وكنت فى تلك الساعة أحس أن قلب العزيزة لوسى يكاد يقفز من بين جنبئها ، وكان يخيل الى أننى أسمع دقاته وهو يعلو ويهبط ، اذ وقفت على سلم العربة لتحول بينى وبين أنظار المارة ، وتستحث الحوذى أن يلهب ظهور خيله كى يبتعد بنا عن منزلنا قبل أن تفشانا الغاشية . نعم لم تشأ لوسى أن تجلس بجوارى طول الطريق فظلت على هذه الوقفة حتى وصلنا الى فندق « هليوبوليس هاوس » امام المكان الذى تقع فيه الآن اوكاندة هليوبوليس بالاس بمصر الجديدة ، ولم تكن هذه قد شيدت بعد

وهناك فى احدى غرف « هليوبوليس هاوس » ، نزلت مع لوسى وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحاً بقيت فى هذا الفندق عدة أيام لم تلهنى فيها المخاوف عن

واجبى الوطنى ، فقد كنت آتى الى المسرح فى كل صباح ،
فاجتمع بالممثلين والممثلات وغيرهم ، لترتب أمورنا ولننظر
فى شئوننا . ولم تكن هذه الشئون غير مظاهرات تقوم بها هنا
وهناك (لان جميع المسارح كانت معطلة بأمر السلطة)

وجاء الاستقرار

ومضت على ذلك الحال أيام استقرت فيها أمور العامة ،
وسمحت السلطات لسعد زغلول « رحمه الله » بمغادرة منفاه فى
مالطة الى « فرساي » ، حيث عقد مؤتمر السلام كما كانوا
يدعونه ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن تفتح المسارح ودور
اللهو، وأن تعود الى ماعهده الجمهور فيها من تسليّة، وأن تكون
هذه العودة بشروط فيها شيء من الشدة ، كتحديد مواعيد
السهر ، وكدقة المراقبة التى فرضتها الداخلية عليها ، ونقول
الداخلية ونحن على يقين من أنها كانت « مظلومة » ، لأنها لم تكن
الا « مخلب القط » فى أيدي السلطة الاجنبية !

ما علينا فلندع شأن السياسة ، ولنبق فى محيطنا الذى
نحن بصدده . جاهدنا بعد أن عادت البلاد الى ما يقرب
من الحالة الطبيعية فى أن يسمح لنا بتمثيل روايتنا المصادرة
« قولوا له » ، وقد سرنى أن أصل الى مبتغى بعد أن كدت
أبأس من الوصول اليه

وجاءت الليلة الاولى لظهور الرواية ... فكيف أصفها ؟
واين لى قدرة الكاتب التحرير لاستطيع الدقة فى التعبير ؟
كانت هذه الليلة عيداً شاملاً لكل من احتوته دار التمثيل ،
سواء فى ذلك الممثلون او المتفرجون . أما تأثير الرواية فتصور
قنبلة تنفجر فى مكان آهل ، ثم تصور ما يكون لها من دوى
يهز الجماد ويحرك الصخور !

ظهرت الرواية على أثر المظاهرات التى اشتركت فيها
جميع الطبقات ، وقد راعينا أن ندخل فى صلب الرواية الحانا

وطنية على السنة كل طائفة من الطوائف التى قامت بهذه
المظاهرات ، بحيث لم ندع واحدة منها الا أرضيناها بما كان
يلقيه الممثلون ، حين يتقمصون شخصيات أفراد تلك الطوائف
على المسرح ، واحدة بعد أخرى

وناهيك بأزجال يضعها بديع ويلحنها سيد درويش !
واذا كان للنسيان أن يجر أذياله على الذكريات جميعا ،
فانى على يقين من أنه لن يمحو من مخيلتى ، ذلك المظهر
الفاتن الذى بدا من الجمهور فى اللحظة التى تحرك فيها
الستار مرتفعا عن الفصل الاول فى هذه الرواية فى كل مساء !
هتاف يرتفع الى عنان السماء ، وتصفيق يكاد يصم الآذان ،
أما حين أظهر على المسرح بعد ذلك ، فلك أنت ياسيدى
القارئ أن تقدر ما كنت أقابل به من الجمهور !

دعنى أقرب لك الواقع فأقسم أن الدموع كانت تغالب
الموقف فى عيني ، وكان قلبى يطفر اعترافا بالجميل لأبناء
الوطن ، الذين تهافتوا على أخ لهم يشعر أنه لم يؤد من
الواجب عليه الا قليلا . ومع ذلك فقد ارتفع فى نظرهم قدره
وسما بينهم ذكره ، حتى كدت والله أعذر حسادى فيما
فعلوا من محاربتى ، لان هذه المظاهرة الكاملة - بل وأقل
منها - كان يكفى لكمدهم ولاشعال نار الحقد بين ضلوعهم
وبعد أن انتهت الايام التى قدرناها لرواية (قولو له) ،
كنا قد أعددنا الرواية التالية واخترنا لها أسم (رن) ..
وقد جاءت كسابقتها شعلة من الوطنية متأججة ، ولها من
الحماس تشتعل ناره ويلتهب أهواره ، وقد ظهر فيها مع
(كشكش بك) تابعه وأمينه (زعرب) ، ونجحت بالفعل
رواية (رن) كما نجحت سابقتها

ماذا أديت للفن ؟

على أنه يحلو لى فى هذا الوقت أن اعترف بحقائق لم اكن

اطالع بها اذ ذاك غير المخلصين من المحبين . فأننى كنت كلما خلوت بنفسى وحاسبتها على ما أدبت للفن من خدمات تستحق أن توصلنى الى ذروة الشهرة التى اعتليتها ، والى أفق الصيت الذى لا يحد مداه ، أقول اننى كنت أحاسب نفسى ، فأجد أعمالى كلها من الناحية الفنية - صفرا على الشمال .! وليس لها من قيمة الا ما فعلت فى الافئدة من اشغال جذوة الوطنية بين الجماهير ، وهذا وحده ليس كافيا لان يكون مطية ذلولا تطفر بى فى ميدان الشهرة هذه الطفرات المتواليات ، ولذلك أردت أن أشبع حاستى الفنية ، وأن استبدل بهذا النوع الحالى من الفن نوعا جديدا أَرْضَى به ضميرى وجمهورى فى آن واحد !

ولكننى بعد أن أعملت الفكر كثيرا ، خفت أن يرى الناس نوعا لم يألفوه من قبل . وبذلك يهجروننى فأكون كالغراب حين فتنه مشى العصفور فعمد الى تقليده ، ولما أعيته الحيل فضل العودة الى مشيته الاصيله ولكنه كان قد نسيها ، فظل على الحال التى نراه بها من القفز الثقيل الظل فماذا أفعل للتوفيق بين النظرتين ؟

العشرة الطيبة

نظرت حولى فألفيت الاستاذ عزيز عيد خاليا من العمل بعد أن فشل مشروعه فى كازينو دى بارى ، ذلك المشروع الذى افتتحه برواية « حنجل بوبو » وكان حوله طائفة من الزملاء أعيتهم البطالة : فاستدعيت عزيزا وأشرت عليه بتأليف فرقة تجمع بعض البارزين من الممثلين . ثم صممت على أن أتخذ لها مسرحا مستقلا ، فاستأجرت كازينو دى بارى بالذات ، وكانت قيمة الايجار الفى جنيه فى العام

وكنت قد قرأت رواية فرنسية أعجبنى اسمها « اللحية

الزرقاء » ، فاتفقت مع الكاتب المرحوم محمد تيمور بك على أن يقتبسها ويمصرها . ثم عهدي الى الاستاذ بديع خيرى فى وضع ازجالها ، والى المرحوم الشيخ سيد درويش أن يلحن هذه الازجال . فاثمرت جهود أولئك الفطاحل عن الدرة التى أطلقنا عليها اسم « العشرة الطيبة »

وتألفت الفرقة من الاستاذ عزيز والسيدة روزاليوسف والاساتذة محمود رضا ومنسى فهمى ومختار عثمان واستيفى روستى والمطرب زكى مراد والمطربة برلنتة حلمى والسيدة نظلى مزراحى وغيرهم ، وقد مكثوا يؤدون بروفات هذه الرواية مدة أربعة أشهر كاملة كنت أدفع فيها مرتباتهم

أخرج عزيز الرواية . ويهمنى هنا أن أقول بأننى اعتنيت بها عناية فائقة ، فلم أغل يدى عن الصرف ، ولم أحجم عن بذل كل ما تطلبه اظهارها فى المظهر اللائق من مال قل أو كثر أما المناظر فقد عهدي فى رسمها الى الاستاذين احمد لطفى (الموظف الآن بمصلحة المساحة) ، وعلى حسن الذى تخصص فى ايطاليا لهذا العمل ، ثم قصدت الى خان الخليلى فحصلت على مجموعة شائقة من التحف القديمة والملابس الاثرية ذات القيمة ، وكان من بينها ما ارتداه او استعمله بعض مشاهير القواد والفاحين من العصور السابقة

وفى اليوم المحدد لظهور الرواية ، كان مجموع ما صرف فى سبيل اعدادها الى اللحظة التى يرفع فيها الستار عن أول مشاهدتها مبلغ ثلاثة آلاف جنيه مصرى . وكانت رواية « العشرة الطيبة » هذه أول عهد الاوبرا كوميك والابريت فى مصر ! كان موضوع الرواية يتضمن تبيان شىء من استبداد الشراكسة ، وكانت تركيا قد خرجت اذ ذاك من الحرب العالمية مقبورة ، وكانت الافكار فى مصر تعطف عليها وتحن اليها ، كما كانت حاقدة على الانجليز لوقوفهم فى سبيل

نُبضة مصر أولا ، ولأنهم كانوا اقوى عامل في هزيمة تركيا
ثانيا

دسيمة أخرى

ولذلك استغل خصومي الموقف ، وراحوا يعيدون فريتهم
السابقة من اننى دسيمة انجليزية ، وأن القصد من عرضي
لرواية « العشرة الطيبة » هو تجسيم مساوىء الاتراك في
عين المصريين ، وتقريب الانجليز لقلوبهم . هذا مع أن الرواية
ليس فيها أقل رائحة يشتم منها أى عطف على الانجليز ،
أو أى اساءة للترك . ولكن ماذا أفعل مع من لا يتورعون ؟
(انما لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)
ولم تكن تمر ليلة الا ويقف فى احدى مقاصير كازينو دى
بارى فى أثناء التمثيل ، أو فى فترة الاستراحة ، خطيب
ينادى بالويل والثبور وعظائم الامور ، ويهتف بسقوط
الريحاني (داعية الانجليز وربيب نعمتهم) . كل ذلك وهم
يعرفون تماما أن الريحاني كان هدفا لنقمة الانجليز وسلطتهم
العسكرية فى مصر ، وكثيرا ما كان يقف بين المتفرجين بعض
العقلاء والمتورين ، فيردون على سفاسف أولئك الخطباء
ويسفهون آراءهم

انتصار

ولكننى مع ذلك أعترف بأن دعاة السوء قد استطاعوا
التأثير فى بعض السذج بهذه الدعاية
فلما رأيت هذه النتيجة طلبت الى الصديقين المرحوم محمد
تيمور بك والاستاذ بديع خرى ، أن يقصدا الى أحد البارزين
من أعضاء الوفد المصرى الذين يعتقد الشعب بأرائهم ، ويطلبوا
اليه أن تفضل بمشاهدة تمثيل الرواية ، ثم يحكم بعد ذلك من
الناحية الوطنية لها أو عليها . فكان أن وقع اختيارهما على
المرحوم مرقص حنا ، وكان اذ ذاك وكيلا للجنة الوفد المركزية .
فذهبا اليه ، وفى المساء نفسه حضر رحمه الله فى رفقة السيدة

قرينته والآنسة كريمته السيدة عايدة هانم (قرينة الاستاذ
مكرم عبيد)

وفي اليوم التالى تفضل المرحوم مرقص حنا فنشر فى الصحف
رايه الصريح ، مقررظا الرواية نافيا عنها كل ما يذيعه المفرضون
لحاجة فى نفس يعقوب . فكان هذا التصريح الكبير من رجل
مثله له مكانته فى قلوب الامة ، معولا دك حصون خصومى
ودورهم على أعقابهم خاسرين . ومع ذلك فان فرارهم من
الميدان العام لم يكن ليحول بينهم وبين بث دعايتهم ، كل وما
يقدر عليه . ولعله من الظريف ان أروى فى هذه المناسبة
ما وقع بين واحد منهم وبينى شخصيا !

مقارنة مضحكة

كان ذلك فى سنة ١٩٢٠ ، حين وفد الى مصر الممثل الفرنسى
الكبير (جان كوكلان) . وكانت الصداقة قد ربطت بينى وبينه
موثقا ، فدعانى الى مشاهدة احدى رواياته فى حفلة (ماتينيه)
بتياترو برنتانيا القديم . ولبيت الدعوة ، وكان اعجابى بالرواية
شديدا بحيث كنت من أكثر المتفرجين تصفيقا . وهنا التفت
الى الشخص الجالس فى المقعد المجاور لى ولم يكن بالطبع يعرف
من أنا ، وقال مانصه : « أيوه كده ... أهو دا التمثيل
الصحيح مش الراجل كشكش اللى بيضحك على عقلنا بكلامه
الكارع »

وتمشيت معه فى الحديث ، فوصفت كشكش بأنه دجال لا
اقل ولا أكثر . « وتبحج » الرجل معى بحجة « فضفض »
فيها بكل ما يأكل قلبه من حقد . وأنا انصت اليه بكل انتباه .
ويظهر ان الشك داخل الرجل أخيرا ، فسألنى عن شخصيتى ،
وتطمينا له اجبته بأننى وان اكن « شقيق » نجيب الريحانى ،
الا اننى لا اقر خطته فى المسرح ، ولا اوافق مطلقا على النوع
الذى يعرضه أخى الدجال !

تدهور مادی ومعنوی

والآن نترك السادة الخصوم ، وندع تأثيرهم في اذهان الجمهور ، وننظر الى هذا الاثر في نفسى . فاقول بكل صراحة ان شيئاً من اليأس قد داخلنى ، وزاد منه ان توالى على صدمات مالية قاسية . فقد اشتريت قبل ذلك قدرا هائلا من الفرنكات والليرات والاسهم والماركات ، فهبطت اسعارها جميعا . وكان التدهور المادى شنيعا فأحسست بعده فعلا بهبوط حالتى المعنوية ، حتى لم أكن أتمالك نفسى على خشبة المسرح . . . ودب فى عملى نوع من الاهمال الذى انقلب الى فوضى تفشت فى ثنايا المسرح ، وكادت تقلبه رأسا على عقب وكانت ثلاثة الاثاني أن تغير شعور كل من المرحومين عزيز عيد والشيخ سيد درويش نحوى ، وسمعت من بعض المتصلين بهما أنهما ينويان رفع راية العصيان ، ويتحدثان بأن الايراد الذين يدخل جيبى من فرقة الكازينو - ولست ممثلا فيها - يجب أن يكون من حقهما وحدهما

وحين وصل الى سمعى هذا الخبر ، قصدت اليهما وصارحتهما بأننى رجل لا أحب العمل الا فى وضوح النهار . ثم سردت عليهما ما وقفت عليه من شأنهما ، وأتبعته بأننى على تمام الاستعداد لنفض يدى من المشروع وتركه لهما بخيره وشره ، فعليهما أن يذهبا بالفرقة حيث شاءا ، وأن يكفيانى مئونة النظر فى أمرها . وكان ذلك الاجراء الحاسم فصل الخطاب بينى وبينهما ، وتضافر الاثنان فى اخراج رواية (شهر زاد)

ثلاث شقيقات

فاتنى ان اذكر حادثا له أهميته ، فى مذكرات كهذه ، يقصد بها وجه التاريخ الصحيح ، الذى آليت على نفسى فيه منذ البداية أن اكون صريحا فى سرد الحقائق ، وان آذت مرارتها

شخصى فى بعض الاحايين
فى سنة ١٩٢٠ تقدمت الى ثلاث فتيات منهن طفلة يبلغ
سنها حوالى الاحد عشر او الاثنى عشر عاما ، وطلبن الالتحاق
بالفرقة !

فلم اتأخر عن اجابة هذا الطلب ، واضحت الفتيات (رتيبة
وانصاف وفاطمة رشدى) من افراد فرقتى ، واريد الى
جانب ذلك ان اقول باننى لاحظت فى الصغرى ذكاء وقادا ،
وهواية شديدة للتمثيل ، ورغبة اكيدة فى العمل للتقدم على
خشبة المسرح ، بعكس شقيقتيها اللتين شعرت ان ميلهما
كان متجها الى القاء المقطوعات التلحينية . هذا ما رايت اثباته
قبل العودة الى المدى الذى تركت القارىء عنده

وهناك شىء آخر تدفعنى الصراحة كذلك الى ابدائه ، وهو
انه فى اواخر عام ١٩٢٠ كان الخلاف قد دب بين الصديقة
(لوسى دى فرنائى) وبينى ، فافترقنا الى غير عودة . ويقينى
ان هذا الفراق كان اول النكبات التى صبها القدر فوق راسى
وساقها الى حلقات متتالية يأخذ بعضها برقاب بعض

ذلك لان ما كان يغمرنى من خير جارف ، اضحى بعد ذلك
البحر جفافا من كل ناحية ، بل وشرا مستطيرا ، حتى لقد
اقتنعت تماما ان هذه الفتاة كانت هى مصدر الارزاق ، وانها
انما حملت فى جعبتها بسمات الدهر وحظ العمر

کشتن تقلید

أنا كشكش تقليد !

وقد اشتركت مع الحاج مصطفى حفنى ، وقمت بالفرقة الى سوريا ولبنان فى اولى رحلاتنا الفنية . وقد رميت بهذه الرحلة اولا وقبل كل شىء ، الى الترويح عن نفسى بعدما لحق بى من اسى ، وتجديد نشاطى الذى تضائل ، والتخلص مما حل بى من فتور وسقم

ونزلنا فى بيروت وكلنا آمال بالنجاح الذى ينتظرنا فيها ولكن بكل أسف ضاعت الآمال من الليلة الاولى ، وبلىنا بالكثير من الاخفاق الذى لم نكن نتصوره

أما علة ذلك فهى أن الاستاذ أمين عطا الله (وقد كان ممثلا بفرقتى قبل ذلك بسنوات) ، استطاع اذ ذاك ان ينسخ جميع رواياتى فألف فرقة من مواطنيه فى سوريا ، وعرض بضاعتنا كلها ، ولم ينس ان يقتصب كذلك اسم (كشكش بك)

واحب ان انصفه فأقول أنه لم يأخذ الاسم على علاته ، بل تصرف فيه من حيث الشكل فضم « الكافين » فى بيروت وفتحهما فى دمشق ، فى حين أنهما مكسورتان فى مصر !

هذا هو كل التصرف الذى ادخله أمين عطا الله على عمدة كفر البلاص !

المهم أن الناس هناك اعتبرونى مقلدا لكشكش بك الاصلى ، الذى هو أمين عطا الله ، وزاد الطين بلة ان هذا الكشكش بك كان سوريا ، وقد مكنه ذلك من معرفة عادات مواطنيه ،

والوقوف على ما يرضيهم وما لا يرضيهم ، فكان يؤدي لهم
ما يرغبون كما يرغبون

وهذه الرغبة ان القوم هناك يميلون الى الكوميدي المفتعل،
بمعنى ان الممثل يجب ان « يتمرمغ » في الارض ، او يخط
دماغه في الحيط ، او .. او الخ ، وقد تعمق معهم امين في
هذا النوع ، اما نحن فقد حافظنا على روح رواياتنا ،
وعرضناها مقتطعة من عادات الحياة المصرية ، فانها كانت
بعيدة عن عادات اخواننا السوريين، ولذا اصبحت انا كشكش
« التقليد » في حين اضحى امين عطا الله في نظرهم كشكش
« الاصلى » . وقد كنت اسمع بأذنى بعض الناس هناك
يقولون : « هايدا مانه كشكش ، هايدا تقليد ! » فكنت آخذ
هذا الوصف في « اجنابى » فأقول في سرى ... سبحان مغير
الكشاكش !

المهم لم تنجح الرحلة من الوجهة الفنية ولا من الناحية
المادية ، فقد كانت النتيجة ان الايرادات والمصروفات كانا
متوازيتين ، أى ان الميزانية كانت متوازنة فلم نخسر ولم نكسب
هذا من الناحية العامة . اما من وجهة نظرى الشخصية
فقد كان هناك شيان متناقضان ، يدخل احدهما في باب
الخسارة والثانى في كفة الربح ، فالخسارة كان مبعثها ان
التسلية والترويح اللذين قصدت اليهما من الرحلة آتيا
بنتيجة عكسية وزادا من همومى ، واما من ناحية الربح
فلها قصة !

بديعة مصابنى

في اولى حفلاتنا هناك لفت نظرى فى المقصورة الاولى
سيدة « بتلعلع » وقد ارتدت أفخم ملابس وتحلت بأبهى
زينة

لم اعرفها حقاً ، واكننى تنبعت لوجودها وفى فترة

الاستراحة بين الفصول ، أدهشني أن وجدت هذه السيدة بذاتها تحضر لتحيتي وتهنئتي في حجرتي بالمرح . ويظهر أنها لاحظت ما أنا فيه من ارتباك ، فدفعها ذكؤها الى أن تعرفني بنفسها فقالت : « ألا أنت مش فاكرنى والا إيه ؟ أنا بديعة مصابنى اللى قابلتك في مصر وكتبت وياك كتراتو ولا اشتغلتش ! »

وبعد أداء ما قضى به الواجب من أهلا وسهلا ، وازاى الصحة وسلامات ، عرفت منها أن الدافع لها على هجر مصر ، بعد أن اتفقت على العمل في فرقتي ، هي أنها استرجعت للشام على عجل لأمور قضائية تتصل بعملها الفنى هناك . وقد عرفت اذ ذاك أنها كانت تعمل بنجاح تام كراقصة وأن اسمها ذاع في انحاء سوريا ولبنان

كما أنها كانت قد اشتركت في فرقة أمين عطا الله ، وحفظت الكثير من مقطوعاتنا الغنائية التى ورثها عنا أمين . . . ونحن على قيد الحياة . ثم سألتنى السيدة بديعة : «هل اذا التحقت بفرقتك يكون لى نصيب من النجاح فى التمثيل ؟ »

فأجبته : « انك لا تنجحين على المسرح فقط ، بل اننى اتنبأ لك بمستقبل تصلين فيه الى مراتب النجوم من اقرب طريق وفى أسرع وقت »

وفى تلك الليلة جددنا عقد الاتفاق على العمل ، وانضمت بديعة الى الفرقة ، وظهرت معنا لأول مرة بمرتب شهرى قدره اربعون جنيها مصريا

وكان اول اشتراك فعلى لها معنا فى بيروت حيث ظهرت فى ادوار غنائية ، فنالت ما كنت اوقن به من نجاح

قضية

مكثنا فى رحلتنا بسوريا ولبنان ثلاثة اشهر كاملة ، فلما عدت الى مصر ، راعنى أن اجد فى انتظارى قضية مدنية

رفعها ضدى المرحوم (ديموكنجس) صاحب تياترو
الاجبسيانة الذى كنت أعمل فيه . وأليك موضوعها :

كان فى ذمة « ديمو » لى مبلغ ستمائة جنيه كتأمين ، فلما
اتفقت على القيام بالرحلة تراضينا على أن أدفع له مبلغ
خمسة جنيهات عن كل يوم من أيام تغيبنا فى هذه الرحلة .
الا أنه انتهر فرصة غيابى فرفع هذه الدعوى مطالبا إياى
بتعويض مالى لما سببته له من خسائر « بامتناعى » عن العمل
فى مسرحه ! . واخذ بالك !! نهايته استمرت هذه المنازعات
حوالى شهرين ، وانتهت والحمد لله فى مصلحتى !

وفى أوائل سنة ١٩٢٢ تقدمت الى شركة سجائر ماتوسيان
تعرض مشروعا للاتفاق معها على أن تعمل فرقتى ثلاثة أشهر
فى الاسكندرية لحسابها . وكانت طريقة الشركة أن تضع
فى علب سجائرها كوبونات يستطيع الزبون أن يقدمها لعامل
شباك التياترو فيحصل بواسطتها على تنزيل

وافقت على مشروع شركة ماتوسيان بالطبع ، وبدانا عملنا
فى تياترو كونكورديا بالميناء الشرقى بالاسكندرية ، من أول
شهر مارس وانتهى فى مايو . وكانت هذه المدة فرصة استطاعت
السيدة بديعة فى أثنائها أن تحفظ أدوارا فى رواياتى القديمة
التى لم تكن يد السيد أمين عطا الله قد وصلت إليها ، كما
أن لهجتها السورية بدأت تنقلب فى هذه الأشهر الثلاثة ،
وعدت الى مصر ، فشعرت بشيء غير قليل من الضيق ،
واحتمل قلبى نوع من اليأس زاد فى ضرامه موت والدتى

وكان قسوة القدر لم تكتف بهذه الكارثة ، ففجعتنى
بأروع منها ! ذلك أن أصغر اخوتى وأقربهم الى وأعزهم على
نفسى . . . بل قل أنه كان التعزية الوحيدة لى ، والامل
الباسم فى حياتى ، هذا الشقيق المحبوب ، اختفى فى ذلك
العام المنحوس - وما زال الى هذه اللحظة التى اسطر فيها

مذكراتي ، داعم العين ، مفتت الكبد جريح الفؤاد ، أقول
ما زال شقيقي هذا مجهول المصير مني ومن محبيه وأصدقائه -
ولم تكن منزلته لديهم لتقل كثيرا عنها لدى فاللهم صبرا جميلا
وبعد أن انتهت مدة الثلاثة اشهر التي اتفقنا فيها مع
شركة سجائر « ماتوسيان » للعمل بتياترو « كونكورديا »
بالاسكندرية ، تقدم الى متعهد يعرض على أن تقوم الفرقة
الى سوريا مرة أخرى في رحلة فنية ، ويسوءني ان أقول انها
لم تكن أحسن حظا من سابقتها ، خصوصا وقد لقيت في
أثنائها من تعنت الممثلين الشيء الكثير

يوسف وهبي وعزيز عيد

علا الى اذ ذاك فتورى القديم ، وكدت أياس من مواصلة
العمل ، لولا خبر نمت الى وانا في ربوع لبنان

أما الخبر فهو أن الاستاذين يوسف وهبي وعزيز عيد
قد عادا من إيطاليا ، وقررا تأليف فرقة يهيئان لها مسرحا
في شارع عماد الدين

ولقد كان مجرد علمي بذلك باعثا لي على اشغال جذوة
النشاط في نفسي ، فعقدت العزم على العودة الى مصر ومواصلة
العمل فيها ، مهما كانت الاحوال ومهما حكمت الظروف

كان ذلك في يناير عام ١٩٢٣ ، وهنا يجدر بي أن أنوه
باكتشاف وفقت اليه ! ذلك أن صديقي بديع خيري كان الى
هذا التاريخ زجالا فحسب ، ولم يكن قد اشتغل بالتأليف
بعد . فلما وجد مني اهتماما بالبحث عن رواية اقابل بها
المنافسين المستجدين ، تقدم الى في حياته المعروف وهو يقول
بأنه انتهز بعض فرص الخلو من العمل واشترك مع شقيقي
الاصغر في وضع رواية « على قد الحال »

اتهمت بالكسل

صداقة فنية

وقد عرفت منه فيما بعد ما أقصه عليك أيها القارئ فيما يلي :

كان أخى الصغير صديقا حميما لبديع . وكان كل منهما يخلص الود لصاحبه ، وقد تآلفت روحاهما ، واتحدت أفكارهما ، فكان الواحد منهما يجد فى زميله الاخ الشقيق لا مجرد صديق وقد ظن الاثنان أن فى مقدورهما أن يخلقا من نفسيهما مؤلفين ، ولكن واحدا منهما لم يطلعنى على هذا السر الدفين ومن ثم راحا يعملان فيما بينهما ، فوفقا الى رواية فرنسية اسمها « الفانوس السحري » أو علاء الدين « وهى احدى قصص « ألف ليلة »

فلما انتهيا منها ، رغبا أن يبرهنا على قدرتهما بطريق غير مباشر ، ولذلك لم يعرضا روايتهما على بل راحا « يسرحان » بها على الفرق الاخرى لعل واحدة منها تضع فى عينها « حصوة ملح » ، وتشترى الرواية . وفى ذلك البرهان القاطع الذى يقدمانه لى ، ويحملانى به على الاقرار لهما بأنهما مؤلفان لا يشق لهما غبار !

على أن الفرق التى قصدا اليها السيدان المؤلفان لم تر فى الرواية رأيهما ، فلم تقبل احداها الشراء !! كما أن بديعا وأخى لم يجرءا على مفاتحتى فى الامر ، ومن ثم أودعا الرواية فى المهملات بمنزل الاستاذ بديع ، وأبقياها كهدية منهما الى جياغ

الفيضان ، اذ لم تحن الفرصة لبعثها !

ومضت السنوات على ذلك الى ان عادت الفرقة من سوريا - وكنت كما قدمت - فى أشد الحاجة الى رواية أقابل بها منافسى . فتقدم الى الاستاذ بديع « باقتراحه المتواضع » الذى سبق بيانه !

اطلعت على الرواية فوجدتها من « حسبة ٢٥ ٣٠ منظر » ومع أنها كانت كلعب الاطفال أو عبث المبتدئين ، الا أنني احسست فيها ثمرة يمكن اجتناؤها وأساسا يصح البناء عليه ، واذ ذاك اشتركت مع بديع فى « توضيحيها » ، وصحبها فى القلب المرضى الذى يضمن لها النجاح المنشود ، وكان أن أطلقنا عليها اسم « الليالى الملاح » . وكان هذا أول عهد بديع بالتأليف الروائى ، ومن ذلك اليوم سار ملازمى فى كل مانضع للمسرح من روايات

بديعة تبكى

حدثتك يا سيدى القارىء عن « بديع » والآن فلتسمح لى أن أحدثك كذلك عن « بديعة »

قلت اننى اتفقت واياها على أن تعمل بفرقتى ، وأمضينا اتفاقا « فى أثناء وجودنا بسوريا » ، ينص على أن تتقاضى أربعين جنيها شهريا ، فلما عدنا الى مصر، بدأنا اجراء بروفات « الليالى الملاح » . وكم قاسى الممثلون فى تلك البروفات ، وكم بذلوا من جهود جبارة لم تكن السيدة بديعة قد اعتادتها فى عملها مع غيرنا . وانى لاذكر انها كانت فى كثير من الاحوال تبكى وتنتحب و « تقطع » شعرها من الجذور بعد أن ينهكها التعب ، وتتوتر اعصابها من العمل المتوالى فى البروفات

ولم يكن ذلك ليقول من قسوتى أو يشبط من عزيمتى ، فقد آليت على نفسى أن اجعل منها عروسا للمسرح ، وكوكبا يلمع فى أفق الفن . ولم أقصر فى اطلاعها على هذه الرغبة فى

بعض الاحايين ، فكان ذلك يدفعها الى تحمل الالم ، حتى اذا ما بلغ غايته ، تملكها الغضب. وغادرت المسرح باكية صاخبة ولسان حالى يقول : « برضه ولو ! »

فنانة بالفطرة

كانت بديعة فنانة بفطرتها ، وكانت تهوى المسرح بطبيعتها، وكنت أحس ذلك منها ، وأرى فى قوامها وفى جمالها ما يساعد على تكوين عقيدتى التى أبديتها ، وهى اننى لا بد وأن أجعل منها الممثلة التى ابتغيها ، ولذلك لم أكن أولى غضبها و « عصبيتها » أية عناية . بل بالعكس ، كانت كلما ازدادت غضبا ازددت قسوة ونضالا فى سبيل مصلحتها من ناحية ومصلحة عملى من الناحية الأخرى

وأخيرا آن أوان اقتطاف الثمرة ، وجاء الوقت الذى شئت فيه العناية أن تنيلنا أجر ما بذلنا من جهود . فظهرت « الليالى الملاح » آية فنية رائعة ، وبدت فيها « بديعة مصابنى » كوكبا هل على الجمهور فى صورة ملكت لبه ، واحتلت مكان اعجابه . وزاد الاقبال وتحسنت الاحوال ، وبدأ الناس يتحدثون فى كل مكان عن ممثلتنا الجديدة فيقرظها عارفوها ، ويرفعها غيرهم الى أسمى مكان من اعجابهم ! وهنا فقط عرفت بديعة سر التدقيق فى « البروفات » ، ورأت بعينيها أن نجاحها لم يكن الا وليد تلك الجهود التى أبكتها فيما مضى فأغضبته المرة تلو المرة

أرانى ملزما بتحليل نقطة فى منتهى الأهمية ، ولو من وجهة نظرى أنا ، كانت بديعة هاوية خالصة الهواية وكانت - وما تزال على ما أعتقد - شعلة من النشاط ، فجاء نجاحها المجيد بعد ذلك حافزا قويا حملها على مطالبتى بموالاته العمل لاجراج رواية جديدة . وكأنها ظنت أن تأليف الرواية لا يكلفنا شيئا من العناء . وما هى الا أيام معدودة اجتمع فيها بزميلى بديع وتبادل الراى ثم تنتهى الرواية وتكون معدة للمسرح !

حاولت أن أفهمها خطأ ما ذهبت اليه ، وأبين لها أن المسألة أبعد مما يتراءى لها ، ولكن ! كيف أصل الى موضع الاقتناع منها ؟

هل أنا كسول ؟

ومضى الشهر الاول والنجاح حليف «الليالى الملاح» ، ولم نكن قد أنهينا من الرواية التالية غير الفصل الاول . وبعد أيام تبعه الثانى ، وكانت بديعة أشبه بالسوط يلهب ظهورنا ، ويستحثنا على الاسراع وبذل الهممة « للفراغ من دى المهمة » ! فلما أبطأنا بعض الشيء لم تجد الا أن ترمينى بالكسل

وقد كانت سامحها الله ، أول من خلع على لقب البطولة فى هذه الرذيلة . وقد وجدت دعايتها من أذهان الناس مرتعا ، فأصبحت فى نظرهم جميعا شخصا كسولا ، ولزمنى هذا الوصف « بهتانا » الى اليوم ، كذكرى من ذكريات السيدة بديعة مصابنى . وأقول بهتانا لاننى لا أرى مسوغا له ، ولا أرضى أن أوصف به !

وأعددنا بقية الرواية الثانية « الشاطر حسن » وكان من أثر استعجال بديعة ، أن أخرجنا الرواية قبل تهيئة الفصل الاخير منها ، فظهر فى اليوم الاول مفككا لا ضابط له ، الا أننا استطعنا بحمد الله أن نصلح ما أفسدت السرعة منه . فاحتلت الرواية مكانها من اعجاب الجمهور ، وكانت كسابقتها من حيث النجاح والاقبال

ويهمنى أن أعترف هنا ، بأن بديعة كانت تنتقل فى كل يوم من نجاح الى نجاح ، حتى جاءت الرواية الثالثة « أيام العز » ، وفيها ارتكز مجد بديعة على أساس ثابت ، وأضحت العروس التى تنبأت بها ، والمعدن الذى كشف الصقل جوهره ، فبدا للعيان لامعا كشمس الضحى . كان هذا حال بديعة بعد

الرواية الثالثة ، فاذا كانت قد رمتنا بالكسل قبل أن تصل الى هذه الدرجة من السمو ، فماذا بربك تكون حالتنا في نظرها وهي تريد أن تظهر كل يوم في رواية جديدة ؟

بديع مؤلف وزجال

وقد قلت فيما قبل أن الزميل بديع خيرى كان الى ما قبل ظهور رواية « الليالى الملاح » زجالا فحسب . الا أننى حين اطلعت على أثره فى تلك الرواية عرفت انه مؤلف بغريزته ، وأن أثوابه تخفى تحتها عبقرى لا ينقصه الا أن يرفع عنه ستار الحجل الذى يكسوه ، والا أن يحل من قيد التردد الذى يعرفه . هذا ما تأكدت منه بعد درس روايته الاولى التى اشترك معه فيها أخى الصغير

وتوالت الروايات التى اشترك معى فى تأليفها بديع ، وفى خلال تلك المدة كسبت فى شخصه أكبر معين لى فى عملى ، اذ اتحدث أذواقنا ، واثتلفت أرواحنا ، وأصبح كل منا للآخر اخا روحيا أو تكملة لا بد منها للثانى

لقد قلت فى مناسبات كثيرة أن بديعا الزجال كان آية من آيات النبوغ فى فنه ، وهأنذا أؤكد أن تلك المكانة من الزجل لمست فيه أضعافها فى التأليف ، ورسم الحقائق والاخلاق المصرية الصميمة ، والقدرة على الباسها الثوب الحقيقى الحلاب فى أسلوب يلذ للمرء أن يتابعه بشغف وانتباه

أضحى بديع خيرى اذن زجالا ومؤلفا فى وقت واحد . وقد ساعدنى ذلك على التفكير فى اخراج الكوميدى المصرى الصميم هذا ما أرى من واجبى أن أثبته للحقيقة والتاريخ قبل أن أواصل السير فى سرد الوقائع التى بدأت بها

اشترك معى بديع فى « الليالى الملاح » و « الشاطر حسن » و « أيام العز » . . . وقد كان نجاحها بليغا ، كما كان أثر بديع وبديعة فيها واضحا جليا

ريا وسكينة

وهنا ... معذرة يا قرائى الأعزاء اذا عدت بكم ثلاث سنوات الى الوراء ، لاسجل حادثا له أهميته الاجتماعية والفنية فى سنة ١٩٢١ روعت مصر من أقصاها الى أقصاها أثر اكتشاف حوادث جنائية فى الاسكندرية لم يكن للبلاد بها عهد من قبل ، وتلك الحوادث هى استدراج بعض النسوة الى مكان معين ، وسلب حليهن ثم قتلهن أشنع قتلة ، والتمثيل بجثثهن ثم دفنهن تحت الجدران . وكان أبطال هذه العصابة امرأتين « ريا » و « سكينة » وزوج احدهما واسمه « حسب الله »

كان اكتشاف هذه الجنايات حديث الناس جميعا . ولما كنت أشعر بأننى خلقت للدرام لا للكوميديا ، فقد عولت على اقتباس موضوع من هذه الحوادث الدامية واخرجه على المسرح وهذه النزعة - نزعة الدرام - يظهر أنها تسكن أدمغة رجال الكوميدي جميعا ، فكل منهم يعتقد - ان حقا وان باطلا - بأنه مبرز فى هذا النوع ، وانه اذا اتجه اليه فاق نفسه فى الكوميدي بمراحل

ولعل القراء يعرفون كيف عقد شارلى شابلن عزمه على اخراج دورى نابليون وهملت ، وكيف صرح مرارا بأنه سيكون المجلى فيهما . نهايته ... أعددت رواية « ريا وسكينة » وأخرجتها فى مسرح برنتانيا ، ففاق نجاحها كل حد ، بحيث كنت أسمع بأذننى النحيب والبكاء صادريين من الناس طرا . وكم سمعت البعض ينادون بالصوت العالى : « بزياده بقى ... قتلونا يا ناس .. »

كان الممثل حسين ابراهيم يقوم بدور « ريا » ، وكانت بديعة تظهر فى دور احدى الضحايا التى تفتك بهن العصابة . كما اضطلعت أنا بدور سفاك اسمه مرزوق . وما دمت قد أشرت الى ما كان لهذه « الدرام » من تأثير عميق فى الجمهور ،

فلا مانع من ذكر هذه الواقعة

دشرها ولاك ١٠٠!

حدث عندما كنا نمثل هذه الرواية فى يافا ، ان كان أحد المشاهد حاميا بينى وبين بديعة ، وكان الحوار بالغا أشده ، حين تقدمت من الفريسة وأطبقت أصابع اليدين حول عنقها وهى تتلوى - كالطير يرقص مذبوحا من الألم - وأرجو السماح يا حضرات القراء فى الاستشهاد بهذا المثل ٠٠٠ واستحملوا فلسفتى ... ربنا ما يوريكم مكروه

أقول بينما المناقشة حادة ، وأنا أقوم بمهمة الخنق خير قيام ، اذ بى أسمع صوتا يدوى من أقصى الصالة صائحا : « دشرها ولاك ... العمى بعينتينك .. ! »

وأتابع حضرته هذا القول بطلقة من غدارته ، كادت تردىنى على خشبة المسرح ... لولا أننى أخذتها من قصيره ، وبرطعت الى الخارج تاركا الفريسة تعرف شغلها مع صاحب هذا الاحتجاج العملى الغريب فى نوعه ! أما وقد انتهينا من ذكر ما نسينا فلنقفز بعد ذلك ولنواصل ما انقطع

معلش يا زهر

عرفتم اننى صادفت فى أثناء عملى فى شركة السكر بنجع حمادى عرافة فرنسية تنبأت لى بسنوات أعوم فى أثنائها فى الفلوس عوم ، وان هذه السنوات ستتبعها أخرى عجاف ، وهكذا دواليك

انقضت سنوات القحط والنحس والبلا الازرق . فاستمع يا سيدى وارث معى للحال التى كنت فيها

لعلك تذكر المسيو ديموكنجس ... صاحب تياترو برنتانيا ، وكيف فتحت أبواب النعيم باتفاقي واياه على العمل فى مسرحه ، ذلك العمل الذى در عليه ربعا لم يكن يتصوره ، وملا خزائنه بمال لم يكن يمتد اليه أمله حتى فى أحلامه .

وانه وان كان لى أن أتحدث بنعمة ربى ، فانى أقول اننى نقلت هذا الرجل الى سماء الثروة الجارفة ، اذ كان ايراده السنوى من المسرح ثمانية آلاف جنيه أو يزيد . فهل عرف لى هذا الجميل ؟ وهل قدر لى ذلك الصنيع ؟

الجواب على ذلك : انه اتفق مع الحاج مصطفى حنسى «مدير مسرح برنتانيا » على أن يشتركا فى اتمام بناء التياترو (لانه كان الى هذه اللحظة ، على الله ، سقف خيش وجدران مترين طوب وأرضية من الرمل و . الخ)

ولكن للأسف كان الشرط الاساسى أن يخرجانى منه ، وأن يجلبا فرقا أجنبية من الخارج للعمل به ، الواحدة تلوالاخرى . ألحقت فى الرجاء لعل ألين قلب هذين الشريكين ، وبعد ممت وفلقة قلب ، تفضلا وتنازلا وقبلا أن يسمحا لى بالتمثيل فى فترات متقطعة ، بين سفر فرقة أجنبية ووصول أخرى ، وفى أيام الصيف القائظة التى يرفض الاجانب أن يعملوا فى اثنائها ! برضه معلهش يا زهر اذ لم يكن أمامى الا قبول ما يملى على من قاسى الشروط

دقات أخرى

أدى دقة ! أما الاخرى . فقد كان لى فى احد البنوك الأجنبية سندات تقدر بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه كنت أقترض عليها اذا ما أعوزنى المال . الا أننى فوجئت بحجز تحفظى على هذه السندات ، لأن رجلا أتى من عرض الطريق ادعى أننى مدين له بمبلغ مائة جنيه ! ولذلك رفض البنك أن يجيب مطالبى ، وتوقف عن اقراضى أى مبلغ ، بالرغم من توسلاتى اليه أن يحتفظ بمبلغ الدين ، بل بأضعاف أضعافه ، اذ أين المائة من الثلاثة الآلاف

عام بأكمله قضيته دون أن أجد قرشا واحدا ، فى حين أننى أملك فى البنك آلاف الجنيهات !

أما ثالثة الاثافى ، ولا مانع من الاعتراف بأننى أستعمل هذا الاصطلاح غصباً عن عين زميلى بديع خيرى، ورغم معارضته، لانه يدعى أن مافيش حاجة فى الدنيا اسمها « ثالثة الاثافى »، وانه لا يفهم لها معنى ، ومع اننى أوافق على أننى أنا أيضاً لا أفهم لها معنى الا أننى برضه أستعملها لانى سمعتها من أحد الفضلاء المجلين أعضاء بسلامته المجمع اللغوى !

أقول أن ثالثة الاثافى « واللى يزعل يشرب من الزير » ، اننى صدمت صدمة نفسانية قاصمة ، لا تقاس بجانبها الصدمات المادية مهما اشتدت . صدمة جاءت فى الصميم ، فضعضعت حواسى ، وأسلمتنى الى اضطرابات عصبية قاسية كنت فى أثنائها فى حاجة الى من يواسينى . . . ولكن أين لى أن أجده ؟

لست أريد التوسع فى شرح تلك الصدمة مكتفياً بهذه الإشارة الموجزة حتى لا أسىء الى أحد

هجر شخصية كشكش

قلت اننى قبلت شروط الشريكين ديموكنجس والحاج مصطفى حفى ، ورضيت أن أعمل فى « برنتانيا » فى فترات متقطعة ، فأعددت رواية « البرنسييس » مع زميلى بديع ، وقد كانت أول محاولة حقيقية لنوع الكوميدي فى مصر ، وان كانت أشربت ببعض نواحي « الاوبريت »

وفى هذه الرواية - وللمرة الاولى - خرجت عن شخصية كشكش ، وظهرت فى دور آلتى بأئس يعزف على القانون اسمه « المعلم حسنين » ، كما ظهرت بديعة فى دور « عيوشه » ونجحت الرواية كما كان مقدراً لها ، وتوطد مركز بطلتها بديعة فى عالم التمثيل . ولولا أن الرواية كانت تعرض فى فترات متقطعة لوصلت نجاحها يومياً ، ولأنت أكلها كما كنا نبغى . ولكن آه ! ثم آه ! . . . من الحاج حفى . ومن أجواقه

التي كانت كأجواق « أبو حجاب » ، الذي يقولون انه لا ودى ولا جاب !!

وبعد رواية « البرنسييس » اخرجنا رواية « الفلوس » ، ثم رواية « لو كنت ملك » ثم « مجلس الانس »

وفي هذه الايام ، كنا كالايتام في مأدبة اللثام ، اذ لم يكن لنا - كما شرحت - مسرح ثابت نعمل فيه ، كما أن الدرام قد طغى على مصر فاشتهر فيها اسم « مسرح رمسيس » ، وعمل عميده يوسف وهبى ومخرجه عزيز عيد ، على ترجمة أحسن منتجات الغرب الادبية ، وعرضها على الجمهور فى ثوب قشيب ومظهر خلاب ، لفت الى هذا النوع انظار الناس قاطبة ، فتهافتوا على مشاهدته ، وولوا وجوههم شطره ، وتركنا نتابع سيرنا الاعرج تحت رحمة الحاج مصطفى حفى ، وفى ظل رضائه عنا حيناً وغضبه علينا أحياناً ، فكانت محاولتنا الكوميديّة تنجح فى محيطها المحدود ، ولكن لم يكن لها مثل ذلك الدوى الذى كان يتمتع به الدرام اذ ذاك

تأويل مدهش

أى والله مدهش ! ذلك التفسير لنصوص العقد ، الذى أجبرتني الحالة على توقيعه مع الحاج مصطفى حفى مدير تياترو برنتانيا . كان بين الشروط التى أملاها « الحاج » أن تحيي الفرقة أربع حفلات نهائية (ماتنيه) فى كل أسبوع ، وإذا « امتنعت عن احياء احدى هذه الحفلات كان عليها أن تدفع غرامة مقدارها ثمانية جنيهات

هذا هو الشرط . وقد كان يحدث فى شهور القيظ أن يفتح شباك التذاكر لحفلات الماتنيه ، ولكن العامل « لا يسطبح » بابن حلال يوحد الله . لان الناس كانوا يفضلون سهر الليالى على حجز أنفسهم عصر كل يوم فى ذلك العرق المحرق . فاذا جاء أوان رفع الستار وجدنا التياترو خاويا على عروشيه ،

ومقاعده أفرغ من فؤاد أم موسى . ولذلك كنا نتفق مع الحاج مصطفى على إلغاء الحفلة

وفى أواخر يولييه من عام ١٩٢٤ انتهت مدة التعاقد وفيما أنا مستعد لنقل الحال والمحتال - أى ما أملك فى المسرح من ملابس ومناظر وأدوات وستائر - وقف الحاج مصطفى يحول بينى وبين نقل أى «قشايه» . . ايه يا سيدنا؟ - لانك مدين لى بمبلغ سبعمائة وعشرين جنيها ؟

- يا خبر زى بعضه . . وبتوع ايه دول يا حاج ؟
- بقى يعنى مش عارف حضرتك ؟ بتوع الماتينات اللى بسلامتك رفضت تشتغلها !

- لكن دا مش بسلامتى بس اللى رفض ، دا بسلامتك انت كمان لان مافيش حد جه ، ولانك كنت حاتخسر ثمن النور وأجرة العمال !

- لا . مافيش كلام من ده !!

وطبعا انتهت المناقشة وانفض المشكل على أن (مافيش كلام من ده) . وضاعت ملابسى ومناظرى وستائرى الغالية فى شربة ماء . والظريف أن الحاج مصطفى بعد الرجاء الحار ، والوسائط الكثيرة ، قبل أن يكتفى بهذه الاشياء . . . ويتنازل - وخذ بالك من يتنازل - عن بقية ما فى ذمتى من أموال نظير الامتناع عن « احياء » الحفلات الميتة اياها !!

بعد هذه الفصول السخنة ، وبلاش الكلمة الثانية ، يؤست من هذه الحياة ، التى أنكر الناس فيها الوفاء وباعوا الاصدقاء ، فاعتزمت أن أرحل بعيدا عن أناس اشتريتهم ، فباعونى ، وأخلصت لهم فأنكرونى . ثم فكرت أن أجد فى الزواج تعزية أو شبه تعزية ، فكان قرانى ببديعة مصابنى ، وامتلأ رأسى بفكرة النزوح عن الوطن ، والبحث ولو عن فائدة واحدة من الفوائد الخمس ، التى يقولون أنها مقرونة بالسفر

كشكش الاصلى

وفى أحد الايام نصحت لى بديعة أن نتسلى بشم الهواء فى مصيف روض الفرج فرافقتها ، وما كدنا نصل حتى طرق أذننى صراخ شخص يوزع رقاع اعلان وهو يقول بصوته المنكر : « الحق هنا يا جدد ، تعالى شوف كشكش الاصلى يا جدد ، هنا ملك الكوموكودو - أى والله هكذا قال - الحق قبل ما يلعب »

وترأى لبديعة أن تقف هنيهة لتناقش ذلك « الاعلانجى » فى صيغة ندائه ، ولم يكن بالطبع يعرف شخصيتها ، فجرى بينهما الحوار التالى :

بديعة : لكن يا أخينا (كشكش الاصلى) فى عماد الدين مش هنا

الاعلانجى : لا ياستى هانم . دكهه تقليد ، لكن الاصلى هنا بديعة : طيب وازاى الاصلى يهزأ نفسه فى روض الفرج ، ويسيب التقليد يتمتع فى عماد الدين ؟

الاعلانجى : وايه يعنى عماد الدين ياست . فيه فى الدنيا أحسن من روض الفرج ؟ دا روض العشاق ياهانم .. !

ورأيت أن الخناقة قد تطول وتتشعب البحوث فتجر الى توتر العلائق بين كشكش الاصلى وبين حرم كشكش التقليد ، الى هو أنا ، فجذبت بديعة ودخلنا لنشاهد (الكوموكودو) كشكش اللى مش تقليد !!

ورفع الستار وظهر « المبروك » ، فرقص ومثل وغنى وأنشد ، فكدت أطيء .. لا من السرور ، ولكن لان كشكش ذلك الاسم الذى كنت أعتر به أضحى على هذه الحال من الهوان ، يتلاعب به مثل هذا الانسان « ويمرغ » به الارض . ولست أخفى على القارىء أننى لولا وجود بديعة الى جانبى فى تلك اللحظة ، يعلم الله أننى ربما القيت نفسى فى النيل منتحرا ، وبلاش الغلب الازلى ده !!

نهايته . كانت هذه السهرة (الروض فرجية) سببا في القضاء على ترددي في السفر ، فلم ينقض الليل ، حتى كنت في صباح اليوم التالي قاصدا الى قلم الجوازات ، لاستخراج جواز السفر لي ولبدیعة

غريبالدي

وبعد الانتهاء من الاجراءات اللازمة قابلني الممثل (فريد صبرى)

فلما عرف أنني قاصد الى أمريكا الجنوبية ، أظهر الرغبة في مرافقتي ، فأفهمته أنني لا أضمن أن أعمل هناك ، وقد يقتصر الامر على تبديل الهواء وانتجاع الصحة . فأجابني بأن الامر من وجهة نظره على حد سواء . لانه - وهكذا قال - مقطوع من شجرة ، ولا يهمله ما يأتى به السفر ، وبناء عليه لم أمانع في أن يصحبني كما يصحبني الممثل محمود التونى

وقصدت الى احدى شركات الملاحة ، وهناك فهمت أن باخرة اسمها « غريبالدي » تقوم من جنوا قاصدة الى البرازيل

فاسترحمت الى قطع التذاكر بها ، وقلت لابد وأن ايطاليا اذا اطلقت اسم زعيمها العظيم « غريبالدي » على احدى بواخرها ، فان هذه الباخرة لا بد أن تكون عروس زميلاتنا الاخريات

وغادرت مصر الى جنوا ، وفي معيتي بدیعة مصابنى وفريد صبرى ومحمود التونى وجوجو ابنة بدیعة . . . شايف المعية يا عم !! وظللت أمنى نفسى بعظمة « غريبالدي » وأبهتها وفخامتها ، حتى اذا وصلنا الى جنوا تبخرت هذه الاحلام . لان تلك « الغريبالدي » شبهت لى بقارب من قوارب الصيد ، او بسفينة من ذلك النوع القديم الذى علق أثره بأذهاننا من عهد الدراسة ، والتى كان الفينيقيون ينقلون عليها بين ثغور البحر الابيض . وهنا قلت كيف يتسنى لهذه « القرية » أن تخطو خطوة واحدة فى المحيط الاطلنطى ؟ نهايته

أنا سندباد بحرى

سارت غريبالدى « تهكع » بنا ، موجة تشيلها ، وموجة تحطها ، الى أن اجتزنا مضيق جبل طارق ، ودخلنا مياه المحيط وهنا كان الغلب الازلى !! بل هنا كان التحقيق العملى للمثل المعروف وهو : « كالريشة فى مهب الريح » أى والله ريشة !! ولكى تفهم قيمتها فى المحيط أقول أنها قضت بنا فيه أو قضينا بها فى المحيط خمسة وعشرين يوما فى حين ان غيرها من بواخر خلق الله يقطع هذه المسافة فى أسبوع

كان هذا حال « غريبالدى » أما ركابها فربنا مايورى عدو ولا حبيب . ملك دوار البحر بديعة فلم تعرف رأسها من رجليها . وطرح التونى وفريد صبرى أرضا ، لكن أرض ايه ؟ هى فىن الأرض ؟ قول طرحها خشبا !! وهذه كانت حالة الركاب جميعا ، ولم تكن مقصورة على زملائى ، ولم يكن بين الجمع الا فرد واحد لم يستطع البحر ولا دواره ، بل ولم تستطع « غريبالدى » « بخيابة » قدرها أن تؤثر فيه أى تأثير . فكان يغدو ويروح واضعا يديه فى جيوبه ، ضاحكا من هذا ومن ذاك ممن كانوا يتلقحون فى الممرات . هذا الفرد الواحد هو أنا ولكن ماذنبى وقد خلقت منى الاقدار « سندبادا بحريا » فى آخر الزمن ؟ ولقد كنت أنتهز بعض فرص هدوء البحر فأجمع زملائى ، و « أسليهم » بعمل بروفه . . . على رواية « هملت » ، وغيرها من « الدرامات » ، لان الموقف لم يكن يتحمل عمل بروفات كوميدى !!

وبعد هذه النكبات المدلهمات ، شاهدنا أرضا عن بعد فقلت : « الله يرحمك يا خريستوف كواومب ويحسن اليك . ولو أنك كنت السبب فى المزار الذى شربناه من حفيدتك المحترمة « غريبالدى » اذ لولا انها طلعت فى مخ حضرتكم فاكشفتم أمريكا ، ما فكرت فى النزوح اليها !! »

في أمريكا الجنوبية

في عواصم أمريكا الجنوبية

كشكش مغنواتي ١٠٠!

عملت الباخرة بأصلها ، وأوصلتنا الى بلاد القارة الجديدة ، بعد أن قطعنا الامل من هذا الوصول ، معتقدين أن الله سبحانه وتعالى قد اختارنا طعاما طيبا لاسماك المحيط الجائعة .. !

مررنا أولا بمضيق رائع المنظر عند بلدة «سانتوس» ، فأنسانا جماله وفتنته مالاقينا من عذاب غريبالدي « صبحا ومسا » على رأى ليلى بنت الصحراء .. !

وفي الميناء ، عقب أن رست الباخرة ، وأقصد القارب الذى حملنا ، شاهدت « شحطا » ، (والشحط على ما يتراءى لى من غير الرجوع الى معاجم اللغة هو المارد الطويل العريض) واقفا تماما كما وقف ديلسبس على مدخل القنال ، وقد ظننته لاول وهلة تمثالا رخاميا ، الا أنه راعنى أن أجد سلاسل من ذهب تحلى صدره ، وتتدلى الى جيوب صديريته . وأخيرا عرفت أنه من اخواننا السوريين الذين يقابلون الرواد والسائحين ، ليقودوهم الى فندق المدينة . فتقدمت اليه وحييته ، ثم أفهمته من انا !!! ولكنه هز كتفيه من غير مبالاة وقال : « شو بيكون كشكش هيك ... مغنواتى ؟ »

وأخذتها فى عظمى ، وقلت ... بشرة خير ، والله اطمأنينا على الشغل . نهايته . وذهبت ورفاقى (بديعة وابنتها جوجو والتونى وفريد صبرى) الى الفندق ، وهناك استودعتهم الله ،

وقلت فلاذهب لارتياذ المدينة ، لعل آتيكم منها بنبا . أو لعل
استطيع تهيئة فرصة لآحياء حفلة أو حفلتين ، وصحبنى محمود
التونى ورحنا نجوب سانتوس شمالا وجنوبا وشرقا وغربا
سانتوس !! انها قرية أو ضيعة ، أو قل ماشئت . نظرت الى
التونى متسائلا ! « أنحن فى أمريكا ؟ أمال المغربلين تبقى ايه
يا وله ؟ نهايته لقينا فى تجوالنا فى أحد الشوارع رجلا ذا مهابة ،
قدمه الينا دليلنا ، فعرفنا أنه يدير أكبر فندق فى المدينة . وأنه
هو الآخر سورى من عليه القوم هناك

وحين قدمنى اليه باسم « كشكش بك » ، لاحت على الرجل
دلائل الشك والريبة . . ثم مالبت أن أخذته نعرة الصراحة
ففاجأنى قائلا : « شوها الحكى !! أنت مانك كشكش . لانى أنا
شفت كشكش السنة الماضية بمدينة حمص فى الشام . . وكان
اله لحيه ، وحضرتك هلا حليق » . . على اننى لم أحتج الى
وقت طويل لأقناعه بأننى كشكش صحيح ، وبأن اللحية التى
رأنى بها جاهزة

أول حفلة

سر الرجل بذلك ووعدنى بالعون ، وقال أنه سيهيىء للفرقة
فرصة العمل فى فندقه فى نفس المساء ، والغريب أن عادتهم
جرت على تناول الغداء فى الساعة الحادية عشرة صباحا،والعشاء
فى السادسة والنصف . وكان علينا بالطبع أن نجارى
القوم فيما درجوا عليه . فبعد أن مضت ساعة أو ما يزيد
دعينا الى ردهة الفندق ، فاذا بها ملأى بالسيدات والرجال من
أرقى الطبقات ، واذا النبأ قد سرى بينهم متضمنا أن فرقة
(غنائية) . . ! غنائية وحياتك !! قد وصلت من مصر ، وأنها
ستطرب الحضور بأصواتها الرخيمة !! الرخيمة ! يادى الليلة
الى زى بعضها يا أولاد . . . والرخيمة دى نجيبها منين ؟
ثم اذا فرضنا اننى مطرب . . وخستكت حبتين ، فماذا أقول

عن صوت التونى وزميله فريد صبرى ؟ هل امتدت اليهما
الخستكة منى عن طريق العدوى مثلا ؟ !!

وأخيرا طرات فكرة !! فلتكن بديعة هى المطربة ، ولنكن نحن
جميعا مذهبجية التخت !!

ولم نتوان لحظة فى تنفيذ هذه الفكرة السديدة ، فتوسطت
بديعة أريكة الطرب وجلسنا حولها ، نخزى العين ، وفشرتخت
الشيخ سيد الصفتى فى زمانه !!

وألقت بديعة قطعا وطنية حماسية من ألحان روايتنا ، بينما
كنا نحن نردد كالمذهبجية بحق وحقيق . وانتهت الحفلة بنجاح
مابعده نجاح . و « هاص بنا جمهورنا العزيز ، فنلنا من اعجابهم
وتقديرهم ما يؤكدا أننا غير جديرين به اطلاقا !! »

وأخيرا نصح لنا بعض الراسخين أن نولى وجوهنا شطر
مدينة سان باولو (على بعد ساعتين فى القطار من سانتوس) ،
وأفهمنا الناصحون أنها مدينة عامرة بمحبى الفن الذين يعشقون
التمثيل ، ويودون أن نتيح لهم فرصة مشاهدته . وكان ذلك
فى شهر نوفمبر من عام ١٩٢٤ ، فعقدنا العزم على الرحيل الى
سان باولو ، وامتطينا القطار ، وكم كانت دهشتنا بالغة حين
أطللنا من النوافذ ، وشاهدنا المناظر التى تجل عن وصفها
الالسن ، وتتضاءل الى جانبها أشهر المناظر السويسرية
وأبدعها

فى « سان باولو »

وفى هذه المدينة عرفنا حقا أننا اجتزنا البحر الى أمريكا ،
فهى مدينة كبيرة عامرة وبها جالية سورية تتحكم فى أغلب
المرافق ، بين تجارة وصناعة وأعمال مجدية مثمرة . نزلنا فى
فندق كبير يديره نزيل سوري ، وكان خبر قدومنا قد سرى
مسرى الكهرباء ، فكان فى استقبالنا جمهور يربو على الخمسمائة
شخص ، أكرموا وفادتنا وانزلونا منهم على الرحب والسعة

ومنذ اليوم الاول اظهروا لنا رغبتهم في مشاهدة بعض رواياتنا : فأفهمتهم بأن رحلتنا لم تكن فنية ، واننا ما قصدنا بها الا الاستجمام والراحة ، ولذلك لم نصحب فرقة من الممثلين الذين يمكن أن نعمل معهم . فطمأنونا من هذه الناحية ، وأبلغونا أن في المدينة جمعية من الهواة ، مالبث أعضاؤها أن وافونا حيث نزلنا ، فاذا على رأسها الشاب جورج استاتى . نجل المرحومه السيدة أليظ استاتى (وقد كانت من مشهورات ممثلات فرقة الاستاذ جورج أبيض قبل ذلك وهى شقيقة السيدة ابريز استاتى قرينة الاستاذ أمين عطا الله) . والظريف أن جورج استاتى كان يمثل رواياتى هناك ، ويطلق على نفسه اسم (كشكش البرازيلى) ، كما كان زوج خالته (الاستاذ أمين عطا الله) يفعل في سوريا ولبنان !! ووجدت من أفراد هذه الجمعية البرازيلية شابا اسمه جبران طرابلسى ، وقد قرأت في جريدة الاهرام أنه يعمل الآن على رأس فرقة في الأرجنتين متخذا لنفسه (شكشك بك) . آل يعنى تصرف فى اسم كشكش ، فقلب كيانه !!

الفت الفرقة اذن مستعينا بأولئك الهواة ، وكنت - من قبيل الاحتياط - قد حملت معى طائفة من أهم رواياتى . ورأيت أن أبدأ بزيارة ادارات الصحف كلها قبل أن أبدأ عملى ، وقد قابل أصحابها تأليف الفرقة مقابلة مستحبة .! الا اننى شعرت بأن هناك بونا كبيرا بين ما قوبلنا به من صحافة الجالية السورية ، وما قابلتنا به الصحافة الوطنية (البرازيلية) . ذلك لاننى أحسست فى كتابات الاخيرة شيئا من روح التهكم وعدم المبالاة بما يمكن أن تفعله فرقة « شرقية »

وقد علمت أخيرا أن سبب هذا الفتور انما يرجع الى الجفاء بين أهل البلاد الاصليين وبين ضيوفها النازحين ، لتمكن الآخرين من امتلاك أعنة البلاد الاقتصادية

وجدت نفسي في موقف هو الحرج بعينه ، ولكنني مع ذلك
أقدمت مستعينا بالله على تذليل مايعتورني من صعاب

في جو مكهرب

استأجرت المسرح أربع ليال بايجار يعادل خمسين جنيها عن
الليلة الواحدة ، وعدت الى الفرقة أجاهد معها في اعداد روايات
ريا وسكينة ، والبرنسييس ، وأيام العز ، التي أطلقنا عليها
اسم (حلاق بغداد) ، وأجهدت نفسي في البروفات ، خصوصا
بعد أن تكهرب الجو ، ورأيت أمامي أعينا مفتحة تريد أن تنتهز
فرصة تنال فيها من الشرق والشرقيين . وأقول لك الحق أنني
ذكرت ماكان يجب أن اذكره في هذه الآونة ! وهو أنني كنت
بعملي هذا سائرا في أحد طريقين ، فاما للصدر واما للقبر .
ومضت أيام اقتربنا بعدها من الموعد المحدد للتمثيل ، فتساءلت
عن حركة بيع التذاكر ، وهالني أن أعرف بأن المبلغ الذي جمع
اذ ذاك وصل الى الفى جنيه !!

راعنى ماشهدت فعدت الى نفسي أحاسبها . ترى ماذا تكون
الحال لو قدر الفشل لنا ؟ ثم ماذا أكون أنا في نظر أولئك الناس
الذين أحسنوا بنا الظن .. ؟

ونظرت من خلال ثقب في الستار قبيل التمثيل فما أروع
ما شهدت !

طوائف من أرقى الطبقات رجالا وسيدات تشع من نحورهن
وأصابعهن أنوار الحلى البراقة والماسات ذات اللون الاصفر الفاقع
الذى لم أر له مثيلا في غير البرازيل . وقد خيل الى وأنا أنظر
الى السيدات اذ ذاك بأن هنالك قطعة متماسكة من الجواهر
او صفوفا متراصة من اللآلىء . ورفع الستار فمثلنا رواية
(ريا وسكينة) وهى من فصل واحد انتهى دون أن اتبين له
في نفوس الجمهور نتيجة .. ثم جاء أوان البدء في رواية
(البرنسييس)

وهى تبدأ بظهور بديعة على المسرح أولا ، وبعد فترة طويلة
أظهر أنا . . فعكفت في غرفتي أعالج تهئية وجهي بالميكياج وأنا
ارتجف لوعة ، وتملكنى خوف أحسست معه كأنى مبتدىء لم
يعهد أضواء المسرح ، ولم يبد أمام الجمهور من قبل . ثم أرهفت
أذنى منصتا لأقوال بديعة ، أستشف أثرها في أفئدة الناس .
وقد سرنى أن وجدتها تمثل في أقدام وشجاعة ، وكأننا على
مسرحنا المعتاد في مصر . وكان أن ظهرت أنا أيضا متشجعا
حتى أتممنا الفصل الاول بين عاصفة من التصفيق والهتاف ،
وامتلا المسرح بالصحفيين والمهنيين ، وغرقنا في لجة من القوم
الذين أحاطوا بنا احاطة السوار بالمعصم . وقد كان فخر أفراد
الجالية السورية باخوانهم المصريين لا يقدر . وانتهت الليلة
ونحن نحمد الله كل الحمد ، على ما أنعم علينا من توفيق حمل
البرازيليين أنفسهم على تقديرنا ورفع شأننا

فيفا ريحاني !

ارتفع شأننا بعد النجاح الذى لقيناه في (سان باولو) ، وقد
ظهر ذلك بصورة واضحة في نادى (سبورتنج كلوب) ، الذى
انشأته الجالية السورية في تلك المدينة . ذلك أن النادى دعانا
الى مشاهدة مباراة في كرة القدم ، بين فريقه وفريق البرازيل . .
وكان المتفرجون يزيدون على العشرين ألف متفرج امتلأت بهم
جوانب الملعب . فما كدت وبديعة نظهر أمام هذا الجمع
الحافل ، لناخذ أماكننا ، حتى سمعنا هتافهم صاعدا الى أجواز
الفضاء (فيفا ريحاني) وفيفا معناها يحيا . . . وانت فاهم
طبعا . . !

وقد قلت أن أسباب النزاع كانت متوافرة بين النزلاء السوريين
وبين أهالى البلاد الاصليين ، لتمكن الاولين من القبض على
ناصية الحركة الاقتصادية والمالية دون الآخرين . ولذلك
شاهدنا في ملعب الكرة قوة كبيرة من الجند كاملة السلاح ،

استعدادا لما عساه يحدث من احتكاك بين افراد فريقى المتفرجين
الذين عزل أحدهما عن الآخر ، فجلس السوريون فى ناحية
والبرازيليون فى الناحية الأخرى ، ووضع بينهما فاصل من
الجند المدجج بالسلاح حتى لا يغير أحدهما على الآخر ، اذا
ماتوترت الأعصاب عقب هدف من الأهداف ، أو إصابة لاعب
من لاعب . على أن المعجزة التى تمت هى أننى كنت والحمد لله
بمنجى من الأذى المتوقع ، لأننى شملت برضاء الخصمين .
و كنت بمثابة الضيف المرموق بعطف الفريقين

ومن أمثلة الرضا التى حباها بها الوطنيون فى البرازيل ، أن
صحافتهم بعد أن شاهدت رواياتنا ، عادت فأثنت على التمثيل
بمستطاب الثناء ، بعد أن كانت مقابلتها لنا قبل ذلك فاترة غير
مطمئنة

وفى فترة الاستراحة بين نصفى اللعب ، أى (الهافتايم)
بلغه الرياضيين ، أو (الانترأكت) بلغتنا احنا ياممثلين ، عاد
التهاف يدوى (فيفاريجاننى) ، وقد اشترك فيه الجميع حتى
خلت نفسى رئيسا لجمهوريتهم ، أو فاتحا لمالطة ، أو على الأقل
جبت الديب من ديله !!

واستؤنف اللعب ، فهطل المطر مدرارا كأفواه القرب . أقول
لك الحق دى فلسفة منى . لان المطر كان مدرارا صحيح ...
لكن مش كأفواه القرب . لكن نعمل ايه فى فلاسفة اللغة ، الذين
يأتوننا بتشبيهات مش معقولة أولا ومستحيل تحصل ثانيا

القصد ياسيدى نزل المطر كأفواه القرب وأمرنا الله - ومع
ذلك ظل اللاعبون فى تنافسهم دون أن يتوقفوا ، مع أن الكرة
كانت تعوم فى بحر خضم

وانتهى اللعب بفوز السوريين ، ثم ابتدأت المعركة التى كان
البوليس يخشاها . ومحسوبيك وبديعة ومن معنا ... « فككان »



نجيب الريحاني في « ريو دي جنيرو » بأمريكا الجنوبية

الى ريو دى جانيرو

وبعد أن أحيينا ليالينا الاربع فى سان باولو ، الح الاهلون علينا فى البقاء مدة أخرى . فحاولنا أن نجد ليالى خالية فى أحد المسارح الهامة ، واستطعنا بعد جهد أن « نربط » أربع حفلات أخرى ، نالت من النجاح حظا لا يقل عن سابقتها

وهنا كان الطمع قد فعل مفعوله فى أحد أفراد الفرقة وهو (فريد صبرى) ، وقد كنت أمنحه فى رحلتنا هذه مرتبا شهريا قدره ثلاثون جنيها مصريا ، فى حين كان يتقاضى فى مصر حصة « خمسة ستة جنيه »

رفع فريد راية العصيان ، فجاء يملئ شروطه قائلا أن مرتبه اذا لم يرفع الى تسعين جنيها كما يرفع مرتب التونى الى سبعين فانهما سيضربان عن العمل !!

طيب واشمعنى يعنى الفرق ده بينك وبين التونى ؟ ولم لا تتساويان فى المرتب ؟

القصد ؟ لم أجد مشقة فى استمالة التونى الى صفى ، اذ كان من قدماء ممثلى فرقتى ، وكان لين العريكة سهل القيادة . أما زميله الثائر فقد فضلت أن أقطع الصلة به ، وأن أعيده الى مصر قبل أن ينفث أفكاره فى بقية الصحب الذين جمعتهم من بين هواة (سان باولو) ، وسلمت فريد صبرى حسابه ، وفوقه حق « الشبرقة » كمان ، وقطعت له تذكرة السفر الى مصر ، وودعته ، واحنا من هنا وانت يا بن الناس من هنا

وقصدنا بعد ذلك الى العاصمة (ريو دى جانيرو) . وكانت

الشهرة والصيت قد سبقانا اليها ، ولذلك استقبلنا فيها استقبالا حافلا ، ونجحنا فى حفلاتنا الثمان التى أحييناها بتلك المدينة ، وكان متوسط ايراد الحفلة الواحدة ٥٠٠ جنيه وما كدنا ننتهى من هذه الحفلات حتى استدعينا ثانية الى سان باولو ، وهناك أقمنا حفلتين

أنا سندباد برى

الى الارجنتين

بعد أن انتهت حفلاتنا الناجحة فى سان باولو ، بدت لنا فكرة الرحيل الى الارجنتين ، اى الجمهورية الفضية، ولكن وجدت مشكلة عويصة ، هى التشديد المتناهى فى الكشف الطبى على العيون قبل اجتياز الحدود ، ولن يدخل البلاد شخص يثبت الطبيب وجود التراخوما فى عينيه !

تتوسط جمهورية أرجواى جمهوريتى البرازيل والارجنتين، وقد نصح لنا بعض الصحب الا نقصد الى هاتين الجمهوريتين رأسا ، بل نمر بارجواى أولا ، وهناك نعمل على الاتصال بسورى كبير يشتغل فى تجارة الحرير ، وله فى جمهوريات أمريكا الوسطى كلمة مسموعة ونفوذ طائل ، وركبنا البحر الى (مونتيفديو) فى أرجواى ، وفى المحطة التى رست فيها السفينة على الميناء كنت جالسا فى صالون الدرجة الاولى بها ، فسمعت اشخاصا يخترقون صفوف الركاب وينادون بأعلى أصواتهم : « سنيور ريجانى سنيور ريجانى » . وما كدت اسمع النداء حتى اعتقدت أن هناك مكيدة دبرت لنا ، وانهم لا شك آخذونا من الدار الى النار

وجاءت بديعة وقد كسا وجهها الاصفرار ، وكاد يغمى عليها وتقدمت من هذا المنادى متصنعا الشجاعة ، (قال الشجاعة قال وأنا ركبي عاملة زى الشخصىخة !) وقلت : « هانذا » . فابتسم الرجل وقدم نفسه الى فاذا به صحفى

عرف بمجيئنا فوصل ومعه المصورون لالتقاط صور لنا ،
وعمل أحاديث معنا ! الله يغمك يا حضرة الزميل الفاضل
(باعتبارى الآن صحفيا ولو خارج الهيئة) ، وانت كركبت
مصارين السنيور ريحاني !

نهایتہ کان عدد افراد الفرقة ثمانية أشخاص بما فيهم انا
وبديعة ، ولما كان كلانا في الدرجة الاولى فاننا لم نشعر بصعوبة
كبيرة في اجراء الكشف ، وأما ركاب « السكندو » فقد كانت
الدقة رائد الطبيب عند توقيع الكشف . وكان من سوء الحظ
ان تكون عيننا محمود التونى مؤثلا بل مخزنا لحبوب
« التراخوما » ، فمنع من النزول الى البر بتاتا . وبعد جهاد
ومشاوير من هنا لهننا ، صرح له على شرط السفر فورا الى
الارجنتين دون تمضية وقت طويل فى ارجواى

لغاية هنا كويس ، لكن ايه الى رايع يوصله الارجنتين
يا نضرى ؟ ذهبنا لقطع تذاكر السفر بحرا الى « بونس ايرس »
فطلب منا مبلغ ثمانمائة جنيه كتأمين بمعدل مائة جنيه لكل
شخص ، حتى اذا ظهر أن شخصا واحدا مصابا بالتراخوما
ضاع علينا المبلغ جميعه

يادى الحوسه ! ما هو ظهر معنا شخص واحد عنده
تراخوما توزع على أورطه بحالها !

عملية تهريب

وعقدنا مؤتمرا منا ومن التاجر السورى الكريم ، الله يمسيه
بالخير ، وفى هذا المؤتمر تفتقت الافكار عن حيلة لطيفة هى أن
تسافر بديعة بحرا مع الخمسة السليمين وبذلك نطمئن على
استرداد التأمين ، وهو فى هذه الحالة ستمائة جنيه . اما انا
ومحمود فلنجتز الحدود سرا ولنغامر بالهرب على أن يعاوننا
ذلك الشهم السورى وأعوانه

واقلعت السفينة ببديعة وبقية الفرقة . اما انا والتونى

فقد صحبنا رجل من قبل تاجرنا الكبير يحمل معه خطابا الى رجل آخر في مدينة أخرى . وامتطينا قطار السكة الحديد ، ومكثنا فيه ثلاثة أيام بلياليها نجوب مجاهل أمريكا ، مجاهلها والله العظيم . وبلد تشيلنا وبلد تحطنا ، وفي كل منها يسلمنا شخص الى آخر وهذا يسلمنا الى غيره . وفي كل مرة يصحبنا خطاب من محطة التصدير ، الى محطة التوريد ! . وكأننا بضاعة مهربة : كوكايين ، هرويين ، حشيش ، الى آخر اللسته اياها

وفي المرحلة الاخيرة ، وبعد الليالي الثلاث ، وصلنا محطة صغيرة على شاطئ نهر ، وفيها نزلنا وأشار دليلنا بأصبعه الى الشاطئ الآخر من النهر قائلا : « شايفين الكشك اللي هناك ده . أهو اذا نفدت من بقيتكم في أرض الارجنتين . ويبقى في امكانكم تحطوا صوابكم في عينين الجعيس ، حتى لو ظهرت التراخوما في دماكم مش بس في عنيتكم ! »

كلام طيب ... لكن نفد من الكشك ازاي يا اخينا ؟

اتكلوا على الله !

واتكلنا على الله . آمال حانتكل على مين ؟ واجتزنا النهر في رفقة الدليل العزيز بعد أن نصح لنا بالجلد وتصنع الشجاعة حتى لا يبدو علينا خوف مريب . فقلت للتوني : « تشجع » فأجاب : « ماتخافش أنا قلبي جامد » وأبصرت فاذا هذا القلب « الجامد » وقد وصل في سقوطه جنوبا الى كعب صاحبه . ومال دليلنا على حارس الحدود فتسارا قليلا ثم أفهمه أنني وزميلي صديقان له واننا حضرنا لمشاهدة حفلات الكرنفال المقامة اذ ذاك في بلاد الجمهورية الفضية . وتنفسنا الصعداء أنا والتوني ، وتملكننا في هذا الحين مرح كمرح الاطفال ، فعدونا بأخف ما حملتنا أقدامنا الى القرية كي نأخذ القطار الى بونس ايرس ، وتقدمت متلهفا الى عامل

الشباك اطلبه بتذكرتين الى المدينة التي نقصدها ، فنظر
الينا وهز كتفيه بابتسامة لم نفهم لها معنى واخيرا قال :
« متأسف جدا . لقد تأخرتم لأن القطار مر صباح أمس ! »
صباح أمس ! وما هو موعد القطار التالى اذن ؟ ..

قال : « بعد اسبوع ؟ ! »

اسبوع ! ؟ وتقولون انكم في بلاد متمدنة ؟ اسبوع يا بنى
آدم في قارة اسمها أمريكا ؟!

دى افريقيا على كده رايتها لبن يا اولاد العم سام !
القصد . أصبحنا أمام الامر الواقع . وما باليد حيله . ولكن
أين تقضى هذا الاسبوع . ونحن في قرية لا تزيد مساكنها
عن مائة بيت ؟

ولكن اذا نسيت كل شىء فان أنسى اسم هذه القرية التي
ارتنى الويل وسواد الليل ، اسمها يا عزيزى الفاضل ،
« سان جوزيه » وينطقون هذا الاسم فى الأرجنتين « سان
خوسيه »

بشرة خير

التفت الى التونى وقلت له : « أين نمضى الاسبوع
ده يا وله ؟ » ثم غادرنا المحطة ، واجتازنا البلد كلها بيتا بيتا فى
حسبة خمس دقائق ، وهنا أشير الى ظاهرة غريبة ، وهى
ان السوريين فى أمريكا الجنوبية كاليونانيين تماما فى مصر .
وانى لاذكر أن اللورد كرومر كتب فى أحد تقاريره السنوية ،
حين كان عميدا لبريطانيا فى مصر ، جملة ماثورة ترجمتها « أنك
لو رفعت حجرا فى احدى قرى الصعيد « الجوانى » لابد
واجد تحته بقلا يونانيا » . ولو أن كرومر كان معنا لكتب
جملة هذه عن اخواننا السوريين فى البرازيل والأرجنتين
وفى اثناء اجتيازنا للشارع الوحيد فى « سان خوسيه »
هذه قابلنا رجلا ، تفرس فى وجوهنا . وكلمة من هنا وكلمة من

هنا ، حصل التعارف . انه سورى يسكن فى سان خوسيه ،
بشرة خير . قادنا الى فندق البلدة آل فندق آل . انه بيت
به حجرة أرضية هى اللوكاندة ! وفى هذه اللوكاندة ، أو
الحجرة بمعنى أصح سرير واحد وكنبة ! وبس والله العظيم ،
أما الأرضية فطبقات من التراب بعضها فوق بعض ، وكذلك
الحال فى السرير حتى لقد ظننت انهم فى كل يوم « يتربونه »
لا ينظفونه !

كنت أحمل فى هذه الاثناء مبلغا يربى على الالف وخمسمائة
جنيه ! جلست فوق السرير المترب العالى والتفت خلفى فاذا
نافذة خشبية يستطيع الواقف فى الخارج أن يمد يده منها
ويخطف الفلوس . واذا ساقه الشر ، فيمكن أن « يخطف »
روحى كمان من غير احم ولا دستور ، اذ لا يكلفه الامر سوى
تناول زمارة رقبتى وضغطها باحدى يديه . ويا لوكانده
ما دخلك شر !

لعب الفار فى عبي ، فجمعت مجلس شورى القوانين ،
المكون منى أنا رئيسا ، ومن محمود التونى سكرتيرا وأميننا
للصندوق وأعضاء كمان . وتباحثنا فى الامر واستقر رأينا على
أن نقتسم النوم بيننا ، فأنام ليلة يسهرها هو كنوبتجى
يحمل النقود بين يديه بينما ينام هو فى الليلة الثانية وأحتل
أنا مكانه . . . وهكذا دواليك !

دواليك دى مشر على مزاجى أبدا ، لكن استحملها منى
الله لا يسيئك ! القصد أمضينا ليالى هذا الاسبوع الذى طال
وكأنه عام ، أمضيناه زى ما أمضيناه والسلام . وجاء القطار
بعد ذلك يتمخطر ، فركبنا الى بونس ايرس حيث تنتظرنا
بديعة مع بقية « الشلة »

الى بونس ايرس

ويغادر هذا القطار محطة « سان خوسيه » فى الساعة

الثانية بعد الظهر ويصل الى بونس ايرس في الثامنة من صباح اليوم التالى . جلسنا فى أحد صالونات القطار . وحين أرخى الليل سدوله - شايف ازاي بنعرف نتفلسف وتقول سدوله - حين أرخى الليل سدوله جعلنا الصالون عربة نوم . لان المقاعد تحول أسرة حسب النظام المتبع فى هذه القطارات وأستطيع أن أقول اننا هنئنا حقاً بالنوم فى القطار ، بعد أن استرحنا من نظام النوبتجية الذى لازمنا ست ليال سوياً . الا أن شيئاً غريباً وغريباً جداً لاحظته أ

حوالى الساعة الثالثة صباحاً - فى دغششة الفجر يعنى - صحت من النوم فلم أسمع صوت القاطرة . فظننت أن القطار وصل الى احدى المحطات ، ونظرت من النافذة فاذا المياه تغمرنا من الناحيتين ! ..

أيقظت التونى وسألته : « احنا يا وله وقت ما نمنا كنا راكبين وابور بحر والا وابور بر ؟ » فدهش لهذا السؤال وأطل هو الآخر من النافذة قائلاً : يا خبر أبيض نكونش غرقنا . والا متنا وجم الملايكة يحاسبونا ؟ ! تملكنا الحيرة حقاً . ورحنا نسعى بالسؤال الى أن عرفنا السبب فبطل العجب . هناك نهر كبير يجتازه القطار ، لا بواسطة كبرى كما هو الحال عندنا وعند غيرنا من عباد الله فى جميع بلاد الدنيا ، بل بواسطة صنادل يضعون عربات القطار فوقها بالقطاعى ، وتسير الصنادل فتنقل العربات من شاطئ الى شاطئ ، دون أن يشعر الركاب بهذه العملية على الاطلاق ! والله عشنا وشفنا ! خلصنا على كده ونقلت شحنة القطار الى البر الثانى ، وواصل سيره الى بونس ايرس . وقبل أن نصل اليها بساعتين او يزيد خرج بسلامته سى محمود التونى يتمشى فى ردهة القطار ، ويتعجب اسم الله بشبابه وسحنه الرمادى اياها ! انا عينى بترف يا اخواتى ... لازم الواد الملعون ده مش

راجع الا لما يجيب لى مصيبه وياه !

فى هذه الايام كانت هناك خلافات ومشاحنات سياسية بين البرازيل والارجنتين . وكانت هذه المشاحنات قد كهربت الجو بين أهالى البلدين ، وكثرت العيون والارصاد فى قطارات السكة الحديدية ، اذ جندت الارجنتين كثيرين من المخبرين وخصصتهم للخدمة فى القطارات

قابل التونى فى طريقه أحد جرسونات القطار فجرى بينهما حديث . والتونى الله لا يكسبه يعرف له كلمتين ثلاثة اسبانيولى : سأل الجرسون : « حضرتك برازىلى ؟ » وأجاب التونى متعظرا : « لا فشر أنا شمالي ! » آل يعنى الأمريكانى أصلى من الولايات المتحدة . ولم يدر العبيط أنه زاد الطين بلة عاد الى حضرته شامخا يقص حديثه مع الجرسون ، فقلت : « بس والله وديتنا فى شربة ميه ياسى التونى . يعنى مش كفايه ان التراخوما بتعتك تشحططنا الشحطة دى وتلففنا فى المجاهل اللى ما قدرش خريستوف كولومب يوصل لها . وفى الآخر كمان تسلط علينا فلسفتك تخرب بيوتنا ؟! »

لم اكمل هذا الحديث حتى فتح باب الصالون « خواجه » طويل عريض وطلب منا أوراقنا !

مشكلة !

أوراقنا !! والله جالك الموت ياتونى انت ونجيب !! هو احنا يا حسرة معانا أوراق ؟ . . داحنا تفليته ، وهربونا أولاد الحلال . ونظر الى التونى وأراد أن يمدنى بشعاع من عبقريته . فوضع يده فى جيبه وقال لى بالعربية : « طلع الباسبورت وحطه فى عينه كمان » . وسارعت لاعنا أبا خاشه قائلا له : اوعى تعملها يا ابن الفرطوس ، أحسن نروح فى داهية . هى الباسبورتات بتوعنا عليها تأشيرة بدخول الارجنتين يامفش ، واقتنع التونى بقولى فأخرج يده من جيبه من غير باسبورت ولا دياولو

وتشجعت ثم قلت لهذا الخواجه : « ليست معنا أوراق
باسبورت لاننا لسنا آتين من الخارج ، بل كنا نزور صديقا لنا
فى « سان خوسيه » ونحن عائدون الآن الى بونس ايرس ، واذا
شئت برهانا على قولى فانتظر حتى نصل الى العاصمة ، وهناك
ترى زوجتى وابنتى ينتظرانى على الرصيف . وظللت أتلف
مع صاحبنا هذا وأدارى سواة التونى الى أن وصلنا بالسلامة ،
دون أن يفارقنا مخبر الهنا . وكانت دهشتنا عظيمة حين رأيت
بديعة وجوجو والبقية المحترمة ، وقد أحضروا معهم جوقة
موسيقية ، تقول لجوقة حسب الله قومى وأنا أقعد أزمز مطر حك
وهات يا طبل وها ت يا عزف . وكان استقبالا فخما لم يستطع
معه مخبر الانس أن يقول لى تلت الثلاثة كام . وكانت بديعة
قد أعدت معدات العمل ، واستأجرت المسرح الذى نعمل به ،
فلما حان موعد التمثيل ، لم يملكنا شىء من الاضطراب الذى
شعرنا به فى أول مرة بسان باولو ، بل ظهرنا بقلب جامد ،
ونجحنا نجاحا « جامدا » كذلك . وطننت الصحف هناك
بالفرقة وأفرادها ومقدرتهم التمثيلية ، وخلعت على لقب
« برافتشيني دلاكاىرو » أى برافتشيني بتساع القاهرة .
وبرافتشيني هذا ، هو ممثل من أساطين الفن فى تلك البلاد



العودة الى مصر

كانت محبة اخواننا السوريين لى وللفرقة طوال المدة التى تنقلنا فيها بأمريكا الجنوبية مما يجعل عن الوصف . أحيينا أربع ليال فى بونس ايرس كان النجاح فيها حديث الجميع ، ثم زرنا مدن روساريو وقرطبة وتوكومان . وهناك كنت أنشر الخريطة بين يدي ، وأضع أصبعي عند المكان الذى نحن فيه ثم أنقله الى موقع مصرنا المحبوبة ، فأقول . . . احنا فين وانت فين يا حبيبتي يا مصر ؟ وهل يكتب الله لنا أن نعود اليك فى سلام وخير ؟ بعد اجتياز هذه المجاهل التى ليس لها أول يعرف ولا آخر يوصف ؟ !

وبعد ذلك عدنا الى بونس ايرس مرة أخرى ، ومثلنا بعض الروايات . والغريب أن الجمهور كان لا يكاد يسمع صوتي من بين الكواليس قبل الظهور على المسرح ، حتى يصرخ مصفقا ، وكأننا نمثل بين جمهورنا المحبوب فى مصرنا العزيزة

رحلات مختلفة

بعد أن أنهينا عملنا فى بلاد الجمهورية الفضية (الأرجنتين) ، عولنا على العودة من نفس الطريق ، ولناخذ الخط اياها كما قطعناه ذهابا ، فنزلنا أولا فى أرجواي ، وهناك أحيينا حفلتين فى (مونتفيدو) ، ثم قصدنا الى البرازيل ، فلما حططنا الرحال فى عاصمتها (ريو دي جانيرو) ، وجدنا ترحيبا لا داعي لوصفه ، ووجدنا كذلك رغبة من الجمهور فى معاودة التمثيل ، فوافقت هذه الرغبة هوى فى نفوسنا ، ولم نتردد فى القبول ،

وفى مدينة ريودى جانيرو تياترو اسمه المسرح الامبراطورى،
لم أجد له مثيلا فى أية ناحية من نواحي العالم ، لاسيما فى
اتساعه وكثرة مقاصيره ومقاعده ، ذلك الاتساع الذى تأكدنا
لأول وهلة أن الجماهير مهما احتشدت فلن يمتلئ بها أبدا
استأجرنا هذا التياترو ، وقلنا أننا نحسد اذا استطعنا أن
نجد متفرجين يملئون ربع مقاعده . فلما جاء يوم الشباك ،
وذهبت فى الساعة الثامنة صباحا لاسلم التذاكر لعامل الشباك ،
راعنى أن أجد زحاما لم يسبق لى عهد به ، لا فى تلك المدينة
حين نزلناها أول مرة ، ولا فى غيرها من المدن التى ارتدناها

مفاجأة !

وقبل الغروب قصدت الى التياترو فألمنى أن أجد ساحته
أفرغ من فؤاد أم موسى . يا لله أين ذهب القوم الذين احتشدوا
صباحا ؟ وهل كانت مجرد مظاهرة قاموا بها ثم « افرنقوا
بعد أن تكأكثوا على المسرح كتأكثهم على ذى جنة » !!

شايقين الجملة يا خلق ؟ آهو كل يوم من ده . أما أشوف
بقى أنا والا المجمع بتاعكم !! . القصد نرجع الى لغتنا العربية
المفهومة ، فأقول أننى اخذت بحالة الهدوء السائد حول المسرح،
وقلت والله باين ختامه قرف وليس مسكا ! فلما وصلت الى
شباك التذاكر للاطمئنان على الحالة ، لم أجد العامل فى مكانه ،
بل وفوق ذلك وجدت الشباك مقفلا !!

يادى الواقعة اللى زى بعضها يا عالم !! ايه الحكاياه ؟ وما التدبير
وما العمل ؟ على رأى المرحوم الشيخ سلامه حجازى ! ؟ أخيرا
عشرت بعامل الشباك فى مقهى مجاور للتياترو !! انت فى
يابنى ؟ وهل ده وقت قعدة القهوة ؟ وكيف تقفل الشباك فى
مثل هذا الوقت ، ثم تأتى للسمرجة والقنزحة والمش عارف
ايه ؟ ؟ وبكل ثبات أجابنى العامل : « لقد أقفلت الشباك بعد أن
انتهت مأموريتى ، لان جميع التذاكر قد نفدت !! »

نفدت ... نفدت ؟ وأظن يا اخواني لو جمعنا سكان البرازيل ، واستلفنا عليهم كبشتين تلاته من سكان الارجنتين وارجواى ، يمكن مايملوش التياترو !! القصد . جاء أوان التمثيل فنظرت من خلال فجوة صغيرة فى الستار ، فرأيت الجماهير كالنمل الزاحف ، والمقاعد ليس بينها واحد خلا من صاحبه . ونجحنا بحمد الله ، ثم اتخذنا طريقنا الى سان باولو ، حيث حاللنا النجاح كذلك ، وواصلنا طريق العودة الى أوربا ، بعد أن مكثنا عاما بأكمله فى ربوع أمريكا الجنوبية والسفر منها واليها

فى باريس

وعرجنا على باريس ، واخذت معى كذلك محمود التونى ، على سبيل أن نتفرج ع الدنيا !! الا أن الدنيا التى قصدناها كانت أبعد شئ عنا ، اذ أمضينا فى باريس خمسة عشر يوما ، لم نزر خلالها متحفا ولا رأينا مسرحا ، بل كان همنا كله البقاء فى جاليرى لافايت . فقد كنا نقصد الى هذا المحل يوميا من التاسعة صباحا الى الثامنة مساء ، لنشترى كل ما طاب لنا من ملابس ، وما راق لنا من أدوات وكماليات . وكم مرة اتفقنا على قضاء السهرة فى دار السينما أو فى مسرح معين ، حتى اذا حان الحين كان التعب قد تملكنا ، ولا نجد الا أن نتخذ سبيلنا الى الفندق لننام ، كى نستأنف فى اليوم التالى زيارتنا المعتادة لجاليرى لافايت

عدنا من أمريكا بمبلغ يزيد على ألف جنيه ، وقد تسألنى كيف يقف الايراد عند هذا الحد الضئيل ، اذا ما قيس بالنجاح المتواصل الذى نجحناه ، فأجيبك بأن العام الذى قضيناه فى أمريكا لم تتح لنا الظروف أن نعمل فيه أكثر من نيف وثلاثين ليلة ، وما ذلك الا لمصادفة عدم خلو المسارح اثناء وجودنا فى بعض المدن التى حللنا بها . ولولا ذلك لبلغت مكاسبنا أضعاف أضعاف ما عدنا به . قلت اننا تركنا أمريكا وفى حوزتنا ألفا وبعض

الف من الجنيهات . وقد كانت الايام الخمسة عشرة التى قضيناها فى باريس ، بل قل فى جاليرى لافاييت ، كفيلة بالتهام هذا المبلغ الى آخره . بحيث لم يبق معنا اجر العودة الى مصر ، مما اضطرنا الى أن نرسل اليها فى طلب ذلك الاجر تلغرافيا . وقد كان فوصلنا بطريق البرق مبلغ مائة جنيه

نقول أن جاليرى لافاييت التهمت كل ماكان معنا ، فقد انفتحت أنفسنا لشراء كل ماوقعت عليه انظارنا سواء من الملابس أو الموبيليا ، حتى لكأننا كنا نلم فى آخر زادنا

وأخيرا .. فى مصر

فلما وصلنا ثغر الاسكندرية وجدنا الاستاذ أمين صدقى ويظهر أنه كان على نار فى انتظارنا ... اذ عرفنا منه أن خلافا دب بينه وبين شريكه الاستاذ على الكسار ، وأنهما فضا الشركة التى كانت قائمة بينهما ، ولذلك فانه يرى أن اتفق وإياه فى عمل متحد . ولم أمانع فى تلبية هذه الرغبة ، فألفنا فرقة للعمل فى دار التمثيل العربى . وكان لواء البطولة النسائية فيها معقودا على هامة بديعة مصابنى والمطربة فتحية أحمد ، أخرجنا رواية ، قنصل الوز ، وعقبها رواية (مراتى فى الجهادية) ، وهنا دب شقاق بينى وبين بديعة ، وأننى وان كنت لا أجد معنى للتوسع فى تبيان ماوراء هذا الشقاق ، الا أن ذلك لا يحول دون ذكر منشئه ... ولو من باب تسجيل الواقع ان لم يكن من باب التفكهة ، فقد كان سبب غضب بديعة مضحكا حقا !!

فى اثناء رحلتنا الامريكية ، كنت انتهر فرصة الخلو من العمل فى ساعة الظهيرة مثلا ، أو بعد التمثيل مساء ، فألعب «برتيتة» بلياردو . الا أن ذلك لم يكن يرضى بديعة ، فكانت تغضب وتكثر من الشكوى وترمينى بالاهمال الشنيع . ولا تنسى وهى تشكو للاصدقاء وغير الاصدقاء ان تقول لهم كبرهان على اهمالى ... جملتها الماثورة : « دا مهمل خالص يا اخوانى .. ! دا يلعب

بلياردو يا عالم « .. تقولشى يعنى البلياردو ده منكر !! او
حرمة ربنا .. وغضبت عليه الملايكة ؟ وأنا خلقت عنيدا وان
كنت فى دخيلة نفسى أكره هذا الخلق ... ولكن ما حيلتى وقد
تكونت هذه الخليقة معى ؟ نهايته امتلا رأس بديعة بفكرة
واحدة .. وهى اننى مدمن اهمال !! طبعا اذا كنت بالعب
بلياردو ... لا ومش بس كده ، وباشرب سجائر كمان .
ما علينا . بعد ان اخرجنا روايتى « قنصل الوز » و « مراتى
فى الجهادية » تركت الفرقة تعمل لحساب أمين صدقى فى دار
التمثيل العربى بعد ان أمضيت فى العمل فيها شهرين

برنتانيا أيضا

فى هذه الاثناء كان زميلى الاستاذ بديع خيرى يؤلف لفرقة
الاستاذ على الكسار ، فعدنا الى الاتفاق من جديد ، ثم جاءنى
الحاج مصطفى حفى والى فى ان استأجر مسرحه (برنتانيا)

ولما كنت أعتقد ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، فقد
تشددت فى أن ينص فى عقد الاتفاق على غرامة مائتى جنيه ،
يدفعها الطرف الذى يقف دون تنفيذ أى شرط من شروط
التعاقد . ومع ذلك فانه لم تمض على امضاء هذا العقد عدة
ايام حتى جاءنى الحاج مصطفى يتدثر بثوب من الخجل ، يحمل
فى احدى يديه العربون الذى تقاضاه منى وفى اليد الأخرى
الغرامة المتفق عليها وهو يرجو ويسرف فى الرجاء

الله ايه الحكاية يا حاج مصطفى ؟

الحكاية ان الست منيره عاوزه التياترو وجابت لى ناس
جامدين فاضطرت ان اكتب معها كئتراتو !!

شئ جميل قوى ياسى الحاج !!!

أخيرا اشفقت عليه ، ولم أر ان أعامله بأفعاله ، فأحللته من
العقد ، وتناولت العربون والغرامة التى اعتبرتها حصة من
بضاعتنا ردت الينا

ونعل القارىء العزيز لم ينس بعد حكاية الملابس والمناظر التى استولى عليها الحاج مصطفى ، بحجة سداد ديون ما أنزل الله بها من سلطان . وفى هذا الحين وقع ما كان يخشى من سوء التفاهم الذى استحكمت حلقاته بين بديعة وبينى فافترقنا وبحثت عن مسرح آخر غير مسرح برنتانيا . فلما اعيانى ذلك فكرت فى انشاء مسرح خاص

كانت تقع فى ملتقى شارعى عماد الدين وقنطرة الدكة قهوة اسمها « راديوم » . وكان الى جانبها صالة تحمل الاسم نفسه ، وكانت ملاصقة لتياترو « رمسيس » ، فاستوليت على هذه الصالة وانشأت فى مكانها « مسرح الريحانى » . وبينما انا افكر فى تأليف فرقتي ، هبط على الزميل القديم على يوسف ، وافهمنى ان ممثلى فرقة الاستاذ يوسف وهبى متدمرون ، وانهم جميعا راغبون عن العمل معه ، ولذا اعتزموا الاستقلال دونه بفرقة شرعوا فى تأليفها بعيدا عنه . ثم اقترح ان اضم شملهم لاظهر فى الدرام بدل الكوميدي

واخيرا - وبعد تردد وتفكير - اقتنعت باقتراح السيد على يوسف وشرعت فى التنفيذ ، ولاسيما اننى بعد الخلاف مع بديعة هبط اعتمادى على نفسى ، وشعرت اننى فى حاجة الى عون قوى استند اليه فى ملاقات الجمهور . وكانت بديعة فى هذا الحين قد استأجرت صالتها المعروفة فى عماد الدين

فرقة دراماتيكية

الفت فرقتي الجديدة من السيدات روزاليوسف وعزيرة امير وزينب صدقى وسرينا ابراهيم ومارى منصور وغيرهن ، والاساتذة حسين رياض ومنسى فهمى وحسن فايق واحمد علام ومصطفى سامى وجبران نعيم ومحمود التونى وغيرهم . وقبل ان ادخل فى شرح ما انتابنى فى هذا المشروع من نكبات ومصائب اقول اننى بدأت فى بناء التياترو فى أغسطس من عام ١٩٢٦ ،

وفي الوقت نفسه ألفت الفرقة ولم تبدأ التمثيل الا في شهر نوفمبر ، أى بعد ثلاثة أشهر ، كنت أدفع فيها أجور الممثلين ، وغير ذلك من مصاريف البناء والتأثيث ، واثمان المناظر والستائر والملابس وما الى ذلك مما أوقعنى فى ضائقة مالية

وأوجدت الى جانب الفرقة قلما خاصا لانتقاء طائفة من أهم الروايات العالمية ، ونقلها الى اللغة العربية . وقد ادى قلم الترجمة هذا واجبه ، وترجم حوالى الاثنى عشرة قصة من روائع الادب الفرنسى والانجليزى والامانى والروسى . كما ان الاستاذ جورج مطران شقيق شاعر الاقطار العربية خليل مطران ، قدم الى ترجمة للرواية الخالدة (النسر الصغير) ، تحملت فى مدى الاشهر الثلاثة التى أجرينا فيها البروفات الكثير من دلع السادة الممثلين والممثلات ، وارهقننى طلباتهم التى لا مبرر لها ، ورايت من فعالهم وتعنتهم وممرطتهم لى الشئ الكثير . ومع ذلك سايرتهم ، ولم أتردد فى ارضائهم ، ورجلى على رقبتى !!

يا خسارة

ولم أكن أدري مابيتوا لى من غدر وسوء . اذ انه حين اقترب يوم البدء فى العمل ، وبعد أن أعددنا ست روايات للظهور ، تسلل الممثلون واحدا اثر الآخر من الفرقة ، وعادوا الى فرقة رمسيس دون انذار سابق ، ودون أن يتركوا لى مهلة البحث عن غيرهم . فى حين أننى كنت قد أسندت اليهم أهم الادوار فى الروايات الست التى أعدت للعرض على الجمهور وبذلك راحت البروفات « هدر » ويا خسارة يامال الناس !! جاهدت بكل مالى من قوة ، وما وصل الى يدى من مال . فبدأنا عملنا فى نوفمبر برواية « المتمردة » ، وأعقبناها برواية « مونا فانا » ، ثم مثلنا روايتى « اللصوص » و « الجنة » وهنا خارت عزيمتى وانهدت قوتى ، ولم أعد أحتمل آثار الاسلحة الدنيئة التى حوربت بها . وكنت أظن ان سوء الحظ وحده هو الذى ساقنى الى ماوصلت اليه من هبوط

عودة إلى :
كشكش بك

عودة الى : كشكش بك

ديون وحملات

بلغ ما اقترضته عندما تحولت للدراما اربعة آلاف ومائة جنيه ، وكان عدد الدائنين ثمانية وعشرين ، فتصور مقدار ما كانت تسببه لى من ارتباكات متوالية ، ثم تصور حالتى النفسية ازاء ذلك ، ثم اعرنى انتباهك لاقص عليك أن نكبتى لم تقف عند هذا الحد ، اذ أصبحت هدفا لسخرية القوم ، وشماتة الغير ، وتهكم صاحبة الجلالة الصحافة ، التى سلطت على رعاياها المحترمين ، فسلقونى بقارص الكلم وبالسنة حداد . وهل يوجد أطول من السنة رعايا صاحبة الجلالة ؟ ولا مؤاخذه أيها الزملاء الاعزاء ! فواجبنا نستحمل بعضنا ٠٠ واذا كنت قد انقرصت من حضرتكم شهورا وأياما، فاغفروا لى فرصة واحدة متواضعة أرد بها التحية ع الماشى !

كل هذه الحملات التى انصبت على رأسى متتابعة ، كانت لاننى تجايرت على « قدس » الدرام من غير احم ولا دستور ولكى اعطيك عينة بسيطة اروى القصة الطريفة التالية :

تقدمت الى احدى ممثلات الفرقة ، وطلبت أن تشتري لحسابها حفلات اسبوع كامل . فقبلت عن طيب خاطر . وبعد احياء تلك الحفلات جاءتنى ساخطة لانها خسرت ٣٥ جنيهها ! طيب ياستى قسمتك كده ، نعمل ايه فى النحاس المجوز على حضرتك وعلى انا كمان ؟ قالت : « لا ياسيدى ،

فيه طريقة « . . طيب اتفضللى بالامر وأنا طوع الارادة
نهايته . اتفقنا على أن تستأجر اسبوعا ثانيا بمبلغ مائة
جنيه كى تسترد خسارتها ، ثم أعطتنى خمسة وستين جنيها
وحصلت منى على اىصال بتسلم مائة ! وما قبلت توقيع مثل
هذا الاىصال ، الا تحت ضغط أقساط الممثلين المطلوبة
ومصاريف التياترو وغير ذلك من الرزايا

وبعد مرور أيام من أسبوع المثلة ، كانت الروح قد بلغت
الحلقوم . فلم أستطع الاستمرار فى العمل ، واضطرت لحل
الفرقة بعد أن تقدمت للست صاحبة الاسبوع بما دفعت ،
وهو الخمسة والستون جنيها . ولكن بسلامتها أبت استلام
المبلغ بحجة أنها دفعت لى مائة جنيه لـ ٦٥ ، وحتى اذا ما كنتش
مصدق ، الوصل آهه ! آه . . والله طبيت يا أنس !

لم يكن لدى المبلغ بأكمله بالطبع ، وما شعرت فى اليوم التالى
الا ببلاغ مقدم من حضرة المثلة المصونة والجوهرة المكنونة ،
تتهمنى فيه بالنصب والاحتيال والاستيلاء منها على . . ١٠ جنيه
« جنيه ينطح جنيه » . وقد تطوعت جريدة « المقطم » الله
يمسيها بالخير ولا يوريناش فيها مكروه . . . تطوعت برواية
الخبر على هذا النحو الطريف الخفيف الذى صورتنى فيه
تصويرا يبعد عن الواقع بعد الخيال عن الحقيقة

استطاعت الست المثلة أن تحصل على وساطات كادت
تودينى فى شربة ميه ! ولولا دقة النائب العمومى فى ذلك الحين
وهو المرحوم طاهر نور ، لتحلت يداى بالاساور الحديدية المعدة
للسادة اللصوص وقطاع الطرق . نعم لقد كتب السيد احمد
شرف الدين خطابا الى المرحوم طاهر نور شرح فيه الحقيقة ،
فقرر الافراج عنى ، وكنت قد جمعت من هنا ومن هناك
الخمسة والثلاثين جنيها التى كمل بها مبلغ المائة جنيه وسلمته
الى الست الشاكية . وبذلك تقرر حفظ بلاغها

وبعد ، أليست هذه طريفة من الطرائف ؟؟ أليست عينة
من عينات الاعتراف بالجميل عند كثيرين من عابري سبيل
هذه الحياة الدنيا ؟

ولماذا أضع أمام عينيك سيدى القارئ عينات أو ما يشبه
العينات ؟ انه يكفى أن أقول لك أننى منذ اليوم الاول من
شهر يناير ، الى اليوم الآخر من ديسمبر سنة ١٩٢٧ ، لم
أكن أصل الى شباك التذاكر ، حتى يطالعنى العامل بورقة
حمراء لدفع كمبيالة للبنك ، أو اعلان لحضور جلسة ، أو
بروتستو أو اعلان حجز أو بيع ٠٠٠ يعنى أن سنة ١٩٢٧ التى
مرت على الناس بسيطة كانت على دماغ العبد لله كبيسة
بشكل ... الله لا يورى عدو ولا حبيب !

وفى شهر فبراير من العام المذكور اجتمع حضرات الدائنين
الاماجد ، وأنشئوا ما يشبه نظام صندوق الدين ، وانتخبوا
من بينهم السيدة « ك » لتكون بمثابة متصرفة ، أو قيمة ،
أو وصية على العبد لله ، فكانت تعطينى فى مساء كل يوم
سبعين قرشا فقط لمصروفى ، ثم تجمع بقية الايراد لتضعه
فى الصندوق لحساب الدائنين وكل سنة وانتم طيبين ؟

عودة الى كشكش

وسدت السبل فى وجهى من كل ناحية ، فلا أنا واجد
انصافا من الناس ، ولا عرفانا بالجميل ممن كانوا حولى .
وفيما أنا على تلك الحالة زارنى أحد دائئى وتحدث الى ، لا
فى طلب ماله ، بل فى نصيحة رأيت أن أعمل بها . ذلك أنه
قال لى : « قوم حط دقنك والبس جبتك وقفطانك ياسى
كشكش ، وانت تلقى الفلوس هلت عليك تانى يا اخينا ! »

ودارت فى مخى هذه النصيحة ، واحتلت جوانب راسى
وان كنت واثقا أن مصدرها لم يكن حب الخير للخير ، بل للحصول
الدائن على دينه ! وفيها ايه يعنى ؟ ماتجرب حظك تانى ياوله !

وفكرت في زميلي القديم بديع خيري . فرأيت اننا اذا
افترقنا حل البؤس والشقاء بكليتنا ، واذا اجتمعنا كان الخير
في ركابنا وضحكت الدنيا لنا . فلماذا لا نضم الشمل ونشارك
في زغزغة الدنيا مع بعض . . يمكن ربك يفرجها ؟

ووضعت يدي في يد الصديق العزيز بديع ثانية ، واستأنفنا
العمل معا بعد ان درسنا نفسيات الجمهور وعرفنا النواحي
التي تنال اعجابه وتبلغ موضع الرضاء منه

اعددنا رواية استعراضية خفيفة اسمها (جنان في جنان)
عهدت في وضع رسوم مناظرها الى الرسام الشهير (لومباردي)
ثم ألفت الفرقة الجديدة وكان من أعضائها كمال المصري
(شرفنطح) والقصري وحسين ابراهيم والتونى وجبران نعوم
والفريد حداد وسيد سليمان . واخترت لادارة المسرح الادارى
الحازم الاستاذ محمد شكرى ، ولم يكن في هذا الحين قد
حصل على لقبه الحالى (بابا) فلما ناله بجدارة عرف كيف
يكون حازما حقا وكيف يحمل الكل على احترامه بحيث لم
يكن احد يجسر على الضحك « على بابا » !

اما الممثلات فقد تخيرتهن جميعا من الاجنبيات . وأخرجنا
بعد « جنان في جنان » ، روايتى « مملكة الحب » و « الحظوظ »
وفي اثناء عملنا في رواية (الحظوظ) ، تقدمت لى فتاة يونانية
خفيفة الروح ، كانت تتكلم العربية بطلاقة وبلهجة رائعة ،
فضممتها الى الفرقة ، وأسندت اليها دورا في الرواية أدته
كما يجب ، ثم تدرجت في طريق النجاح ، الى ان اشتهر
اسمها بعد ذلك ، وعملت في فرق أخرى غير فرقتي ، وهى
الفتاة كيكى

كانت الفرقة مشاركة بينى وبين مدام مارسيل لانجلو كما
ذكرت قبلا وكان وكيل مارسيل المفوض هو المسيو اصلان
عفيف

رحلة فنية

وكان المرحوم الشيخ عبد الرحيم بدوى (صاحب مطبعة
الרגائب) دائم الاتصال بنا ، وكثيرا ما كان يأتى الى المسرح ،
فيداعبنا بلغته « الصعيدية » القحة ونداعبه نحن بالمثل .
وفى احدى الليالى عرض على أن يستأجر الفرقة لمدة شهر ،
تقضيه فى رحلة تنتقل فى أثنائها بالمدن والبنادر فى بعض
مديريات القطر ، فأحلتة على الخواجه أصلان عفيف لوضع
شروط الاتفاق وامضائها . فقصد اليه وانتهى الامر بينهما
على اجابة تلك الرغبة . وجاءنى أصلان وحده ومعه
(الكونتراتو) وهو يتسم ابتسامة المنتصر الظافر ، واطلعت
عليه فاذا به يقضى بأن يكون ايجار الليلة الواحدة خمسة
وثلاثين جنيها خلاف أجر الفنادق ومصاريف السفر بالقطارات
والسيارات والعربات وشحن الملابس والمناظر ، فان الشيخ
عبد الرحيم بدوى هو الذى يتحملها . الله يسامحك يا أصلان
يا عفيف ! خربت بيت الراجل الطيب فى شربة ميه !! قمنا
بالرحلة وانتهى بنا المطاف فى الاسكندرية بعد قضاء الشهر
فى المدن والارياف ، وجاءنى المرحوم الشيخ عبد الرحيم
« يوحوح » ، بعد ان خسر الجلد والسقط والكوارع كمان ،
وهو يقول : « كده ياريجانى تخربوا بيتى الخراب المستعجل
ده (بتعطيش الجيم) » .. قلت وأنا مالى بس ياعم الشيخ
عبد الرحيم ، مين اللى قالك تتفق الاتفاق المقطرن ده ، عليك
وع الخواجه أصلان يمكن يرق قلبه لحالك ! لكن هو مين ؟
دا أصلان ياعم والاجر على الله

أول محاولة للاقتباس

في كازينو سان استفانو

وفي الاسكندرية تركت الشيخ عبد الرحيم كما تركت الفرقة لاصلان ولمدام مارسيل يعرفوا شغلهم بها . وانتقيت اربعة خمسة ممن اثق بهم من الممثلين ، واتفقت مع ادارة كازينو سان استفانو برمل الاسكندرية ، على أن نعرض روايات قصيرة في كل مساء على المصيفين والرواد . القصد حاجة ناكل منها عيش والسلام . كان الايراد بسيطا على كل حال ، ولكنى استطعت في هذه الآونة ان اتعرف على كثيرين من الكبراء امثال المغفور له حسين رشدي (باشا) ، وحلمى عيسى (باشا) ، وغيرهما من اكابر نزلاء الكازينو ومن الوزراء العاملين والسابقين . وهؤلاء راقهم ما كانوا يشاهدونه من تمثيل الفرقة او « الفريق » ، فطلبوا من مدير الفندق أن أكثر من عرض هذا النوع ، وكان المدير مسرورا جدا حين نقل لى هذه الرغبات ، التى فتحت نفسى ونشطتنى فى عملى . وقد أردت يوما أن أختبر مكانتى عند هذا المدير ، فأطلعته على رغبتى فى العودة الى القاهرة ، ولكنه أصر على البقاء ، والح فى الرجاء ، فقبلت بعد تردد ! واقصد بعد تصنع التردد لاننا يا حسرة كنا نيجى مصر نعمل ايه ؟ والدنيا صيف والبلد مشطبة والتياترات قاعدة تنش . . . اقول بعد محادثتى مع المدير ، عرض على ان انزل بالفندق (يعنى بسان استفانو)

ولم ينتظر منى مدير فندق سان استفانو جوابا ، بل تناول التليفون وطلب وندسور ، ورجا ان ترسل فى الحال حقيبتى ، وعزالى ، ومعها فاتورة الحساب !

وفى اليوم نفسه كنت احتل غرفتى الجديدة فى سان استفانو العظيم ، كما يفعل العظماء والوارثون . . . وماfish فى جيبى ولا ملين

ازدادت حركة العمل فى الكازينو ، وازداد اقبال المتفرجين من الطبقات العليا من رجال وسيدات

فرقة فاطمة رشدى

وبعد أن قضيت أياما فى كازينو سان استفانو على خير، وعدت الى القاهرة ، علمت أن خلافا حادا وقع بين السيدة فاطمة رشدى وفرقة الاستاذ يوسف وهبى ، على أثر مشادة بين الاولى وبين السيدة زينب صدقى التى عملت أظفارها فى عنق فاطمة ووجنتيها

وكان ماكان من زوبعة الاستاذ عزيز عيد ضد الفرقة ، وخروجه منها متضامنا مع فاطمة ، لأن الشرف الرفيع لايسلم من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم . والدم الذى أراد اراقته عزيز هو « خرشمة » فرقة يوسف وبهدلتها ، ويمكن فركشتها كمان : ولكن ما السبيل الى ذلك ؟ هو تأليف فرقة على رأسها فاطمة تقول لفرقة رمسيس . . . اقفلى والبركة فى أنا ! ووقع اختيار فاطمة وعزيز على مسرح الريحانى كى يؤدى فيه رسالة الفن ويسويا الهوايل

ولست أريد الاطالة فى ذلك ولا شرح الهوايل التى «سويت» وانما اكتفى بأن اقول أننا اتفقنا على أجر قدره اربعة جنيهات مصرية كأجر يومى للتياترو ، وقد مكثت هذه الفرقة تعمل على مسرحى اكثر من شهر ونصف شهر . واذا كان القارىء الكريم قد تناول منها أجر يوم واحد ، اكون أنا تناولت كذلك . لكن

مأملهش . . كله عند الله ! ومن قدم خير بيداہ التقاه !
وفي نوفمبر من عام ١٩٢٧ ألفت فرقتى ثانيا ، وبدأت موسما
جديدا على مسرحى بعد أن وضعت بمعاونة الزميل العزيز بديع
خیری رواية الافتتاح باسم « علشان بوسه » ، وأعقبته رواية
« جنان فى جنان » ، ثم « آه م النسوان » و « أبقى اغمزنى » .
وقد كنا نحاول فى خلال ذلك أن نتخلص شيئا فشيئا من نوع
الريفىو « الاستعراض » ، ونتعمق قليلا قليلا فى الكوميدي
الاخلاقى . وكان يبهجنى جدا أن تنجح محاولتنا ، وأن نسترد
جمهورنا العزيز ، الذى أقبل على نوعنا اقبالا شجعنا على السير
فيما اعتزمنا من خطة

وفي صيف ١٩٢٨ كان الوجيه صادق أبو هيف يدير فى
الاسكندرية كازينو زيزينيا ، فاتفق معى على أن تمثل فرقتى
بالكازينو بضعة أسابيع فانتقلنا الى الثغر على الاثر وبدأنا
العمل

صلح مع بديعة

وهنا أقف لحظة لاشير الى حادث له أهميته . ذلك أن بديعة
كما سبق أن قدمت كانت تعمل بصالتها فى عماد الدين . وبديعة
ماهرة فى كل أساليب الدعاية ، ويظهر أنها شعرت فى ذلك الحين
أنها فى حاجة الى أن تثير حولها ضجة ، وأن يدوى اسمها فى
كل مكان . وفى ذلك من الدعاية « المجانية » لصالتها ولعملها
مافيه

فى أحد الايام دعتنى عائلة من كرام السوريين فى الاسكندرية
الى وليمة عشاء ، فلبيت الدعوة شاكرا ، وأدهشنى أن أرى
بين المدعويين السيدة بديعة مصابنى (وقد كان الخلاف بيننا اذ
ذاك بالغا أشده) ، كما كان بين المدعويين أيضا الاستاذ جورج
أبيض والسيدة دولت

وجرى حديث على المائدة بين الجميع بضرورة عودة المياه الى

مجاريتها بين بديعة وبينى ، وأن كلا من الطرفين فى حاجة الى زميله ، وأن الحياة لأمعنى لها اذا اعتورها مثل هذا التبعاد البغيض ، وان . . وان الى آخر (الانات) التى قيلت فى تلك الليلة والتى أنتجت ثمرتها بالصلح الذى كان يبغيه أهل الخير ووسطاؤه

وعادت بديعة الى الفرقة من جديد فأعدنا رواية تكون هى بطلتها ، واهتمنا بوضع ألحان الرواية ، فأخذنا للتلحين موسيقيا بارعا ، هو الاستاذ زكريا أحمد ، الذى أبدع كل الابداع ووفق تمام التوفيق . أما الرواية فكان اسمها « ياسمينة » ، وقد نجحت بالفعل بديعة كما كان مأمولا . وأخرجنا عقب « ياسمينة » رواية أخرى اسمها « أنا وانت » ، وبعدها رواية ثالثة اسمها « علشان سواد عينها »

ورأيت أن أخرج بعد ذلك رواية استعراضية فأعدنا « مصر فى سنة ١٩٢٩ » . .

وكما تقضى سنة الاشياء وطبيعتها ، دب الخلاف بين بديعة وبينى مرة أخرى ، وتجددت أسباب النزاع . وأصبح الصفاء القديم خبرا يروى . فعاد الوسطاء ومحبو الوفاق يجهدون أنفسهم فى إزالة ما اجتاح النفوس من موجات الاستياء ، ولكن كانت محاولاتهم فاشلة ، فذهبت مجهوداتهم ادراج الرياح . ورأى كلانا (بديعة وأنا) ان حالة كهذه مستعصى علاجها على « نطس » المصلحين ، فاتفقنا فيما بيننا على وضع حد لكل شيء ، وذلك بفصم عرى الحالة المعيشية ، أما مابقى من معانى الوفاق والمجاملات ، فهذا ما يظل بيننا على حاله . ولقد كان اتفاقنا هذا على يد محام ، وبذلك انتهى كل شيء ، ولم يعد هناك سبيل للشقاق أو الوفاق

بلا حمص

وعودة بسيطة الى الوراء كى أبين ماكنت فيه من حالة

لا تسر . ذلك انى كنت فى اثناء هذا الموسم وقبله غارقا
« لشوشتى » فى ديون شرحت فيما مضى اصولها وفروعها ،
وقلت ان الدائنين قد اختاروا السيدة (ك) بصفة (سنديك)
ووصية على فى وقت واحد ، فكانت تتناول عن الدائنين أقساط
الدين وتعطينى مصروفا يوميا ، ولقد زاد على ذلك مرتب بديعة
مصابنى وقدره خمسة جنيهاً فى اليوم

أنهينا الموسم على خير ، وكانت نتيجه أن سددت الديون
بمهارة الست (السنديك) ، وان كنت أنا قد خرجت من
الموسم بلا حمص - كما هى العادة - وأنا أحمد الله الذى لا يحمده
على مكروه سواه

شعرت أن صحتى فى حاجة الى العناية ، وانه لا بد لى من
الالتجاء الى الهدوء بعض الوقت . ولكن أين لى ذلك والجيب
مافيهش ولا مليم على رأى الصنایعية المساكين ! تقدمت الى
مقام الست المبجلة الوصية المحترمة ، طالبا من الله ، ولا يكثر
على الله ، ثلاثين جنيهاً بس علشان اشم هوا فى لبنان ، والا فى
اسكندرية . وتفضلت ، الله يسترها ولا يوريهاش مكروه فى
عزيز لديها ، تفضلت وسمحت باقراضى هذا المبلغ ، بعد أن
أقلت على محاضرة لا بأس بها فى مبادئ الاقتصاد وعلوم التدبير
المنزلى واللوكاندجى ! وكان ظريفاً منها أن تختم هذه المحاضرة
النفيسة ، بنصيحة نفيسة برضه ، هى أن آخذ بالى من صحتى
أحسن مش كويس . ولعل هذه هى النتيجة الوحيدة التى
عملت بها من بين الثلاثين أربعين نصيحة التى ألقته على المدام
(السنديك)

وقد نصح لى البعض بادخال عنصر الطرب فى الفرقة . وعملت
بالنصيحة ، عندما تقدمت لى فتاة من الاسكندرية اسمها
(هدى) ، واهتممت بأمر اظهارها ، واتفقت مع الموسيقى الكبير
الاستاذ محمد القصبجى على أن يضع لها الحانا توافق صوتها ،

وتعدها للجمهور أمام الجمهور بالمظهر الذى كنا نوده ونعمل له
ووضعت بالاشتراك مع الزميل العزيز بديع خيرى أيضا
رواية « نجمة الصبح » ، وقد أسندت دور البطولة النسائية
فيها الى مطربتنا الجديدة (هدى) . وقد نجحت (أقصد
الرواية) نجاحا كبيرا يكفى لوصفه أن أقول بأنه مايزال الى
اليوم حليفا لها فى كل مرة تعرض فيها ، لامن فرقتى وحدها ،
بل ومن الفرق المتجولة التى تستحل - كده بالعافية - أن تغير
على روايات الغير فى وضخ النهار ، واللى ما يعجبوش فأمامه
البحر يملا منه معدته كما يشاء ، مادام مفيش فى البلد
قانون يحمى المؤلفين من نشالى الروايات وخاطفيها .. عينى
عينك !

محاولة الاقتباس

وبعد أن أخذت هذه الرواية قسطها وأكملت عدتها ، وعرضت
على الجمهور وقتا طويلا ، جاء أوان التفكير فى غيرها ، فاتجهت
نيتى الى اقتحام ميدان الاقتباس ، وكنت قد قرأت رواية
فرنسية أعجبتنى . وما أن أطلعت زميلى بديع على نيتى
حتى ساهم واياى فى خطتى ، وبدأنا فى الحال ، فلما انتهينا
اخترنا للرواية اسم « اتبحج » ، ولما كانت روايتنا هذه هى
اول محاولة لنا فى الاقتباس ، فقد وضعت يدى على قلبى
وخشيت أن يكون نصيبها من الجمهور فشلا يعود بنا سنوات
الى الوراء

كانت الرواية من النوع الكوميدي الاخلاقى ، وكان خوفى
عليها ناشئا من كثرة حوادثها وضرورة متابعة المتفرج لهذه
الحوادث بانتباه تام ، ومزيد من العناية والاهتمام ، بحيث اذا
فاته شيء ولو قليل ، ضاع منه كل شيء ، وهوت الرواية من
اساسها ، دون أن يكون لموضوعها دخل فى هذا السقوط

وبعد حمد الله والثناء عليه أقول أن الجمهور قابل روايتنا

الجديدة مقابلة لم اكن انتظرها ، وقد شجعتنى اقباله هذا على ان اقدم له انواعا جديدة ، بمعنى ان اعرج بين وقت وآخر على الفودفيل ، ثم استأنف الكوميدي الذي كان رائدنا على كل حال . وتنفيذا لهذه الخطة اخرجنا رواية « ليلة نفنفة » فنجحت هي الاخرى

بعد ذلك قامت في مخنا - بديع وأنا - ان نطلع على الجمهور برواية استعراضية ولم يطل بنا التفكير حتى وضعنا رواية « مصر بباريس نيويورك » ، وقد جاءت والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه أسخف ماجادات به القرائح البشرية للدرجة كنت أشعر معها وأنا على المسرح بأننى أجبر الجمهور على الاستماع بطريق الفصص تماما ، كما يفعل الطبيب حين يناول مريضه شربة الملح الانجليزى ! ومرت أيام هذه البتاعة وبلاش الرواية ويسرنى أن أقول بأن الجمهور ونحن معه قد نسينا ومحونا من أذهاننا ذكراها

نحن الآن في عام ١٩٣٠ ولا مانع من ان أقف لحظة لا قدم للقراء شخصية جديدة

الاستاذ طنبجة

عرفت أثناء رحلتى في فلسطين وسوريا شابا من طرابلس الشام اسمه (ناجى صبيح) ، كان اذ ذاك مندوبا لجريدة لسان العرب ، فلما عادت الفرقة الى مصر ، وراحت أيام وجاءت أيام ، وأصبحنا في عام ١٩٣٠ كما قدمت ، واذا بى أرى هذا السيد ناجى صبيح وقد ترك الصحافة وجاء يخطب ود الفن

وضممته الى الفرقة ، لا ممثلا لاسمح الله ولا موسيقيا أو مؤلفا ، بل وكيلا للإدارة . وسواء اظهر في عمله كفاءة أم لم يظهر ، فقد كانت فيه ناحية تعجبني والسلام . ذلك انه كان كثير التحدث ببطولته ، وبما كان يرويهِ من حوادث البطولة

والشهامة التى وقعت له أثناء وجوده جنديا فى الجيش !
كان ناجى يعقب على كل نادرة أو قصة أو حكاية بجملة
مأثورة ، هى أنه أخرج الطبنجة من جيبه . واخبط رآح خاطف
روحه . فمثلا يقص علينا أنه طلب فنجان قهوة من الجرسون ،
فتأخر هذا قليلا فى تنفيذ المطلوب « فلم يكن منى الا أن أخرجت
الطبنجة . واخبط . رحت خاطف روحه ! »

وفى أحد الايام جلس ناجى يلعب النرد (نرد ايه ياخويا
والطاولة جرى لها ايه ؟ سيبك ياشيخ) . جلس يلعب الطاولة
مع الممثل كمال المصرى المعروف باسم شرفنطح . وهو معروف
الى جانب ذلك بأنه يخاف من خياله . وكثيرا ماكان ينصت
الى الجملة اياها ، أو اللازمة التى لا تفارق ناجى ، فيرتجف
هولا ، ويخشى أن يعملها ناجى بعقله ، ويخبطه طبنجة من
طبنجاته يخطف فيها روحه ، علشان خاطر دوش أو شيش
جهار أو دوسه يختلفان عليها والا حاجة ! نهايته لعب الاثنان ،
وكان أن وقعت الواقعة ، واحتدم الجدل بين اللاعبين ، فلم
يكن من شرفنطح الا أن تشجع « وبرق » عينيه الواسعتين ، ولعب
حاجبيه وسأل ناجى قائلا : « الطبنجة معاك دلوقت والا مش
معاك ؟ » . . وأجابه هذا بأنها معه ، وفى الحال أقفل شرفنطح
الطاولة بشدة وقال له : « طيب اخلص اعمل معروف واخطف
روحي بسرعة » ، وانتقى بعد ذلك من الجمل المستوية ماختمها
بقوله : « ياخويا انت من يوم ماوصلت مصر ، وانت شطبت
على ارواح عباد الله . . شفهي كده ، اتفضل دلوقت اخطف
لك روح واحدة تحريري ولو بصفة بروفه ! »

إلى الأقطار الشقيقة

الى الاقطار الشقيقة

وبعد أن مكث السيد ناجي صبيح يعمل معنا حيناً ، تناول
أجرة العودة الى القطر الشقيق وما كاد يستقر هناك ، حتى
وصلتني منه رسالة يستحثني فيها على السفر فوراً مع أفراد
الفرقة ، للقيام برحلة في سوريا ولبنان . ولم ينس السيد
ناجي أن يفهمني بأن في انتظارنا هناك سمنا وعسلاً ، وأن الفرصة
سائحة ستفلت من أيدينا إذا لم ننتهزها عاجلاً . وانما الذي
نسى الإشارة اليه هو أنه سوف يخبطنا طبنجة يخطف بها
روحنا إذا امتنعنا عن السفر !

وصادف أن حضر الى مصر في ذلك الحين الوجيه (خضر
النحاس) ، وهو من أنشط رجال الاعمال في الاقطار الشقيقة ،
وقد وافق على أن يتعهد بنشاطه المعروف رحلتى ، وتلطف
فدفع مبلغ مائتى جنيه كعربون أو كدفعة أولى تحت الحساب

وقمنا الى فلسطين أولاً فنجحنا فيها والحمد لله ، ثم واصلنا
السير الى لبنان وسوريا ، ولكن للأسف لم نر ما كنا نأمل فيه
من نجاح مادي ، اذ اقتصر الامر على النجاح الادبي ، وهو وحده
« ماياكلش عيش ! » والغريب اننا كنا نرى التياترو مليئاً
بالجماهير ، فاذا عدنا للايراد تبين انه لا يزيد عن العشرين جنيهاً
أو ماحوالها صعوداً وهبوطاً

وحتى لا أطيل في شئون هذه الرحلة اكتفى بالقول اننى عدت
منها مديناً للسيد خضر النحاس بالعربون الذى دفعه ، وهو

ال ٢٠٠ جنيه ، ولعله يستحق منى أن أسجل له في هذا المقام فضلا لست أنساه ، ذلك أن هذا الدين ظل في عنقي أمدا طويلا ، بحيث لم يسدد الا بعد مدة طويلة . وهذا ما يحملنى على أن أجدد للسيد خضر شكرى ، لانه يا سادة يا قراء عمل بأصله صحيح

عملى فى السينما

وعدنا من رحلة الاقطار الشقيقة للاستعداد لموسم سنة ١٩٣١ . وبينما أنا فى التفكير زارنى استيفان روستى ومعه المصور السينمائى المعروف (كيارينى) ، وعرضا على الاشتراك معهما فى اخراج فيلم (صامت) الا أننى اعتذرت لهما بأن أعمالى المسرحية من الكثرة بحيث تحول بينى وبين مايرميان اليه ، ولكنهما لم يقنعا بهذه الاجابة . وكلما أبديت لهما الاعتذار ، زادا فى الاصرار . وأخيرا قبلت ، واتفقنا على اخراج فيلم أطلقنا عليه اسم « صاحب السعادة كشكش بك »

وقد كان غريبا أن نبدأ العمل فيه دون أن نضع له فكرة معينة ، أو نكتب له سيناريو محدد المناظر والوقائع . وكل ما هنالك أننا كنا نخرج فى السادسة صباحا دون أن ندرى ما سنفعل ، حتى اذا جلست لتركيب لحية كشكش ، بدأت أفكر فى المناظر التى نصورها وفى الحوادث التى نمثلها . فاذا انتهيت من تركيب اللحية أكون قد انتهيت من تفكيرى فنبدأ فى التنفيذ ، يعنى فى التصوير

وتكلف فيلم « صاحب السعادة كشكش بك » أولا عن آخر مبلغا وقدره أربعمائة جنيه مصرى فقط لا غير . يعنى أننا أخرجناه بتراب الفلوس ، ومع ذلك فقد نجح وجلب فلوس ، وأقبل الجمهور على مشاهدته اقبالا لم يكن يتوقعه أكثر الناس تفاؤلا

مازق حرج

وافتحنا موسم سنة ١٩٣١ التمثيلي برواية « أموت فى كده » . وفى هذا الحين بدأت الحكومة (تحت ضغط الراى العام) تهتم بالمسرح ، فتألفت فى وزارة المعارف لجنة من أفاضل العلماء والادباء ، وكانت مهمتها الاشراف على مآثرجه المسارح من الروايات ، وتخصيص اعانات تتناسب مع مجهود كل فرقة ، وأثرها فى تقدم هذا الفن فى البلاد

ندع هذا جانبا لنذكر حادثة طريفة وقعت حين اعداد رواية « أموت فى كده » . كان المرحوم اسماعيل (بك) شرين مديرا لإدارة المطبوعات ، وكان يرأس لجنة ينحصر اختصاصها فى مشاهدة تمثيل الروايات قبل عرضها فى المسارح ، وكان رحمه الله من أشد المعجبين بفرقتى ومجهودات العبد لله المتواضعة فى خدمة فن التمثيل . ولما كنت لا أجد غضاضة فى التصريح بنقائضى وعيوبى ، فأننى أعترف بأن الفصل الثالث من كل رواية جديدة تظهر على مسرحى لا يتم تأليفه الا فى يوم ظهور الرواية . وادينى عقلك بقى . . . متى نستطيع اجراء البروفة له مثنى وثلاث ورباع ومش عارف كام ؟!

فلما انتهينا من بروفات الفصلين الاول والثانى على ما يرام بدأنا (بديع وأنا) ، نضع فكرة الفصل الاخير ، ونرتب حوادثه ، وكنا قد حددنا يوم ظهور الرواية ، حتى اذا جاء الموعد لم يكن الممثلون قد رأوا أدوارهم فى هذا الفصل ، بل لم أكن قرأته لهم . وفى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم شرفت لجنة ادارة المطبوعات المسرح ، وعلى رأسها المرحوم شرين (بك) .

ومثلنا أمامها الفصل الاول على ما يرام ، وتبعه الفصل الثانى على ما يرامين : كل ذلك واللجنة مغتبطة مستريحة . واسدل الستار وجاء اوان عرض الفصل الثالث ، وهو على

ما وصفت ، فما العمل ؟ يقولون في الامثال ان الحاجة تفتق الحيلة ، فلتسعننا الحيلة اذن ! توكلنا على الله ورفعنا الستار بين استحسن السادة الاماجد أعضاء اللجنة ، وابتساماتهم العريضة وأذهانهم المهيأة لسماع بقية ما رأوا من فكاهات الفصلين السابقين

وكان حسين ابراهيم يمثل دور امرأة من النوع « القباقيبى المصفح » ، فلما رفع الستار ظهر حسين على المسرح يتمخطر في الملاية والبرقع ، وما كاد ينطق جملة واحدة حتى سقط مغشيا عليه ، وتقدمنا جميعا لاسعافه ، وشاركنا فى هذا الاسعاف أعضاء اللجنة ، جزاهم الله عن المروءة كل خير ! ولم يكتفوا بهذه المعاونة الشخصية ، بل خرج واحد منهم يعدو فى الخارج باحثا عن طبيب . ورأى المرحوم شرين (بك) ألا يرهقنا بتمثيل الفصل الثالث أمام اللجنة ، مكتفيا بالفصلين الاول والثانى ، وتفضل رحمه الله بالتصريح بالرواية كلها ! ولم انس أن أشدد عليه فى التريث لحظة حتى يفيق حسين ابراهيم ، فنستأنف التمثيل ! ولكنه شكر لى ذلك ، ونصحنى أن نذهب لنستريح بضع ساعات الى موعد التمثيل مساء !

وخرج رحمه الله مع أعضاء اللجنة ، وتركونا - لا للنوم والراحة - لاستئناف الشقاء واجراء بروفة الفصل الطازة ، وليس القارىء بالطبع فى حاجة الى افهامه أن حسين ابراهيم افاق فى اللحظة نفسها التى غادرت اللجنة فيها المسرح !

لجنة تشجيع التمثيل

قلنا ان وزارة المعارف فكرت فى تشجيع التمثيل اذ ذاك بمنح اعانات للفرق ، ولذلك كانت اللجنة التى يرأسها الاستاذ العشماوى ، بين أعضائها الاساتذة الادباء مصطفى عبد الرازق ، وطه حسين ، تزور المسارح مرة فى الاسبوع لتشاهد رواياتها وتحكم على قيمتها الفنية

وكان مسرحى من بين المسارح التى تتشرف بزيارة هذه اللجنة ،
وكم سمعت من حضرات أعضائها، وخاصة الدكتور طه حسين
كلمات الشناء والاعجاب ، وكيف اننا نستحق أكثر العطف
والتقدير . وزاد الدكتور على ذلك قوله أنه يلمس الصدق فى
رواياتنا ، ومما شاة الطبيعة دون خروج على أوضاعها ، أو مغالاة
فى تصويرها ، ذلك بينما يسمع عند غيرنا ألفاظا جوفاء كالطبل
صوتها عال ، جوفها خال

وكان أن نلت من المبلغ المخصص فى ميزانية المعارف لتشجيع
التمثيل فى ذلك العام ، ثلثمائة وخمسين جنيها ، وكان عدد
الفرق التى منحت مكافآت أربع ، كانت فرقتى الثالثة من
بينها ، حسب الترتيب الذى وضع للمكافآت ! وماله معلش،
برضه رضا ، لان هذه كانت المرة الاولى التى أحسنا فيها
تقديرنا من الحكومة

على أن أهم ما سررت له هو أن ممثلى فرقتى فازوا جميعا
برضاء اللجنة ، ونالوا كلهم مكافآت مالية ، بنسبة لم ينلها
زملاؤهم فى الفرق الأخرى . وتناولت الثلثمائة وخمسين
جنيها ، وكنت قبل ذلك قد أعددت كشفا بأصحاب الديون
المستحقة على ، وقيمة هذه الديون ومواعيد الاقتراض، وشروط
السلفيات ، وكيفية التسديد ، وما الى ذلك من أمور أخرى .
ورحت أسدد بعض هذه الديون بقدر الإمكان ، بعد أن راجعت
النظريات الاقتصادية القديمة ، التى كنت أسمع بها أيام
اشتغالى فى البنك الزراعى ولا أعمل بها !

على مسرح الكورسال

وبقى لى من المكافأة - بعد تسديد المستحقات - مبلغ ضئيل
استعنت به على افتتاح موسم صيفى فى كازينو الفانتازيو
بالجيزة أشكر الله كثيرا على نجاحه كما كنت أقدر وأتوقع .
وانتهى موسم الصيف وكان فى نيتى أن أعود الى مسرحى فى

عماد الدين ، لولا ما حدث من سوء التفاهم بينى وبين صاحب الملك ، فقد كنت أستأجر منه ذلك المسرح الضيق الصغير بمبلغ ألف جنيه فى العام ، مع أننى كنت أعمل به ستة أشهر سنويا

ألغى التعاقد اذن بينى وبين صاحب الملك (المسيو عاداه) ، ونظرت حولى باحثا منقبا عن مكان أعمل به ، الى أن عولت على استئجار مسرح الكورسال من الخواجه دلبانى ، وكان اذ ذاك فى موضع عمارة عدس ، التى تقع الآن عند ملتقى شارعى الالفى وعماد الدين . تعاقدت مع المسيو دلبانى ، وبقيت مهمة انتقاء رواية الافتتاح . فاجتمعت لجنة التأليف المكونة من شخصين لا ثالث لهما ، وهما محسوبكم كاتب هذه السطور ، أو الاحرف زى ما يعجبك ، والثانى زميله وصديقه وعزيزه الاستاذ بديع خيرى

اجتمعت اللجنة وتناقش «الاعضاء» فى الموضوع الذى يقع عليه الاختيار ، وهل يحسن أن يكون من نوع الكوميدي أو الريفى أو الفودفيل . . أو . . أو . . الخ وطرح أحد الاعضاء - وهو العبد الله - فكرة نالت موافقة «الاعضاء بالاجماع» ، والاجماع هو بديع وحده طبعاً ، لاننى لم أقترح ولم أصوت ، بصفتى صاحب الاقتراح

كان قد ظهر فى فرنسا أديب شاب اسمه (مارسيل بانيول) وضع رواية أطلق عليها اسم بطلها (توباز) ، واختار له أن يكون مدرسا بسيطا فى احدى المدارس . . . التى مش ولا بد

قرأت هذه الرواية وقرأت ما استقبلت به من النقد ، وعرفت أنها ترجمت الى جميع اللغات الحية ، ونجحت فى البلاد الاجنبية نجاحا لم تصادفه رواية قبلها ! ولذلك اقترحت أن نقتبسها ونخرجها على مسرحنا ، ونلت موافقة «الاعضاء»

بالاجماع كما تقدم

وانى لأذكر أننا قضينا فى مهمتنا هذه (بديع وأنا) أسعد لىالى التأليف التى مرت بنا ، وكنا كلما انتهينا فى الليل من اعداد جزء منها ، قرأناه للممثلين فى الصباح فأبدوا كبير اعجابهم ومزيد استحسانهم

ادينى عقلك

أتممت وزميلي بديع اقتباس رواية (توباز) وأطلقنا عليها اسم « الجنيه المصرى » . ومع أننى أثناء قراءتها لمثلنى الفرقة كنت أشعر بدلائل الاعجاب ترتسم على وجوههم ، الا أننى كنت اذا خلوت ببديع ، أصارحه بخوفى على الرواية ، واشفاقى من أنها لا تنال شيئاً من اقبال الجماهير ، أو من الاعجاب بها ، لاسباب شتى تتراءى لى !

ولعله من المناسب فى هذا المقام ، أن أذكر بأن ادارة المطبوعات كانت تضم فى ذلك الحين بين موظفيها طائفة وقاك الله شرها . كانت هذه الطائفة تتمتع بعقليات ممتازة ! وقاك الله شرها برضه ، واليك عينة من المضايقات التى كان يسببها لنا أولئك السادة المراقبون

كان المنظر الاول من الرواية عبارة عن فصل فى احدى المدارس الاولى أو الابتدائية ، فلما أرسلنا الرواية الى ادارة المطبوعات لمراجعتها قبل تمثيلها ، أشار أحد حضرات المراقبين بأن فيها نقدا جارحا لمدرسة أميرية ! ومن أين جاءك يا سيدى ان مدرستنا أميرية ؟ وهل ورد على لسان أى واحد من الممثلين أية كلمة يشتم منها تعيين أو تحديد أو حتى تمييز نوع هذه المدرسة ؟ أبدا والله العظيم !

قال المراقب : « صحيح مافيش ما يثبت ، ولكن لا بد من ان تشيروا الى ان المدرسة أهلية وليست أميرية » . . طيب حاضر . . . على عينى ورأسى ! وتبعت ذلك أن سحبت القلم من

جيبى وكتبت ما يأتى :

(ملحوظة) هذه المدرسة أهلية وليست أميرية !! .

وبذلك استراح المراقب ، ولم أخسر أنا شيئاً لان هذه الملحوظة لم تنقص من الرواية شيئاً ، ولم تؤثر فى شيء ، لانها مجرد تسجيل فى خانة الملحوظات ، ولن يتفوه بها أى ممثل فوق خشبة المسرح ! ولكن انظر ماذا تكون حالتى اذا نوقشت فى مثل هذه الملحوظات كل يوم عدة مرات لا مرة واحدة

سخرية وزراية !

قلت اننى اقتبست مع زميلى بديع خرى رواية « توباز » وأطلقنا عليها اسم « الجنيه المصرى » وافتتحنا موسسماً بالكورسال ، وقدمنا لجمهورنا هذه الرواية المقتبسة . ولا تنس اننى وضعت قبل رفع الستار يدي على قلبى أتحنس خفقاته بعد أن سلمت أمرى لله من قبل ومن بعد

كان ايراد الليلة الاولى ثلاثين جنيهاً ، ثم تقهقر فى الليلة الثانية الى ستة جنيهاً ، وبعدها أربعة ثم ثلاثة ! شايف التعاديل ! ثلاثة جنيهاً ! وأين ؟ فى تياترو الكورسال الذى كان أكبر وأرحب تياترو فى مصر ، يعنى ان الزبائن الذين جادوا علينا بالجنهات الثلاثة ، ماكانوش باينين فيه ! فكان ذلك صدمة لنا وضربة قاصمة لجمهورنا من ناحية

وأريد أن أقرر فى هذه المناسبة اننى تلقيت بعض كتب التقدير والتهنئة من أقلية صغيرة من حضرات الادباء والمثقفين ، الذين راقت الرواية فى نظرهم ، أو الذين اطلعوا من قبل على أصلها الفرنسى . ولكن أين لمثل هذه الأقلية أن تظهر أمام تيار الاغلبية الجارف . الذى ثار فى وجه الرواية ووقف منها موقفاً . . . ربنا ما يورى عدو ولا حبيب !

ولما لم تفلح الرواية فى القاهرة ، أردت أن أرى أثرها فى غيرها . فقصدت الى المنصورة ، ولكن شعبها - الله يصبحه

بالخير - لم ير فيها غير ما رآه القاهريون ، بل قل انهم كانوا
شرا عليها من زملائهم هنا . فقد قابلوها بمقابلة كلها هزؤ
وزراية واستخفاف ! وانى لا ازال احتفظ الى اليوم بخطاب
وصلنى من طالب بالمنصورة ، يخلع على فيه من النعوت أشنعها
ومن الشتائم أقذعها ، وهو فضلا عن ذلك يحذرني العودة الى
المنصورة بعد هذه « العملة » السوداء ! والعملة هى بالطبع
تمثيل رواية « الجنيه المصرى » ! وانسدت فى وجهى السبل ،
وانهار الامل بعد أول محاولة قصدت اليها ، فجلست قبالة
بديع وتركنا لأفكارنا العنان ، عسى الله أن يفتح علينا بالفرج
بعد الضيق

انتقام

الرواية قطعة فنية رائعة ، لا فى ترتيب حوادثها فقط ، بل
وفى المنطق السليم الذى عولجت به الوقائع وانتهت اليه
النتائج ! فما الذى حاق بالرواية يا ترى ؟ وما الذى أنزلها
الى هذا الدرك فى نظر جمهورنا ، الذى شهدنا له بالتفوق فى
الادراك والسمو فى الفهم ؟

لم أدر علة ذلك ، وان كنت أستدرك فأذكر اننا أعدنا فى
الموسم الاخير (أى فى هذا العام) تمثيلها على مسرح ريتز ،
كتجربة نرى من خلالها هل لا تزال حافظة مكانتها المقتدلة فى
نفوس الجمهور ؟ أم أن الافكار تغيرت نحوها ؟ وقد راعنا انها
نجحت نجاحا لم تكن نتصوره ، بل لم تكن نقدره

ما علينا . نعود الى أيام زمان فأقول اننا حين يئسنا من
« الجنيه المصرى » ، هدانا التفكير الى طريق فيه شىء من اللعب
على الجمهور ، بل قل من الانتقام منه . ذلك أننا جمعنا بعض
الراقصات وأعدنا جملة مشاهد فكاهية ، حشرنا بينها عدة
نكات وهزليات ، وأطلقنا على هذا العبث أسم رواية « المحفظة
با مدام » ، فجاءت بعون واحد أحد ، أسخف ما وضعنا فى

عالم التمثيل من مهازل ، وأحط «ما جادت» به قرائحنا (بديع وأنا) مدة اشتغالنا بالمسرح !

« المحفظة يا مدام » رواية - كما سميناهما - لا فى العير ولا فى النفير ، فلن تجد لها معنى ولا مغزى ولا .. ولا .. الى آخره .. أو الخ .. زى الناس ما بيكتبوها !

كان هذا حال الرواية فى نظرنا ، أما فى نظر الجمهور ، فقد كان شباك التياترو خير شاهد على التقدير والاستحسان . ويكفى أن أذكر أن الايراد ضرب لفوق ، وبدأنا لأول مرة فى الكورسال نشاهد الارقام القياسية التى حرمتنا رواية « الجنيه المصرى » منها ، بل وأنستنا اياها ! وكم كنت أسمع أناسا يقولون أثناء انصرافهم عقب مشاهدة البتاعة الى اسمها « المحفظة يامدام » : « أيوه .. آدى الرواية والا بلاش .. مش الجنيه المصرى »

اعانة الحكومة

أريد هنا أن أذكر بأن وزارة المعارف كانت تشترط اخراج ثلاث روايات جديدة على الاقل فى أثناء الموسم ، والا فلا اعانة ولا يحزنون وكانت فرقتى قد أخرجت اثنتين فقط ، هما « الجنيه المصرى » و « المحفظة يا مدام » . ولم يبق من الموسم الا شهر أو أقل ! فماذا نفعل وكيف نستطيع تأليف الرواية الثالثة واخراجها وتمثيلها ؟

وفى هذه الاثناء تقدم الينا الاستاذ أمين صدقى برواية جاهزة اسمها « الرفق بالحموات » ، فوزعنا أدوارها وأسرعنا فى تدريب الممثلين وأخرجنا الرواية ، ومع ذلك فقد عاشت أسبوعا واحدا لأغير ! . وكان أن منحتنا لجنة المعارف الدرجة الرابعة ، أى أقل مبلغ منحتة لفرقة فى هذا العام . وبذلك قد تقهقرنا فى نظرها عن العام السابق وسبحان من يغير ولا يتغير

وانتهى موسم ١٩٣١ ، وأسدلنا الستار على آخر لياليه .
ورحت أعاود بفكرى ما انتابنى فيه ، فتراءى لى أولا ما كان
من قسوة الجمهور فى معاملة « الجنيه المصرى » ، وما كان من
الحكومة اللى أنزلتنى لجننتها درجة بعد درجة اذ كان أملى معقودا
على التقدم درجات ! أضف الى ذلك ما كنت أحس به من
اضطرابات داخلية يرجع الفضل فى أكثرها الى القلب ، وما
صدم به من فشل فى الحياة الخاصة ، وهو ما كنت أبذل
جهودى فى كتمه عن الناس قاطبة ، محتفظا بآلامه لنفسى
وحدها



في شمال افريقيا

آليت على نفسي أن ألقأ الى الراحة فترة من الزمن ، أستريح فيها لا من عناء الاعداء وألسنتهم ، التي كانت في قوارصها أحد من السيف وأشد من العضب ، ومضت أيام شعرت بعدها أن ميلي الى الجمهور العزيز وحبى له ، يدفعنى الى العودة لمفاجأته . ورغم ما لقيت منه من عنف وظلم ، فان ميلي له لم يتخلله وهن ولا ضعف . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان الشعب سريع النسيان ، فما هي الا أن يغيب عن ناظره الشخص فترة حتى يدرجه في قائمة المنسيين ، وحتى يصبح وكأنه لم يكن بالامس ملء العين والاذن

وكانت هذه العوامل سببا في أن أفكر في العودة الى الظهور سريعا وكان أن تقدمت الى ادارة كازينو الفانتازيو بالجيزة للعمل به شهرا أثناء الصيف ، فمدت يدي مستريحا الى ذلك . ويهمنى هنا أن أقول بأننى نلت من عطف عبد الخالق المذكور (باشا) صاحب الكازينو ومن محبته ومعونته ، ما لا أزال أذكره بالشكر والحمد الوافر . وأمضيت شهر الفانتازيو على خير ما أريد . فنجحت كما أوئل ، وعادت أواصر المودة بينى وبين الجمهور سيرتها الاولى . وكان الذى جرى ما كان . ويادار مادخلك شر

الى المغرب

وفي هذه الاثناء قابلت صديقنا (الاستاذ على يوسف) بعد عودته من بلاد المغرب ، وكان قد رحل اليها مع فرقة السيدة

فاطمة رشدى كدليل أو بالاصطلاح الفنى (امبرزاريو) . .
وراح يصف لى مقدار محبة القوم هناك لفن التمثيل ، وشغفهم
به ، وكيف انهم لا يضمنون بأموالهم فى سبيل مشاهدته . ثم
أضاف الى ذلك اننى اذا قصدت الى بلاد المغرب ، عدت منها
مملوء الوفاض بأموال تحتاج فى حصرها وعدّها الى حنكة
صرافى بنوك العاصمة مجتمعين !

ولقيت أقوال على يوسف منى نفسا « مفتوحة » وجيوبها
« برضه مفتوحة » ! فعزمت عزما صادقا على الرحيل كى أدلى
بدلوى فى دلاء هذه الثروة القريبة المنهل ، السهلة المنال ،
وبدأت فى تأليف فرقتي وكنت اذ ذاك فى حاجة الى مطربة
تقوم بالادوار الاولى فى رواياتى ، وتمثل الادوار التى كانت
تضطلع بها السيدة بديعة مصابنى ، التى خلا محلها منذ عهد
طويل ، فطوى معها كثير من الروايات التى كانت هى البطلة
فيها

وبعد البحث تمكنا من الاتفاق مع المطربة حياة صبرى ،
التى كانت فيما قبل تلميذة لفقيه الموسيقى الشيخ سيد
درويش ، وقام قبلنا الى بلاد المغرب الاقصى (الامبرزاريو)
المحترم على يوسف . وكانت مهمته أن ينشر الدعاية اللازمة
للفرقة ، وأن يقوم بحركة الاعلان الكافى لتعريف الناس فى
تونس والجزائر ومراكش بمكانة الممثلين الذين تضمهم ،
والممثلات اللواتى يعملن فيها . وعليه الى جانب ذلك أن يبيع
الليالى لمن شاء ، أو أن يطبع التذاكر ويوزعها على الراغبين ،
ثم يرسل الينا جانبا من المال ، نستعين به فى الموعد الذى
يحدده

نقول ان على يوسف قام قبلنا ، ومكثنا نحن فى مصر نوالى
عمل البروفات لجميع الروايات ، ونحن نحدث أنفسنا بالخير
الوافر الذى ينتظرنا فى هذه الرحلة العتيدة

المثلة الاولى

وبعد أن قضينا فى البروفات شهرا كاملا ، انقطعت ممثلتنا الاولى (حياة صبرى) عن الحضور ، وبحثنا عن علة ذلك فقلنا أنها اتفقت مع فرقة أخرى ، وانها لن تكون معنا فى رحلتنا المنتظرة ! وما العمل الآن ونحن فى انتظار برقية من على يوسف بين لحظة وأخرى ، يشير فيها علينا أن نقوم توا الى المغرب ؟ ورجونا حياة دون جدوى ، فاضطررنا الى البحث عن غيرها .. وكلما فكرنا فى واحدة كعلية فوزى مثلا ، قيل لنا انها اتفقت منذ يومين أو أسبوعين أو ساعتين مع غيرنا للعمل معهم ، فيسقط فى أيدينا ونعود الى ندب حظنا السيء وبختنا الى زى ما انت شايف !

والآن ، ونحن كالغرقى فى محيط بعيد الغور ، جاءنا من يحمل الينا نبأ يتلخص فى أن السيدة بديعة مصابنى تعرض أن ترافقنا فى رحلتنا هذه ! بديعة ! وماذا يا ترى ساقها الى طلب ذلك ؟

بل ما هو الدافع لها بعد أن هجرت عملنا ، ومضت مدة لم تبشره وایانا ؟ القصد ! فما دامت هى التى تريد ، فلنرد نحن ما يكون ! واتفقنا مع بديعة والخيرة فى الواقع

كيف الرحيل

وسارت البروفات فى طريقها كما كانت ، ومضت مدة كنا ننتظر فى أثناءها أى شىء من على يوسف ، ولكن لم نسمع عنه نبأ ! فماذا حل به يا ترى ؟ واذا كان هناك ما يسوء فهل تبقى أخباره مكتومة مجهولة ؟

هناك مثل انجليزى معناه انه « اذا لم يكن هناك أى أخبار ، فالأخبار خير » طيب صدقنا وآمنا بأن الأخبار خير، ولكن كيف يمكننا الرحيل وليس فى أيدينا حتى أجرة القطار من القاهرة الى بنها ؟ !

ظللنا ننتظر أن يحن علينا (أبو يوسف) بقرشين من « العرابين » التي تسلمها ، ولكن مضت أسابيع وأسابيع ولم نر فيها (ربح يوسف) ولما أكمل في غيابه عنا حوالى الشهرين ، يئسنا من الرحلة ومن اتمامها ، ورحت أفكر فى الطريقة التي اعتذر بها الى أفراد الفرقة ، وأحمل اليهم نبأ حلها شيئاً فشيئاً . وفيما نحن كذلك ، اذا بى أرى على يوسف شخصياً ! على يوسف بنفسه لا خطاب منه ولا برقية !

— ما الذى جاء بك ؟ وما نتيجة عملك ؟

— اننى أتيت الى مصر لادبر المال اللازم لترحيل الفرقة الى بلاد المغرب !

— ما شاء الله . والمال الذى ننتظره من هناك يأسى على ! هل تبخر ؟

— كلا . ولكن مسرح البلدية تسلم النقود ولم يشأ أن يعطينا شيئاً منها حتى تصل الفرقة الى هناك ويروها رأى العين !

البحث عن ممول

وراح الله يمسيه بالخير يبحث هنا وهناك عن ابن حلال يدخل واياه فى هذه العملية ، وكان له صديقان قديمان هما الشقيقان صالح وموريس كريم . وقد حملتهما هذه الصداقة على أن يعثرا لصديقهما هذا على « لقطة » أو زى ماتقول « هدية » فى شخص صديق آخر لهما اسمه الخواجه « جياكومو » . وما كاد على يوسف يلتقى به حتى هيا له البحر طحينة وأفهمه أن قرشه سيتضاعف آلاف مؤلفة ، وأن المليم سيصبح بقدرة قادر ذهب أحمر بعد الرحلة . وان من قدم شئ بيداه التقاه ووضع الخواجه « جياكومو » يده فى محفظته ، فخرجت تحمل ثلثمائة جنيه (جنيه ينطح جنيه) ويسلمها لعلى يوسف قائلاً هذا نصيبى كشريك فى هذه الرحلة . وبعد أن تأكد

أبو يوسف انه يحمل هذا القدر من المال (ضحك في عبه)
على رأى اخواننا المبسوطين ! وعاد الينا وقد تهلل وجهه بشرا،
فأعطانا مما أعطاه الله ، وأبلغنا أنه سيسبقنا الى تونس على أن
نلحق به بعد اتمام بعض الاجراءات الخاصة بالتأشير على
جوازات السفر وما الى ذلك . فودعناه أحسن وداع ، وانتظرنا
بصبر نافذ موعد الرحيل يا حبايب ! وترك الحواجه «جياكومو»
أعماله التجارية بالاسكندرية ، وجاء للقيام معنا الى تونس ،
انتظارا لجمع الاموال الطائلة التى ستدرها الرحلة عليه وعلينا ،
وعلى الناس أجمعين !

وسبقتنا السيدة بديعة مصابنى الى فرنسا لأعمال سينمائية
خاصة ، بعد أن اتفقنا على اللقاء فى معهد مرسيليا . وبعد
أيام قمت أنا على باخرة فرنسية وقصدت مرسيليا تـوآ

أما أفراد الفرقة ومعهم الحواجه « جياكومو » ، والزميل
العزیز الاستاذ بديع خيرى فقد اختار لهم على يوسف قبل
سفره من باب الوفرة والاقتصاد باخرة (على قد الحال) ، تسير
الى الاسكندرية لبورسعيد لبيروت لاثينا .. الى .. الى أن
تصل مرسيليا بعد عمر طويل ! ٠٠ هذا اذا وصلت فى سنتها

الباخرة التائهة

وقامت هذه الباخرة قبل باخرتى بأيام ، وكان المفروض أن
تصل بعدى بيومين ، فلما وصلت انتظرت يوما ويومين وأسبوعا
وأسبوعين ولكن اشتد قلقى اذ لم تصل الباخرة ولم يصلنا
عنها أى خبر !

سألنا فى ادارة الشركة التى تتبعها الباخرة وفى جميع
ادارات شركات الملاحة الكبرى والصغرى كمان ، ولكن للأسف
كنا نسمع جوابا واحدا ، معناه بالعربى الذى يفهمه المعلم
«دودو» وأفهمه أنا وأنت ٠٠ ان العلم عند الله !

طبعا العلم عند الله يا بنى آدم انت وهو ، لكن احنا كمان

عاوزين يكون عندنا علم .. نعمل ايه ؟ لست أحاول شرح
حالتى النفسية وما انتابنى من آلام طيلة هذه الايام
فقد فقدت الامل فى لقاء أعزائى وأصدقائى الذين شاركونى
فى حلو الحياة ومرها ، فلعلت على يوسف ، ولعلت الساعة
التي أشار فيها بهذه الباخرة المقصوفة الرقبة ! ولقيت بديعة
مصابنى ، فحملت معى نصيبا من البحث

وأخيرا وبعد أن كاد اليأس يقطع خيوط الامل الدقيقة ،
عرفنا أن اصابة بالطاعون ظهرت فى أحد ركاب الباخرة بأثينا ،
فأخرجوا الركاب جميعا وحجزوهم فى « كردون » . وكان هذا
سبب التأخير . وبعد انتهاء أيام الحجر الصحى استأنف
الركاب سفرهم الى مرسيليا ، وبينهم زملاؤنا الاعزاء الذين
فرحنا بلقائهم فرحا لا يوصف

وهنا أرى أن أسرد قليلا مما قصوه علينا فى محنتهم هذه .
فقد ذكروا أن الاطباء كانوا يجرون الكشف علينا يوميا ،
وكانوا يأمرونهم بخلع كل ما عليهم من ملابس . أما فى مواعيد
تناول وجبات الطعام .. فقد كانوا يلقون اليهم المأكل من بين
قضبان حديدية ، بحيث لا تلمس أيديهم يد أحد من نزلاء
« الكارنتينا » أو « الكردون » الذى كان محاطا من جميع
نواحيه بالاسلاك الشائكة وخلفها هذه القضبان الحديدية

وأخيرا تونس

والآن نترك باخرة « الطاعون » ونحمد الله الذى نجى
زملاءنا منها ، فنقول اننا أخذنا باخرة أخرى من مرسيليا
الى تونس . ولا أطيل عليك القول ، فأقول اننا وصلنا الى
ثغر « بيزرت » فاستقبلنا أهلها الاكرمون استقبال الفاتحين
ورأينا الموسيقيين يدقون الطبول والزمور ، وشاهدنا مندوبى
الجمعيات الخيرية يحملون الينا الازهار ، والشعراء ينثرون
أمامنا القصائد من كل البحور ، وخطب الترحيب تتلى علينا

من هنا ومن هناك بشكل لم نر له مثيلا من قبل
شاهدت كل ذلك فقلت : اللهم انى أسألك أن تجعل الخاتمة
خيرا ، وأن لا تسئنا يا ربى فى عملنا ، ولا تخيب رجاءنا
يا أكرم الاكرمين

وراحت السكره ثم جاءت الفكرة . كان على يوسف -
وأخ من على يوسف - كان قد استأجر مسرح البلدية فى
تونس لمدة اثنتى عشرة ليلة ، وهى كل الليالى الخالية فيه اذ
ذاك ، لانه استأجر لفرق أخرى بعد ذلك . ولكن الطاعون
قاتله الله ، وتأخير الباخرة أكل علينا أربعا من هذه الليالى ،
لأننا وصلنا متأخرين أربعة أيام عن الموعد الذى قدره على
يوسف

أدى دقة ، أما الأخرى فهى ان الاستاذ أبا علوه . . كان قد
استدان قبل وصولنا مبلغ ألف ومائتى جنيه لتسديد مصروفات
المطبعة والاعلانات والجرائد والتوزيع والمأكل والمشرب ، وقبل
أن نبدأ العمل بوغتنا بحضرات السادة الدائنين وقد شرفوا
قبل وصول أى زبون ، شرفوا لا للفرجة كغيرهم لاسمح الله ،
بل للحجز على ايراد الشباك سدادا لديونهم المستحقة بس ! . .
والله عال . . يعنى جاينين من مصر مخصوص ، وشايفين الويل
وويل الويل فى البر والبحر وفى الطاعون وأثينا علشان
تسد الديون . وان شالله ما حد اكل ولا شرب

زاد الطين بلة

كانت الرحلة منصبة على اثنتى عشرة حفلة كما سبق
القول ، ولكنها رست على ثمان (كما سبق القول برضه) ،
ومع ذلك فان الطين راى أن يزداد بلة أخرى ، وكأن هذا كله
لم يكف ! هذه البلة هى أن سى على راى أن يتبرع للجمعيات
الخيرية فى تونس بايراد أربع حفلات مجانا لوجه الله
وهنا جلس مديرنا المالى (الخواجه جياكومو) على قرافيصه

يندب حظنا اللى مافيش منه • وانى لاذكر جملة ماثورة
خرجت من فمه فأضحكتنا جميعا (وشر المصائب ما يضحك)
جلس جياكومو يذكر صديقيه اللذين ورطاه هذه الورطة
فقال : « يعنى صالح وموريس بعتوا تلغراف لعل يوسف
قالوا له فيه وجدنا بغل نركبه سوا » !

ذلك هو الوصف الذى ارتضاه مديرنا المالى لنفسه ، فجراه
الله عن المروءة كل خير !

كان موقفى فى منتهى الحرج مع فرقة مؤلفة من أربعين
شخصا بينهم ست ممثلات وراقصات ممتازات ، وليس معنا
ما نقتات به • فكنت أعمل جاهدا لادخال أكبر كمية من الصبر
على قلوبهم ، بينما كان (الخيبة الثقيلة) الاخ على يوسف
يزوغ منى هنا وهناك ولا حياة لمن تنادى

عملنا أول ليلة فكان الايراد مائتين وخمسين جنيهيا ،
ولكن هل دخل جيبنا منها مليم واحد ؟ أبدا والله العظيم
والبركة فى الدين والدائنين !

وقد فاتنى أن أشير الى شخص بالذات تقدم الى مرحبا
أجل ترحيب ، ومحيا أحسن تحية ، وتطوع بالتعرف قائلا
انه من هواة التمثيل ، وانه سمع عنى كثيرا ورغب فى العمل
بفرقتى ، وقد رحبت به أنا الآخر ، ولكن رابنى منه بعض
تصرفات لم أفهم سرها ! فما كدنا نصل مدينة تونس حتى
سعى فى كثير من العناية والاهتمام بانزالنا فى أكبر فنادق
المدينة (واسمه ماجيستيك) ، وراعى أنه نجح فى حجز
أحسن أجنحة الفندق لنا ، كما راعى قبول ادارة الفندق ان
تتقاضى من الممثلين مبلغ عشرين قرشا فقط كأجر عن الغرفة
يومية ، فى حين ان ايجار غرفتى فى اليوم الواحد هو مائة
وستون قرشا • وهو أجر معقول بالنسبة لفخامة الفندق
الذى لا يقل من هذه الناحية عن أفخم فنادق القاهرة

أقول اننى رأيت فى هذه التصرفات ما رابنى ، وأخيراً
عرفت أن ريبتى كانت فى موضعها تماماً ، وأن صديقنا الجديد
هذا ، لم يكن إلا عينا خصصته الادارة الفرنسية ليكون بمثابة
رقيب علينا فى كل خطوة نخطوها ، أو حركة نأتيها . وذلك
خشية من أن نشير فى البلاد شعور الوطنية والحماس ، وهو
ما يآباه الاستعمار ويعمل على محاربته بكل وسيلة

ولما كنا والحمد لله لم نقصد من رحلتنا أن نشير حرباً شعواء
بين الفرنسيين والوطنيين ، فإن هذه الرقابة لم تؤثر فىنا
أقل تأثير ، بل بالعكس أفادتنا كل الفائدة بأن جمعت أفراد
الفرقة كلهم فى صعيد واحد ، وصعيد ايه يا سيدى ...
... أوتيل ، لا تقوللى ولا تعيد لى . والاجرة ايه ؟! تراب
الفلوس !

نهايته .. توددت الى الاخ المحترم الرقيب الهاوى وقربته
الى .. وصافى يا لبن

الدائنون وراءنا

قلت ان ايراد الحفلة بلغ مائتين وخمسين جنيها استولى
عليها الدائنون وتركونا نأكل بعضنا

أما رواية الافتتاح فكانت (الليالى الملاح) .. أظن كمان
رايح تقول ان السجع هنا مقصود ! أبدا واللى خلقك ! وقد
كان استعدادنا لها فائقا بحيث كانت المناظر والملابس من
أفخم الاصناف ، كما ان الممثلات والممثلين كانوا على سنجة
عشرة ، ولذلك ظهرت الرواية بأحسن مظهر ونالت أحسن
ما كنا نرجوه من النجاح . وكان هذا الجمهور بالطبع يملأ
جوانب تياترو البلدية العظيم وكنت أشعر بفرح كبير لهذا
النجاح « الادبى » الممتاز وأعتبره تعزية لا شك فيها . ولكن
حينما أرى الايراد منحدرًا فى اتجاه غير طبعى ، كنت أشعر
أن لسان حالى يقول : « آخ أيها الفن أتمنى فى تلك اللحظة

أن تكون خبزا فتؤكل أو عرقسوسا فتشرب ! »
قلت ان مجموع الليالى الباقية لنا من التعاقد فى التياترو
ثمان . ولكن متعهدنا المبارك (السيد على يوسف) كان قد
طبع قبل وصولنا تذاكر اشتراكات عن اثنى عشرة ليلة ،
وباع منها الشئ الكثير وتسلم الاثمان كذلك
ولما لم يكن فى طوقنا أن نقدم أكثر من هذه الليالى الثمان ،
فقد خفت أن يرمينى مشترى تذاكر الاشتراكات بالنصب
والاحتيال . ولذلك قصدت الى محام مشهور هناك وطلبت
اليه أن يكتب عريضة باسمى الى النيابة العمومية يشرح فيها
الموقف ، ويقول اننى مستعد أن أعيد لمن بيدهم الاشتراكات
اثمانها بعد أن أحصل على المال من بقية البلاد التى فى النية
زيارتها

وأخيرا استطعنا أن نتفق مع ادارة التياترو على العمل به
بعض ليال أخرى نحييها عقب عودتنا من عدة بلاد غير مدينة
تونس ، وقمنا الى صفاقص وصوصه وبيزرت وكان النجاح
فى كل منها بالغاً أشده ، وبدأت يدي تلمس النقود بعض
الشئ ، ولكن السادة دائنى متعهدنا كانوا لنا بالمرصاد ،
فلم يرحموا غربتنا ولم يرعوا مصيبتنا فلاحقونا فى كل مكان !



بين المسرح والسينما

بين المسرح والسينما

قررنا أن نزور الجزائر بعد أن انتهى مقامنا في تونس ،
فشددنا رحالنا اليها

وهنا أقف لحظة بسيطة لأقول ان علاقتنا بالسيد السند
على يوسف (الامبرزاريو) كانت قد انقطعت ، واننا احتجنا
الى من يقوم مقامه ليسبقنا الى البلاد التي نزورها ويمهد لعملنا
فيها ، فكان أن أوفدنا الزميل العزيز بديع خيري الى بلدة
« سراكوس » . وقد قصد اليها قبل وصول الفرقة بعدة أيام .
وبعد أن انتهينا من هذه البلدة ، زرنا بلادا أخرى ، وأخيرا
قصدنا الى عاصمة القطر (الجزائر) ، فأحيينا فيها بنجاح
منقطع النظر ثلاث حفلات جاءتنا بايراد كبير ، استطعت ببعضه
أن أسدد جميع الديون التي طوقنا بها متعهدنا السابق ، كما
أننى وسعت على الممثلين بالبعض الآخر

ثم حدث في بلدة « وهران » ما لم اكن أتوقعه : فقد سافرت
بديعة دون علمى ، فأسندت أدوارها الى كل من فتحية شريف
وبهية أمير ، ولكن بديعة بعدئذ اتصلت بى تليفونيا من الجزائر
واعترضت عن تسرعها بالهرب ، وأكدت انها عائدة في اليوم
التالى . ولكنها للأسف لم تف بوعداها

العودة الى مصر

وبعد أن انتهينا من بلاد الجزائر ، قمنا الى مراكش ، فلقينا
الكثير من ضروب الحفاوة فى قصر « الباشا » ، الذى نفحنا

كثيرا من الهدايا فى الليلة الختامية لرحلة الفرقة فى بلاد المغرب الاقصى . ثم قصدنا الى مرسيليا ومن هناك قصد أعضاء الفرقة الى مصر ، بينما سافرت أنا الى باريس ، وهناك استطعت أن أسترده من جمعية المؤلفين مبلغ ضريبة الستة فى المائة ، التى كانت تحجزها مسارح البلديات من ايراد رواياتى فى بلاد المغرب الاقصى ، وقد بلغ ما استرددت من الجمعية مائة وعشرين جنيها ، بقى لدى منها بعد « فسحة » باريس خمسون جنيها مصريا عدت بها الى مصر . وقد حزمت أمرى على أن أجعل بينى وبين الممثلين سدا ، فلا أجمع فرقة ولا أعتلى المسرح لحسابى

وبعد أيام قليلة « برم » المبلغ وأصبحت على الحديد ، فعمدت الى بعض ما لدى من أثاث وحلى وهات يابيع ، هو احنا رايعين ناخذ حاجة

واستحكمت حلقات الازمة (أزمى الخاصة) واستولت « الكريزة » على جيب العبد لله ، فهبطت بطعامى من « الرستورانات » الى محلات الفول المدمس !

أول فيلم سينمائى

وقضيت على هذه الحال المدة من ابريل الى أغسطس سنة ١٩٣٣ ، ثم وصلتني برقية من الاستاذ اميل خورى ، الذى كان سكرتير تحرير جريدة الاهرام ، يحمل تحويلا بمبلغ خمسين جنيها ويطلب منى أن أوافيه بباريس ، لتصوير فيلم كان قد حدثني عنه وقت مرورى بباريس . فقممت على عجل بعد أن طلبت من زميلى بديع أن يعد نفسه للحاق بى حين أرسل برقية باستدعائه

ووصلت الى باريس وقوبلت بالحفاوة اللازمة ، وما هى الا يومين ثلاثة وبدأت أفهم الفولة !! واية هى الفولة ؟ هى ان عم خورى اخذ المقاوله من شركة جومون لحسابه هو ، وجاء

يقنعنى بقبول الاشتراك معه بنسبة الثلث ، ثم قدم لى سيناريو من وضعه هو ، وذكر أنه مشرف لمصر وأنه سينال نجاحا لا نظير له .. وأنه .. الى آخر الانهات اللى فى الدنيا ! اطلعت على السيناريو فوجدت أنه لا بأس به ، اذا تركت لنا الحرية فى وضع الحوار الذى يدور بين ممثليه ، وفى الحال ارسلت فى طلب بديع . ولكن قبل أن يصل الزميل ، تقدم الى اميل وأعطانى نسخة من حوار وضعه باللغة الفرنسية ، وطلب الى ترجمته الى العربية ، بحيث لا نخرج عنه قيد أنملة ، فلما قرأته وجدت أنه لا يصلح بتاتا ، وخاصة لجمهورى الذى عرفته وعرفنى ، فحاولت أن أقنع الشريك (المخالف) بأن هذا الحوار فى مقدوره أن يسقط بدل الفيلم الواحد فيلمين أو ثلاثة ، ولكنه أصر ولم يصغ لاي اعتراض . فضمنمت ازاء هذه الصلابة على التوقف عن العمل والعودة الى الوطن ، فظل بديع يهدىء من ثورتى ، ويعمل على اقناعى بأن عودتى خاوى الوفاض الى مصر ستطلق السنة الناس بالاشاعات والاقوال ، وستدع لحضورى فرصة النيل منى ، وستكون النتيجة كيت وكيت

وخشت هذه النصائح فى مخى ، وزادها ثباتا ان جيبى كان فارغا حتى من ثمن تذكرة العودة ، فقلت فى نفسى صهين يا واد يا نجيب وأهو فيلم ويفوت ما حد يموت !

وبدأنا عملنا فى الفيلم - وقد نسيت أن أذكر لك بأننا اخترنا له اسم (ياقوت) - بدأنا فى اخراجه باستوديو جومون يوم الاثنين وانتهينا منه نهائيا يوم السبت التالى ، أى اننا كروتناه فى ستة أيام !

اما الداعى لهذه « الكروته » و « الطلصقة » ، فهو ان السيد خورى لم يكن يهتمه الا أن يضغط الميزانية . وقد كان ، وبعد اسبوعين انتهت عملية المونتاج وجاء خورى ومن معه يجزلون لى التهنة ويقسمون اننى ٠٠٠ فشر هارى بور وشارل بواييه

ومش عارف مين ومين كمان ، فهاززت راسى وطمانتهم بأن
الفيلم - مع هذا وذاك - لن تقوم له قائمة ، ولن يلاقى أى
حظ من النجاح

أما لماذا نظرت الى الفيلم هذه النظرة فذلك لاننى صادفت
مخرجاً لا يفهمنى ولا أفهمه وسيناريست عقله زى الحجر
وممثلين ، سيدى يا سيدى ، جمعناهم من الحى الاتينى ومن
جميع الملل والنحل ، فمثلاً احتجنا لشخص يقوم بدور أستاذ
يلبس العمة والقفطان فلم نجد من نسند اليه الدور الا شخصاً
فرنسيا لا يعرف من العربية حتى اسمها . وقس على ذلك
بقية الادوار الهامة وغير الهامة ، أى ان صيغة منتهى الجموع
بتاعة قلة البخت ، قد تفضلت بمرافقتى فى ذلك الفيلم . من
بدايته الى نهايته . ما علينا والسلام نقول ان نجاح هذا الفيلم
بعد عرضه كان نسبياً لانه - كما قلت - لم يكن شعبياً وقد
اقتنع ممول الفيلم بصحة ما ذهبت اليه ولكن بعد ايه . . بعد
خراب مالطه

وقبل أن أبارح باريس « ليمونى » على خمسين جنيهاً أخرى
على أن أتناول حصتى فى الأرباح بعد عرض الفيلم فى مصر وعلى
خير !

عودتى الى المسرح

وفى هذه الآونة تسلمت - وأنا بباريس - خطاباً من الحاج
حبنى مدير تياترو برنتانيا يعرض على العودة الى مصر لتوقيع
عقد اتفاق معه على العمل فى مسرحه . ففكرت فى ذلك الفن
الجميل الذى أحببته من كل قلبى ، وتملكت هوايته نفسى ،
واحتل حبه قوادى حتى صار كالحسناء التى أخلصت لى
وأخلصت لها . فهل أستطيع هجر هذه المعبودة ؟ كلا . .
والف مرة كلا !!

وعدت الى مصر . . واتفقت مع الحاج مصطفى ، على أن

يتكفل هو بالفرقة مما جميعه ، بما في ذلك الممثلات والممثلون ،
على أن أتقاضى أنا حصة معلومة . وهنا بدأت في تنظيم حياتي
ووهبت نفسي مرة أخرى للفن الذى عشقته بعد أن رفعت عن
كاهلى عبء التفكير فيما عداه

وأعددت مع الزميل العزيز بديع رواية « الدنيا لما تضحك »
وما كدت أظهر على المسرح فى الليلة الأولى من التمثيل ، حتى
قابلنى الجمهور المحبوب بعاصفة من التصفيق عقدت لسانى ،
فطفر الدمع من عينى لحظات غمرنى فيها شعور لا أستطيع
وصفه

فيلم ثان

وفى هذا الوقت تقدم الى بعض الممولين السينمائيين ، وطلبوا
الاتفاق معى على اخراج فيلم « بسلامته عاوز يتجوز » ،
وعرضوا أن أتقاضى منهم ثمانمائة جنيه مصرى وخمسة فى المائة
من الايراد وشاورت عقلى ، فاتضح لى أن هذه الجنيهات
الثمانمائة مبلغ لا يستهان به ، خصوصا فى وقت أنا فيه بحاجة
الى .. الى ايه .. الى مائة فقط

ومن ناحية أخرى فأننى ذهبت الى ان اخراج الفيلم الجديد
قد يعوضنى ما فات فى سابقه (يا قوت) ، لاسيما وأن مدير
الانتاج الاخير قد أظهر لى منتهى الاستعداد فى أن يدع لى جميع
المهام الفنية التى يقتضيها اظهار الفيلم فى مظهر لائق

وجاء المدير المالى بشخص وفد من بلاد المجر ، وقال لى انه
شقيق السينمائى الشهير « فاركاتش » الذى اقترن اسمه
باسم فيلم (الموقعة) ، مثل فيه شارل بواييه .. وأنه ..
وأنه .. الخ .. فقلت له اننى لا اطمئن لمخرج أجنبى ، حتى
ولو كان من الذين أشرفوا على أفلام جريتا جاربو ومارلين
ديتريش ، لأنه لن يصل الى حقيقة أخلاقنا وباطن عاداتنا ،
قلت هذا قبل أن أرى المخرج المذكور أو اختلط به ، فلما تم



الاستاذ نجيب الريحاني في دوره في مسرحية « حاكم قراقوش »

ذلك زدت يقينا بما أدليت ، واعتقدت اننى سائر بالفيلم الجديد
فى نفس الطريق الذى رسم فى رصيفه القديم ، وأن « شهاب
الدين » لا يزال يسعى وراءنا مطالباً بأخيه !!
وحاول المنتج أن يزيل مخاوفى فطمأننى بأنه سيتركنى أقبل
ما بدا لى

وبدأنا الفيلم ، بل وقطعنا فى العمل شوطا بعيدا ، كانت
الحزازات أثناءه بينى وبين المخرج تزداد ضراما ، لاننى كنت
أشاهد بعينى منه عكس ما أريد ، فقد كانت ارشاداته للممثلين
فى المواقف الفكاهية باعثة على البكاء .. لا على الضحك

وعرض الفيلم على المتفرجين ، وكنت بين المتفرجين بالاكراه .
وأصارحك أيها القارىء العزيز بأننى حين رأيت نفسى على
الشاشة لم أكن أتصور أننى بمثل هذه الفظاعة المؤلمة ، واننى
من السخافة على مثل هذه الدرجة التى ابتدعها المخرج من
« صبيان » أفكاره البايخة ، حتى لقد كان يتراءى لى - كمتفرج
- اننى لو لقيت نجيب الريحانى عند الباب أثناء خروجى ،
لخلعت - يكرم من سمع - ونزلت ترقيع فى أصدائه الى أن
أوصله بيته العامر !

انتقام من السينما

وفى هذا الوقت كان حظى فى المسرح « ضارب » نار ، وكأئننى
كنت انتقم من خذلانى فى السينما ، فقد شفيت غليلى ومعى
بديع زميلى ، ووضعنا كل همتنا فى اخراج رواية كاملة المعانى .
وكان التوفيق رائدنا بعون واحد أحد ، فأتممنا تأليف رواية
« حكم قراقوش » ، وقد جاءت هذه الرواية بدعة من حيث
الوضع والتنسيق ، ومن ناحية وجود الفكاهة العذبة والتسلية
الليذة ، فى سرد حوادثها وفى رسم شخصياتها

فلما رأيت نجاحها ، حمدت الله الذى عوضنى عن السينما
بهذا النجاح المسرحى الهائل ، ولهذا عقدت نيتى من ذلك الحين

على أن أهجر الشاشة بتاتا ، وفي خشبة المسرح متسع لى ،
واطفاء لشهوتى الفنية وغذاء لروحي المتلهفة على الوصول الى
الكمال بقدر الامكان ، ومن ثم رفضت جميع العروض
السينمائية التى تقدم الى بها كثيرون من المالىين ومن رجال
الفن العديدين

وبعد « حكم قراقوش » أخرجت « مين يعاند ست » ،
فكانت هى الاخرى انتصارا لى مع أنها كوميديا من النوع
« الناعم » ، الا أن المتفرج تقبلها بقبول حسن ، وحل الصيف
فتأبطت ذراع زميلى بديع وقصدنا الى جزيرة قبرص ، وهناك
هيأت لنا الظروف الصالحة وضع رواية « مندوب فوق
العادة » ، وكان فى عزمنا أن نفتتح بها موسم ١٩٤٦ ، ولكن
الظروف المواتية مكنتنا من وضع رواية (قسمتى) ، التى
افتتحنا بها ذلك الموسم ، وأبقينا الرواية الاولى بمثابة احتياطى
لنا . واعترف بأن هذه هى أول مرة فى حياتى احتفظ فيها
بما يسمى الاحتياطى

وبعد عرض الروائيتين « قسمتى » و « مندوب فوق العادة »
فكرت فى اخراج رواية استعراضية نختم بها الموسم فأعددت
العناصر اللازمة لها واشتركت مع الزميل بديع خيرى فى
وضعها بعد أن أطلقنا عليها اسم « الدنيا على كف عفريت »

فيلم ثالث

وفى أحد الايام التى كنا نستعد لاجراج تلك الرواية على
المسرح ، وبينمنا كنت أرتدى ملابسى لموافاة
الممثلين فى البروفة دق جرس التليفون وكان المتحدث زميلى
بديع ، يبلغنى أنه فى استديو مصر ، وان الاستاذ أحمد سالم
مديره يود رؤيتى سريعا . فسألت بديعا : ألم يطلعك على
اسباب هذه الرغبة ؟ فقال كلا . وقبل أن اتوسع فى طلب
معلومات من بديع تناول الاستاذ سالم بوق « الارزيز » ..

انت فاهمنى ؟ الارز ز . . والارز يز هو التليفون بلغة المجمع
اللغوى ، واسألوا أهل الذكر ! وسمعت الاستاذ أحمد سالم
يضرب لى موعدا أقصاه نصف ساعة ولكى يسهل مأموريته
أبلغنى ان سيارته ستكون أمام منزلى قبل هذا الموعد

وأكملت ارتداء ملابسى ، ورحت أضرب أخماسا فى أسداس .
لا شك بأن مدير ستوديو مصر لم يطلبنى بمثل هذه السرعة
لاشترك معه فى مباراة شطرنج ، والأ عشرة دومينو أمريكانى ،
فلا بد اذن أن هناك عملا يقتضى هذا الاستدعاء ، وأن هذا
العمل لن يكون الا فيلما للاستوديو . لقد كان مجرد التفكير فى
السينما يزعجنى ، بعد ما رأيت منها فيما مضى ، وبعد
ما قاسيت ممن اشتركت معهم ، ولذلك قضيت الطريق بين
منزلى وبين الاستوديو ، مفكرا فى طريقة الاعتذار « بذوق »
عن ظهورى على الشاشة ، وبزيادة علينا المسرح . . وبيننا وبين
السينما ربنا !!

ووصلت الاستوديو وهناك لقيت الاستاذ أحمد سالم
وحسنى نجيب وبديع خيرى . سلام عليكم . عليكم السلام ،
وبعد التحيات الطيبات ، والمجاملات المتبادلات (معلش
يا اخوانا يا فصحاء القافية حكمت) ، فهمت من الاستاذ سالم
أنه يسر الاستوديو أن يخرج فيلما لى . . آه وقعت الفاس فى
الراس !! ولم أجد ما أجيب به غير اننى مشتغل اذ ذاك باخراج
رواية مسرحية جديدة وأنها تستغرق كل أوقاتى فأمهلى حتى
أنتهى منها

ودارت بيننا مناقشة أكد لى فيها الاستاذ سالم أن روح
التعاون بيننا ستكون وثيقة ، ويظهر انه أحسن من ناحيتى
بعض التردد أو الرغبة فى « الحمرقة » ، فصارحنى بحقيقة
كنت أجهلها ، قال لى ما معناه ان الناس بدءوا يلوكون اسمك
فى معرض الفشل فى السينما ، وان واجبك يدعوك الى الدفاع

عن نفسك بطريقة عملية ، فقدم الدليل لأولئك القوم على ان
الفشل الماضى أتى عن غير طريقك ، لان العوامل التى أفسدت
عليك سبيلك لن يكون لها وجود فى ستوديو مصر

كان هذا الكلام الحكيم وغيره كافيا لاقناعى ، لا سيما وقد
شعرت من خلال الحديث أن روح الصداقة تتمثل فيه ، وأن
الصراحة هى التى تمليه . كما تبين لى ان محدثى كان يرمى
الى أن يجعل هدفه الاول ، وغرضه الاسمى ، الوصول الى
النجاح دون كل الاعتبارات المتباينة . . . النجاح الذى يعود
أثره لا لى وحدى - بل وللهيئة التى يشرف على ادارتها .
وانتهت هذه الجلسة بالاتفاق المبدئى على الاشتراك فى اخراج
الفيلم بعد الانتهاء من رواية « الدنيا على كف عفريت »

لماذا عدت الى السينما

وفى هذه الاثناء ظهر فيلم « الحل الاخير » فكان نجاحه
مشجعا لى على الاقدام ، لاننا راينا من الجمهور ناحية طيبة
مطمئنة ، هى انه بدأ ينظر الى العمل من حيث قيمته الفنية
لا من حيث الشخصيات القائمة به . أقول ان هذا الاقبال
الكبير على « الحل الاخير » زادنى طمأنينة ، وطرده من مخيلتى
شبه التردد الذى كان يلزمنى قبل مشاهدته ، واشتركت
مع بديع فى وضع فكرة السيناريو ثم ذهبنا الى الاستوديو
ولقينا الاستاذ أحمد سالم ، فعرضنا عليه فكرتنا ، ولكنه
أمهلنا يومين قابلناه بعدهما فعرفنا منه أنه قائم فى القدر الى
أوروبا ، لاعمال تستدعى غيابه فترة . ثم قص علينا فكرة
جديدة مفضلا جعلها أساسا للسيناريو الذى نضعه ، ولا أجد
غضاضة فى التصريح بأن هذه كانت المرة الاولى التى استحسنت
فيها قصة لاي انسان كان !

ووافقنى بديع على صلاحية هذه الفكرة ، فعقدنا النية على
بناء سيناريو « سلامه فى خير » على أساسها . وقد كان . وأود

أن أشير هنا الى ان اختيارنا كان قد وقع على اسم « أفراح » لاطلاقه على الفيلم ، ولكن الاستاذ سالم فضل عليه اسم « سلامه في خير » وقد كان ... برضه ، وسافر الاستاذ احمد سالم الى أوروبا بعد ان سلمنا للاستاذ نيازي مصطفى بصفته مخرجا للفيلم . واني لاذكر انني صدمت هذا الفتى في ذلك الحين بتصريح غير مستحب ، لاني لدغت من مخرجين قبله . ولا يلدغ المثل من مخرج مرتين !! ولكن بمرور الوقت وبالاختلاط في العمل عرفت قيمة نيازي ، فاعترفت بخطئي السابق في تقديره فهو كفاء مخلص لفنه

وكانت اجتماعات متعددة متتالية بيني وبين بديع ونيازي عالجننا فيها وضع السيناريو وربط موضوعه وحوادثه

وهنا اكشف للقراء سرا لم يقف عليه واحد منهم ، وهو أنه بعد أن تم من تصوير الفيلم أربعة أخماسه ولم يبق إلا خمسة ، كانت هناك أجزاء من الفيلم لم تنته من تأليفها بعد تماما . كما نفعل في رواياتنا المسرحية .. واللى فيهمش مايخلهمش !

وسرنا في عمل الفيلم وحولنا جو من التفاهم التام لم يكن لي به عهد من قبل ، فقد كان المخرج يعمل في حدود واجبه ، وكثيرا ما عاوننا بأفكار ثاقبة ، وآراء ناضجة ، فكنا نحن الثلاثة نواصل العمل سويا ، وكل منا يشعر انه يؤدي فرضا واجبا يدفعه اليه الاخلاص والحرص على النجاح

وقبل أن تنتهى من آلام الوقوف أمام الكاميرا أثناء الليل وأطراف النهار ، استلمنى المسرح . ولهبنى الموسم فاقترحته بروايات قديمة نزولا على نصائح الاعزاء من الاخوان واقتراحات المحبين من المتفرجين . ولكن ذلك لم يحل بيني وبين التفكير مع الزميل في الرواية الجديدة « لو كنت حليوه » ومع ذلك فان أبراج المخ الغلبان ، كانت حاتطير طيران ،

والذى زاد الطين بلة ما أصابه فى نهاية العمل بالاستوديو على أثر الاضواء التى كنت أقف تحت وهجها الساعات الطويلة ،
والتي تكفى من غير مبالغة لكهربة خزان أسوان ، ولولا أن الله
قيض لى بعض الاطباء الاصدقاء الذين اختشى منهم المرض على
عرضه ففارقنى غير مأسوف عليه .. أقول لولا ذلك لعرضت
نفسى على مؤتمر الرمد الدولى الذى عقد بالقاهرة ، ولكن
الحمد لله جت سليمه .. والبركة فى الاخوان

لتحى المنصورة

وشاء الحظ أن أتقل بعدئذ بين طنطا والمنصورة ودمياط
حيث أمضيت مع الفرقة ليلة فى كل من هذه المدن ، أحيينا
فى الاولى حفلتين (ماتينيه وسواريه) وأريد أن أثبت هنا أن
الفقر المائل الآن بين يديكم أيها القراء ، استقبل فى مدينة
المنصورة استقبالا لم يكن ينتظره . ويظهر أن منشأ هذه
الحفاوة عائد الى أن فيلم « سلامه فى خير » عرض فى المنصورة
قبل أن نزورها ، فأرادوا - المنصوريون الكرام - أن يظهروا
« لمحبوبهم » لونا من ألوان التكريم ، الذى اشتهروا به ،
فقابلونى تلك المقابلة التى لا أنساها !! وقد أطلق جميلهم لسانى
بترديد الشكر لهم فى كل مجال وأثبتته فى مذكراتى ليكون مسكا
للختام

وفى المساء قدمنا رواية (مندوب فوق العادة) ، فما كدت
أظهر على المسرح حتى استمر التصفيق بضع دقائق . وهذا
عمل اعترف بعجزى عن الشكر من أجله . وان كنت لا أجد
ما أقوله غير : « فلتحى المنصورة »

وعدت الى القاهرة فى يوم الاربعاء ، ويصح أن اعترف ان
الايام الثلاثة التى قضيتها خارجها كانت بمثابة إجازة من بعض
الوجوه ، استراح فيها فكرى ومخى راحة أرجو أن تعوضنى
بعض ما افقدنى العمل اياه ، وهانذا واضع نصب عينى وضع



الاستاذ نجيب الريحاني في دور موظف يعمل تحت رئاسة رئيس فظ في مسرحية
« لو كنت حليوه »

رواية جديدة « لو كنت حليوه » بالاشتراك مع أخى وصديقى
بديع وأرجو الله ان يكتب لها الفلاح فنضمها الى لسته
أخواتها السابقات

نتيجة

الآن يا قارئ العزيز أقف لحظة قبل أن أضع القلم فى مكانه
وقبل أن أدفع هذه الخاتمة الى المطبعة

أقف لأتذكر وإياك فى حديث لا بد منه ، وهو أننى قصرت
ما نشرت على حياتى العملية وحدها ولم أمس الحياة
الشخصية إلا مساً خفيفاً كانت تقتضيه ظروف السرد
والشرح ، وكم كانت ذكريات الحوادث تمثل أمام ناظرى حين
كتابتها وكأنها كانت من حوادث اليوم الذى أكتب فيه مع أنه
مضى على وقوعها سنوات

والآن .. بعد أن تذوقت من الحياة حلوها ومرها ، وبعد
أن جرعتنى كأسها حتى الثمالة - كما يقولون - بعد ذلك كله
أقر واعترف أنا الواضع اسمى بخطى أدناه نجيب الريحانى
أننى خرجت من جميع التجارب التى مرت بى ، خرجت منها
بصديق واحد ، صديق هو كل شئ ، وهو المحب المفرم الذى
أبادل وإياه الوفاء الشديد والاخلاص الأكيد .. ذلك الصديق
هو عملى !!

انه أشبه بالمعشوقة الفاتنة التى كملت أوصافها ومحاسنها ،
لولا أنها غيور .. غيور بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، فهى
وفية ما دمت وفياً لها ، أما اذا حدثتنى النفس بخيانتها فالويل
وسواد الليل أنها تكشر عن أنيابها ، وتقلب لى ظهر المجن تنمر
وتتنكر ، وترغى وتزبد ، وتفور وتثور ، وتطلع القديم والجديد .
نعم أيها السادة ، فأننى حين أتفرغ لعملى أجد النجاح يواتينى
والحظ مقبلاً على .. أما اذا اتجهت بقلبى الى شئ آخر ..
أو اذا ساقى لى الظروف غراماً طائشاً .. فانه يخلع لعليه ..

ليجعل من رأسى منفضة لهما .. والعياذ بالله
وكثيرا ما تعاودنى الذكريات حين أجتمع بالاخ الصادق بديع
خيري فنتذكر شئون الماضي ، ونعترف بأننا كوفئنا حق المكافأة
اذ اكتسبنا جمهورا يقدرنا ويقدر عملنا ، وان كان حظنا من
الناحية المادية هو حظ الاديب في مصر ولكن معلش برضه ..
مستورة والحمد لله ، وكل ما يهمننا هو اننا نشعر بأن علينا
رسالة تؤديها للوطن المحبوب وقد أديناها كاملة وكوفئنا على
هذه التآدية ، وحتى لو فرضنا اننا لم نكافأ فما كان ذلك
ليحول بيننا وبين أداء الواجب

بقيت العبرة التي أثبتنا أخيرا وهي أنني أصبحت أعتقد ان
العواطف وما اليها من الكلمات والاصطلاحات المنمقة ليست الا
لهوا ولعبا وتجارة ، يمارسها بعض الناس للضحك بها على عقول
السذج وقاصري الادراك ، تماما كما تفعل «المعددة» في المآتم ،
فانها تأتي بعبارات الاسى والحزن العميق الذي يفتت الاكباد
ويحرك الجماد ، ومع ذلك فانك تبحث في قرارة فؤادها فلا تجد
مثقال ذرة من الحزن والالم
ذلك ما أوصلتني اليه التجارب فيما يختص بالعواطف ،
ولعل ما يراه الجمهور من المواقف المضحكة في رواياتي منشؤها
هذا الاعتقاد الراسخ في حياتي

كلمة واجبة

وهنا أرائني مدينا للصديق العزيز توفيق المردنلي بكلمة
شكر لانه كان السبب الاول والاخير في حملي على كتابة هذه
المذكرات ، فأنا - ولا حياء في الحق - أقرب الى الكسل اذا
لم أجد الدافع الذي يسوقني الى ما أريد
وقد قيض الله لي في صديقي توفيق ناصحا أقنعني في
البداية بضرورة كتابة مذكراتي ونزات على تلك النصيحة الى أن
انتهيت منها بعون الله وحمده ... فليكن شكري لتوفيق
آخر ما تخط يميني في هذه المذكرات . ووداعا يا قرائي الاغزاء

الفهرس

صفحة	
٩	مقدمة صاحب المذكرات
١١	نجيب الريحانى كما عرفته
٢١	أول الطريق
٤١	ثروة أضعتها
٥٥	فى المسرح الكوميدى
٧٣	كشكش بك
٩٩	مع الشيخ سيد درويش
١٠٥	فى خدمة الوطن
١١٤	الأوبرا كوميك والأوبريت
١٢٥	كشكش تقليد
١٣١	اتهمت بالكسل
١٤٥	فى أمريكا الجنوبية
١٥٦	أنا سندباد برى
١٦٤	العودة الى مصر
١٧١	عودة الى كشكش بك
١٧٧	أول محاولة للاقتباس
١٨٥	الى الاقطار الشقيقة
١٩٧	فى شمال افريقيا
٢٠٧	بين المسرح والسينما

وكلاء مجلات دار الهلال

لبنان : وكالة دار الهلال - شارع فرنسا
والاقليم الشامي : صندوق البريد ٣١٥٧ - بيروت

العراق : السيد محمود حلمي - المكتبة العصرية -
بيفداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد أحمد المؤيد - ص.ب ٢١

Dr. Michel H. Tomé,
Paeto Do Colegio No. 3
3° Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL

البرازيل :

Mr Joseph Hassan,
The Cine Travel Co.,
P.O. Box 1883,
ACCRA, GHANA

غانا :

Mr Mohammed Said Mansour,
P.O. Box 652,
LAGOS, NIGERIA

نيجيريا :

هذا الكتاب

ان المذكرات التي يكتبها صاحبها ، ويضمنها قصة حياة ، تكون عادة مثيرة ، باعثة للاهتمام ، ومحبة الى النفوس ، يطالعها الانسان في شوق وشغف . فما بالك بمذكرات نجيب الريحاني ، ذلك الفنان العبقرى ، الذى عهدناه صريحا فى احاديثه ، جريئا فى الحق ، تتدفق آيات وطنيته من خلال مسرحياته العديدة التى شاهدهاناها وأعجبنا بها كل الاعجاب ، وأطربتنا ، وسرت عنا أحزاننا وآلامنا . كان يثير منا الضحك ، ويبعث فى قلوبنا المرح والسرور ، لا بفكاهات مبتذلة ، ونكات سوقية ، بل بملح تنقد حياتنا الاجتماعية والسياسية نقدا فلسفيا

كانت له فلسفة فى الحياة ، أبرزها فى مسرحياته ، وفى مذكراته ، مصبوبة فى قالب ساخر ، يضحك ، ولكنه ينفذ الى القلوب

والواقع أن هذه المذكرات وان كانت تدون الحوادث العديدة الشائقة الغريبة فى حياة هذا الفنان ، فانها كذلك تسجل تاريخ الفن المسرحى فى مصر خلال فترة طويلة من الزمن . انها تكشف عما كان يقع من الحوادث للفن والفنانين فى تلك الحقبة من الزمن ، وترينا كيف تطور الفن المسرحى فى مصر ، عاما بعد عام

